

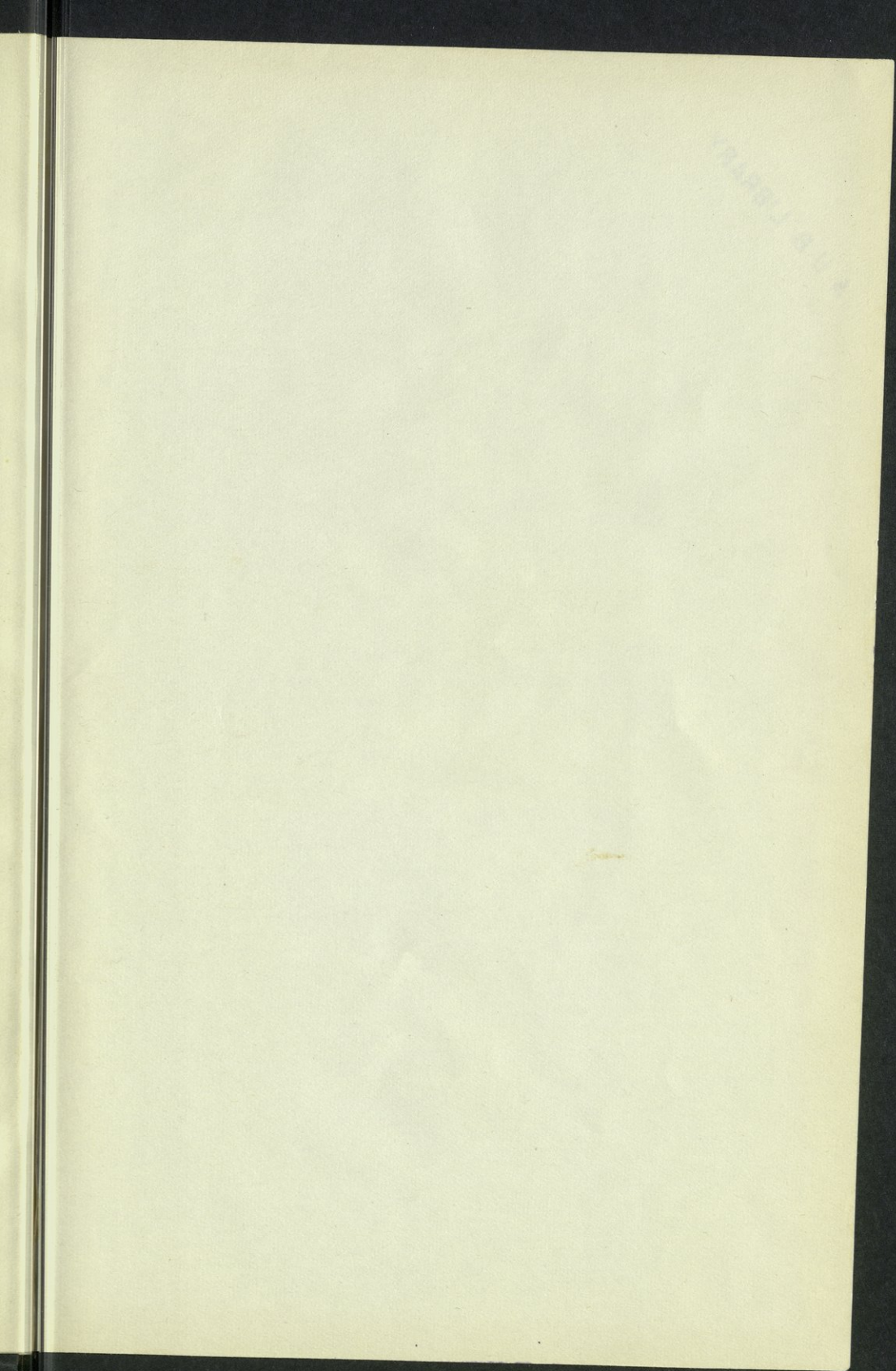
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

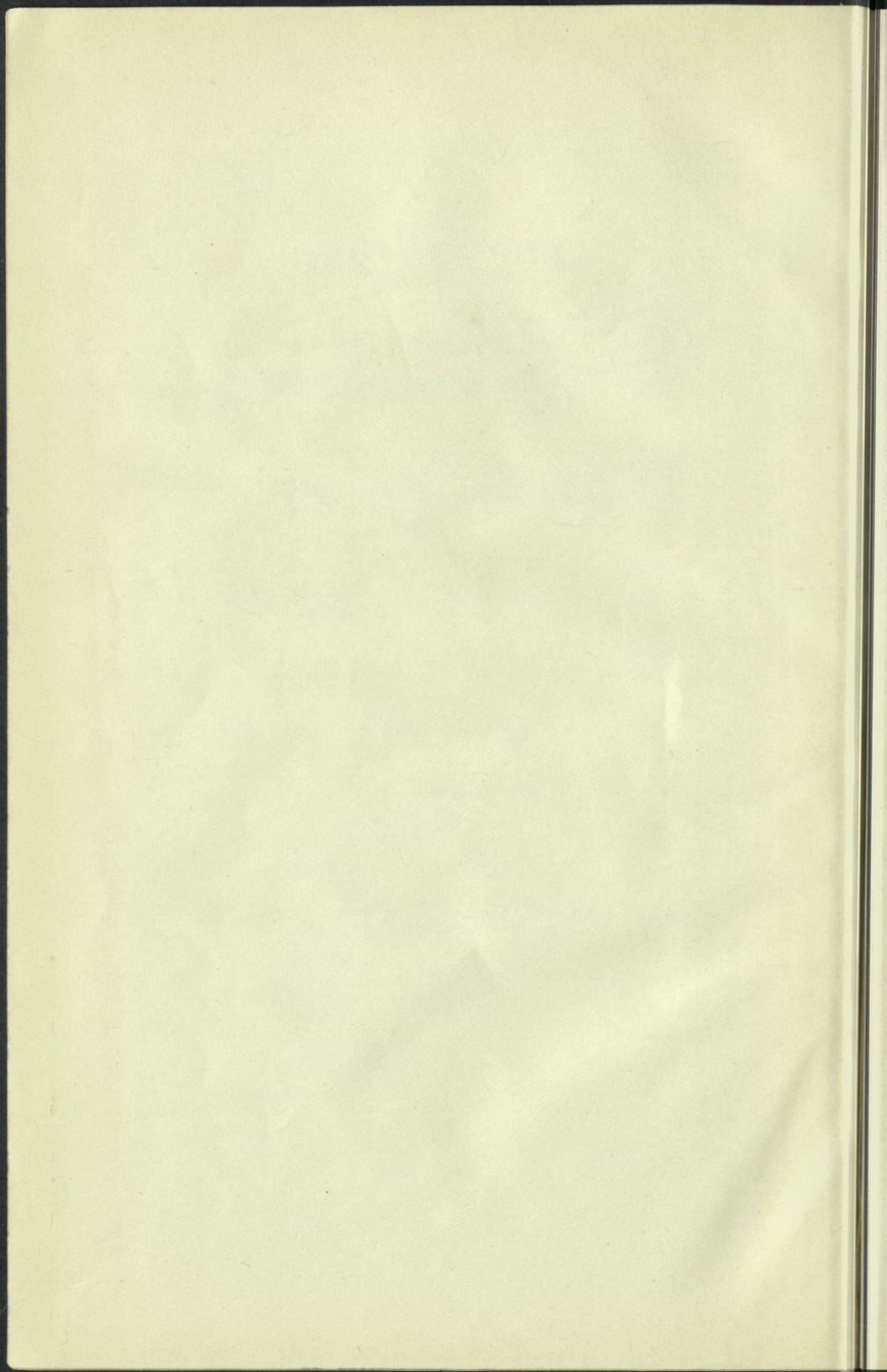


A. U. B. LIBRARY

تجليد صالح الدقو

تلفون ٢٢٢٩٧٧





Replacement.

Oct. Nov. 1942

177.6
I 131 A
C.1

كتاب الحب والجمال

أطوب في الجمال
في الألف والألف

تأليف

الامام ابي محمد علي بن حزم الاندلسي
المتوفي سنة ٤٥٦ هـ

عنيت بنشره

مكتبة عرفت بمشون

٥

58589

مطبعة البرهان
١٣٤٩/١١/٢٠

Replacement. Cat. Nov. 1942.



28282



﴿ كلمة الناشر ﴾

كان اول معرفتي بطوق الحمامة ان رأيت في مكتبة المجمع العلمي العربي ، فرأيت خير كتاب في وصف الحب ، ودرس ادواره ، وتحليل حوادثه ، واحسن اثر في تراثنا الادبي ثبت للناس ان في ادبائنا من اوتي ملكة التحليل النفسي ، ومن استطاع ان يفهم الحب قبل عشرة قرون كما يفهمه الادباء اليوم ، وعجبت منا ومن هؤلاء المستشرقين كيف عنوانه ، ونشروه وخدموه ، وجهلناه ثم حسبناه كتاب دعارة ومجون فنلنا منه وعرضنا بصاحبه ، ورأيت انه من العار علينا ان يكون الكتاب لنا ثم ينشر في كل لغات الناس قبل ان ينشر بيننا ، ولا نزاع في ان المكتبة العربية لم تغلق على كتاب مثله في فنه ، فعزمت على نشره ليرى ادباؤنا عظمة الادب العربي وعلو ما وصل اليه ، من غير ان تضيرهم قراءته في اخلاقهم شيئاً ، بل انه سينفعهم حين يتحول ابن حزم الى واعظ تقي في فصليه الاخيرين : قبح المعصية ، وفضل التعفف ، وسيرون فيها ما ينفرهم من الرذيلة ، ويجب اليهم مكارم الاخلاق ويبعدهم عن دركات الشر والهلاك فيعملون ان في نشره ابتناء الفضيلة وهدم الفساد وعلى الله التوكل

فقرات

مقتبسة من مقدمة الناشر الاول د. ك. بيتروف
الاستاذ في الجامعة الامبراطورية في بطرسبرغ (*)

الاستاذ بيتروف هو الرجل الذي استطاع ان يخرج للناس هذا الكتاب القيم ، وقد كاد يضيع فلا يبقى له من اثر ، وقد صدره بمقدمة طويلة ملأت اربع واربعين صفحة بالحرف الفرنسي الدقيق استهلها بشكر من ساعده على نشر الكتاب ، من رجال الادب ومعاهده ولاسيا مجمع العلوم ومعهد الآداب في بطرسبرغ ، ومكتبة جامعة لايد

ثم اهدى الكتاب الى البارون فيكتور روزن...

ثم شرع في درس الكتاب وصرح انه يختص بهذا الدرس القراء الذين لا يعرفون العربية ، فلم تر لترجمته كبير حاجة ، وانما اخترنا منه هذه الفقرات التي تبين لنا مقدار الجهد الذي يصرفه المستشرقون في سبيل نشر تراثنا العلمي والادبي وتطلعنا على مبلغ اهتمامهم بهذا الكتاب الذي يعد بحق من الاسفار الادبية النادرة المثال عند جميع الامم
قال الاستاذ :

لم يكن كتاب ابن حزم الموسوم بطوق الحمامة معروفاً قبل ان ينشر دوزي في مجموعته لآثار لايد قطعاً منه صغيرة ، ويخصص له بضع صفحات من كتابه ، تاريخ الاسلام في اسبانيا ، يترجم فيها بعضاً من حوادث ابن حزم العاطفية وما كان من حبه العذري ، وقد خدمه دوزي وعرف به الناس ولكن هذا المستشرق لم يشأ او لم يستطع ان ينشر اصله العربي ، فقام من

(*) طبع الدكتور بيتروف طوق الحمامة سنة ١٩١٤ في مطبعة بريل في مدينة ليدن

بعده فرنسيسكو بون بواغ يريد تحقيق هذه الامنية التي اوضحها وبين عزمه عليها لكثير من اصدقائه ، والتي مهد اليها بمحاولته تحليل الكتاب تحليلًا عامًا وترجمة فهرسته في مقالة نشرها سنة ١٨٩٩ عن كتاب الملل والنحل ولكن المنية عاجلته ولما يقدر على تحقيقها

ولم يكن في العالم الا نسخة واحدة من كتاب الطوق محفوظة في مجموعة قارتر في لايد وهي كراس مجلد عدد صفحاته ٢١٦ واسطر كل صفحة تتراوح بين العشر والخمسة عشر سطرًا ، واضح الخط مشكول الشعر ، بين العناوين ، والحبر الاحمر مستفيض في اكثرها ، والناسخ يقظ جداً لا يخونه قلبه الا نادراً ، وما الغموض (١) الذي يرى في الطوق الامن الاصل والمعنى لامن الخط والنسخ ولكنها ليست بنسخة المؤلف ، وتاريخ نسخها متأخر عن عصره لانها نسخت في سنة ٧٣٨ للهجرة اي في سنة ١٣٣٧ للميلاد بقلم ناسخ مولع بها ، فرح بقدرته على اكمالها ، ثم ان الاسطر الاخرة من الصفحة ١٧٦ تدلنا على ان كاتباً لم نعرف اسمه عمد الى اختصار الطوق واجازته ، واختيار قسم من منظومه الجيد ، ولكنه قصر في هذه ايضا ، فلم يثبت في اكثر الاحيان الا شطر البيت ، فنتج من هذا ان الاصل الصحيح للطوق ، لم يصل الينا ونحن نهمل كون الكاتب صرف جهده الادبي الى نسختنا هذه ، او الى نسخة غيرها او الى ثالثة هي اقدم عهداً منهما

ثم قال الاستاذ :

كان ابن حزم فيلسوفاً ومتألفاً ومؤرخاً وعالمًا اخلاقياً وكان له اثره العظيم في تاريخ بلاده ، فترك لنا في كتابه طوق الحمامة مرآة جلية تبدو فيها هذه

(١) بذلنا غاية جهدنا في اصلاح الغامض وتصحيح التصحيف وتركنا ما لم

نهتد الى صوابه على علته ونهينا اليه

المواهب على اكملها ، وتوضح فيها مشاهد ذكائه الفنية ، وتظهر لنا فيها نواح عديدة من نفسه ، وهو فوق هذا مرب ، ذو بصيرة وقادة وانتباه عظيم وقصصي ماهر وشاعر لطيف ، وله احياناً ذوق الناقد الادبي البصير ، مدقق في عادات المعاصرين شريف النفس ، مستقيم السيرة ، اما كتابه فجم الافكار ، واضح الاسلوب ، لذيذ متع .

ثم عمد الاستاذ الى بيان فصول الكتاب مما يغني عن ايراده الفهرس ، وعرض الاستاذ في بيانه هذا بتخصيص ابن حزم فصلين من كتابه للكلام على قبح المعصية وفضل التعفف ، ثم تكلم عن تغيير ابن حزم لهذه الخطة التي اختطها لنفسه ووجد له العذر في ذلك فقال :

وقد رجح ابن حزم — كما قال — تصوير الحب ، من مبدأ امره الى ان ينتهي بالموت ، وتعقيب ذلك بصفات مباينة له كالتى ذكرها عن الزاني ، فخرج على ترتيبه ولكنه ارانا سير الحب الطبيعي وعوارضه ، وكشف لنا عن هنائه وشقائه ثم بدأ الاستاذ بدرس للكتاب ، لا يعدو ان يكون تلخيصاً له يفيد — كما قال هو — من لا اطلاع له على الاصل العربي ، وليس له كبير نفع لقراءت فضربنا عنه صفحاً



— ز —

٣٨٣ — و ٤٥٦

(ترجمة المؤلف)

مأخوذة من نفح الطيب وابن خلكان ومعجم الادباء واخبار الحكماء ودائرة المعارف لوجدي ، والاعلام للأستاذ الزركلي

نسبه

هو ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف
ابن معد ان ابن صفيان بن يزيد مولى يزيد بن ابي سفيان صخر بن حرب
ابن امية بن عبد شمس الاموي

وطنه

اصل آباءه من قرية اقليم الرواية من كورة نبلة من غرب الاندلس واول
من دخل الاندلس من اجداده خلف

مولده

وكان مولده بقرطبة آخر يوم من شهر رمضان سنة ٣٨٣ وكان ابوه ابو
عمرو احمد بن سعيد احد العظماء من وزراء المنصور محمد بن عبد الله بن ابي
عامر لابنه المظفر بعده

حياته

كان مترجماً وزيراً لعبد الرحمن المستظهر بالله ثم هاهم المعتد بالله ثم نبذ هذه
الطريقة واقتل على قراءة العلوم وتقيد الآثار والسنن واوغل في الاستكثار من
علوم الشريعة حتي نال منها ما لم ينله احد قط بالاندلس قبله وقد ناظر الباجي

شارح الموطأ فقال له الباجي انا اعظم منك همة في طلب العلم لانك طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب وطلبته وانا اسهر بقنديل بائت لسوق ، فقال ابن حزم هذا الكلام عليك لالك لانك انما طلبت العلم وانت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي وانا طلبته في حين ماتعلمه وماذكرته فلم ارج به الا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة فاحممه

مؤلفاته

وله مصنفات كثيرة العدد شرعية المقصد ومعظمها في اصول الفقه وفروعه وقد روى عن ابنه الفضل المكنى ابا رافع ان تأليفه في الفقه والحديث والاصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الادب نحو اربعائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة قال ياقوت وهذا شيء ما علمناه لاحد ممن كان في دولة الاسلام قبله الا لابي جعفر محمد بن جرير انطبري فانه اكثر اهل الاسلام تصنيفاً

نكته

وكان يحمل علمه ويجادل من خالفه فيه على استرسال في طباعه وبذل باسارده واستناد على العهد الذي اخذه الله على العلماء من عباده (لتبينته للناس ولا تكتمونه) فنفرت عنه القلوب وابتعد عن وطنه وتوغل في البادية سنة ٤٥٦ هـ وهو في ذلك بيت علمه في العامة وبقههم . ومما نكب فيه حرق مؤلفاته في حياته وتمزيقها علانية من قبل اعدائه وفي ذلك يقول :

وان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركابي وينزل ان انزل ويدفن في قبري
دعوني من اطراق رق وكاغد وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
والا فعودوا في المكاتب بدأة فكم هون ما تبغون لله من ستر

وله من قصيدة يخاطب بها حساده :
انا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيي ان مطلعني الغرب
ولو اتني من جانب الشرق طالع لجد على ماضع من ذكرني النهب
الى ان قال :

هناك تدري ان للعبد قصة وان كساد العلم آفته القرب
وان مكاناً ضاق عني لضيق على انه فيح مهامه سهب
وان رجلاً ضيعوني اضيع وان زماناً لم اتل خصبه جذب
طوق الحمامة

ولم يتعرض لذكر طوق الحمامة من مؤلفاته من ترجموه غير المقرئ في نفح
الطيب حيث قال : قال ابن حزم في طوق الحمامة انه مر يوماً هو وابو عمر
ابن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الخطابين بمدينة اشبيلية فلقبهما شاب حسن
الوجه فقال ابو محمد هذه صورة حسنة فقال له ابو عمر لم تر الا الوجه فلعل
ماسترته اثياب ليس كذلك فقال ابن حزم ارتجالاً :

وذي عدل في من سباني حسنه يطيل ملامي في الهوى ويقول
أمن اجل وجه لاح لم تر غيره ولم تدرك كيف الجسم انت عليل
فقلت له أسرفت في اللوم فأتد فعندي رد لو اشاء طويل
ألم تر اني ظاهري وانتي على ما ارى حتى يقوم دليل
وقد ذكر هذا الكتاب ابن القيم الجوزية في كتابه روضة المحبين في
غير ما موضع

اقوال العلماء فيه

قال ابن صاعد وفيه قال ابو العباس العريف كان لسان ابن حزم وسيف
الحجاج بن يوسف الثقفي شقيقين

— ي —

وقال الحافظ ابو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي مارأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين ومارأيت من يقول الشعر على البديهة اسرع منه

وقال بن بشكوال في حقه كان ابو محمد اجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والاخبار

وقال الذهبي : وكان اليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل العربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسودد والرياسة والثروة وكثرة الكتب

وقال الغزالي رحمه الله تعالى : وجدت في اسماء الله تعالى كتاباً لابي محمد ابن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه

وقال ابو مروان بن حيان : كان ابو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق باذيل الادب مع المشاركة في كثير من انواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة وله في ذلك كتب كثيرة

خاتمة

هذا طرف من سيرة هذا الامام الكبير ، والوزير الخطير ، ترى منها صفاء نفسه ، ورقة شعوره ، وعلو همته ، وشدة مراسه ، وثبات اعتقاده ، وقوة يقينه ، وتعلم انه بهذه المواهب النادرة استطاع ان يكون وزيراً بارعاً في السياسة ومؤلفاً بارعاً في الادب ، وفقهاً اماماً في المذهب ومناخلاً ثابتاً في النضال ، رحمه الله وغفر له .

دمشق : غرة ذي الحجة ١٣٤٩

محمد بن الحسين بن عبد الله

مقدمة

بقلم الشاعر العربي الكبير الاستاذ البرم

ماوفق البشر ولن يوفق الى خدعة اطرف ولا اطرف من خدعة تكريم
العطاء وتعظيم النابغين والتنويه بذكرهم ودلالة الناس على سر عظمتهم والرفع
من اقدارهم الى حيث ينالون بعض مايجب لهم من لهج الناس بهم والحرص
على ما أسأروه من آثار قيمة ومتاع باق مستقر
ولهذا ما نراه ونسمع به من اقامة المهارج والاحتفال في عقد المواسم ورفع
النصب والتماثيل والحفاوة باخراج الكتب بتراجم الرجال واحوال العبقريين
فرادى ومجتمعين

وسواء أكان النابغ فاتحاً قدف بنفسه في لهوات الموت في الذود عن امته
او عالماً أذاب مهبته في مهبج الحنادس وقضى دهره بالاستنباط والتأليف او مخترعاً
وقف عمره على نفع ابناء جلدته او الانسانية جمعاء ، او شاعراً سكب روحه دموعاً
ونفسه حبرات واراق دمه بعبرات بل شعر يبقى بقاء الدهر ويجري جريان
الفلك ، فان للامة من تكريمه والصعود بشأنه غاية واحدة لا تتعدى
الارتفاق بما تركه لها من تراث . ولا فرق عندها ان يكون هذا التراث سيرة
او علماً ، اختراعاً او شعراً ، او اي شيء غير ذلك مما يعود عليها بالنفع

وقد تنذر الامة بنفسها فيذهب بها الظن الى ان تحفيها بنابقها ان هو الا
الارحية المهيمنة وهزة الكرم الغالبة في حين ان من تغنى بشأنه وتشيد بذائع
صيته كثيراً ما يكون ممن اوسعهم مقتاً وهجراناً وطوت كشحها عنهم جفاء واعراضاً

فلم ينالوا من برها الا انهم نجوا بعض النجاة من كيدها وعدوانها اذ لم تكن المباشرة قتلهم الا بغمطها حقوقهم والانصراف عنهم والتلوي بمن لا يعلق بغبارهم حتى اذا مات احدهم بحسرتة حثف أنفه تلك الميتة البائسة الشقية وقبض الله له من نظرائه البائسين او غير البائسين من يجمع اخباره ويدون أحواله ويشير الى القيم من آثاره ليحلله التاريخ من صدره مكاناً رجباً ومقعد صدق مكين ثم استمر الفلك في دورته والايام في تقلبها ، واعتورت الامة الاحداث ومست الحاجة الى الارتفاق بما ترك ذلك النافع هبت الامة او نفر منها تعلی من امره وتحیی ما كاد يندثر من ارثه . وهذا لا يكون منها على الغالب الا بعد ان تطمئن من انه امسى سراً مكتماً بين ثنايا التراب ونهباً مقسماً في احشاء ديدان الارض . اي لاتفعل هذا شيء من العطف عليه او الحير تريده له بل لتثير به الهمم وتحرك النفوس وتبعث في بعض القلوب نار التأسى وحرارة حب الاقتداء فلا تعدم من انبائها على وجه الدهر وكر الاعصار رهطاً يجرود بنفسه على التفادي في سبيلها في ناحية من نواحي الحياة

واكبر فائدة تجني من كتب التراجم أو التاريخ على الجملة هي ان يكون للعظمة سبيل لايعفورسها ولاتمحى معالمها فلا يعدم طالب المجد في كل امة من مختلف الشعوب من نظرة في كتب التاريخ تكون له نبراساً فيما يطمح اليه وفرقداً وضاء ينير له طريق ما يقتحمه ويسمو اليه فيأمن العثرة ويتجنب مواطيء الكبوة

ولو كان لكل امة ان تفاخر بمن مضى من رجالها العميرين ، وافذاذها الغابرين . واتهى الامر لهذه الامة العربية لكان لها من عظماؤها ونوابغها العدد الدثر والحظ الاوفر ولنالت القدح الملى والمكان الارفع بين امم الارض وقد جرت السنة ، ونعم السنة ماجرت ، ان تعاد الكرة بالتنبية على قدر كل عظيم عندما يراد الاتفايح بشيء مما نسجته بنسائه ، او قذف به خاطره .

وابن حزم ، ولا كفران ، في الذروة من اولئك الذين يجب ان تستشار بهم همم
 النابغين وتحرك بذكرهم عبقرية العبقرين . وان من بعض الوفاء للتزيغ والعلم
 لا لابن حزم ، ان نعرض على الناس من ابن حزم صورة صادقة بقدر ماتنفرج
 لنا مسافة القول في هذه الكلمة الموجزة نجلو بها من حقيقة امره وكنه ذاته
 ما يغري مطالع كتابه هذا بان يتبع كل أثر من آثاره ، وما اكثرت هذه الآثار
 وأعرقها بالبقاء لو رفقت بها او أبقّت على مجموعها يد الدهر العاتية

لم يستطع احد ممن تكلم عن ابن حزم ان يصعد بنا الى القمة التي تربع
 ذروتها ، واحتل قتها كما انهم عجزوا بعض العجز او كله عن ان يأخذوا بيد
 قاريء ترجمته الى حيث يجب ان يقف من اعظام الرجل واكباره . وكأنه هو
 لما رأى بوار ذلك من اهل دهره في اقليمه لم يشأ ان يحرمنا من نفثات
 يعرفنا بها بعض ما خشي ان يغمطه بعد الموت ، فمن تلك النفثات هذه النقطه
 وفيها صورة بينة تشير الى حرقه متأججة ، وحسرة صالية على ماسلبه الدهر من
 مكانة ، وحرمة من علو . قال :

انا العلق الذي لاعيب فيه سوى بلدي واني غير طاري
 تقر لي العراق ومن يليها واهل الارض الا اهل داري
 طووا حسداً على اب وفهم وعلم ما يشق له غباري
 فهما طار في الآفاق ذكري فما سطع الدخان بغير نار

ولولا ما مني به من علماء عصره ، وشهرهم الحرب عليه وانهاء هذه الحرب
 بتراجعه بعد احراق كتبه وفراقه قرطبة مهد عزه ، ومثوى عظمته ومثار عبقرية
 ونبوغه ، الى موطن اجداده حيث قضى ولولا انه كان جريئاً متمرداً على
 الاقدمين ، نقاداً وثاباً على غير المخلص من العلماء ، من حاضر او ماض ، صلب
 العريكة ، صعب المقادة ، صلداً فيما ترجى فيه الهوادة ويطلب اللين يحمل بين
 فكيه اللسان العضب الذي قيل فيه ، انه شقيق سيف الحجاج ، لكان

ابن حزم في الاندلس بلا نزاع صخرة واديها وحجر الارض فيها ورجل الدهر في عامة امصارها ، ولقد سامت الحق او واشكته من قال : ان ابن حزم كان يجهل سياسة العلم لانه كان يجادل من خالفه على استرسال في طباعه وبذل بأسراره ، ولم يكن يلفظ صدعه بما عنده بتعريض ، ولا يرقه بتدريج بل كان يصك معارضه به صك الجندل ، وينشق متلفعه انشاق الجرذل . فنفر عنه القلوب وألب عليه الخصوم

وناهيك برجل ينشأ في مقاصير العز والتراء ، على عروش الحكم واسرة الجدد يتردد من نبله وعلمه ورتبته عند السلطان بين عرش يحمله ربه وسرير يمتطي صهوته متقلباً على طنافس النعيم ونمازق السعادة يشمخ بانفه عن الوزارة وينأى بطرفه عن حجة الملوك فلا يرى متعة لنفسه الا السعي وراء العلم للعلم . فلا يزال يسمو ويرتقي ويقرأ ويكتب ويؤلف على منابر الذهب والفضة ، على ما في الجدة والنعيم من مشغلة عن العلم ، حتى يكون له من التأليف ما لا يكون لرجل غيره في العرب قاطبة الا ابن جرير الطبري في المشرق ، ولو انصفه رجال دهره ورزق شيئاً من اللين فيما يصدع به من امره وما يحاوله من اصلاح في الدين والعلم لانضوى تحت لوائه كل حامل محبرة او عمل في علم ودين

رجل هذا شأنه يطلب اليه احد اهل معرفته ان يضع له كتاباً في الحب على بعد مكانه وسمو مكاتته عن الكلام في الحب . فلا يعدم من كرم خيمه ، ورقة طبعه أريحية مضطربة ، وقريحة مطواعة ، وخاطرأ سمحاً وقلمأ يرسل من بين شقيه شؤبوباً من جزل القول ورصينه يتدع ذلك ابتداءً ، ويرتجله ارتجالاً من غير سابق عهد به او أثر يجري عليه ويحتذي حذوه . واني لا عجب مهما ترفعت عن العجب لهذه النفس ، نفس ابن حزم الذائبة المكسومة بسهام الصبوة العفة بل الروح الخضلة الندية بماء الشغف والشوق تلك الروح الناعمة التي صقلتها رحمة الحب الطاهر وثققتها نار الكلف بالجمال . كيف تحدثك اصدق

الخبر عما كان لها وعليها في غابر دهرها وعنفوان شرخها ، وتقضي اليك بان كان لها الحظ الاوفر من احترام ماخطته بنان الخالق من حسن وجمال ، وما وقعته على صفحة الوجود من بديع الصور . ذلك الاحترام الطاهر من درن الريبة كما اراد ان يدلنا عليه في اول كتابه وآخره حيث قال : وسأورد في رسالتي هذه اشعاراً قلتها فيما شاهدته فلا تنكر انت ومن رآها علي اني سالك فيها مسلك حاكي الحديث عن نفسه ، فهذا مذهب المتحلين بقول الشعر واكثر ذلك « فان اخواني يجشموني القول فيما يعرض لهم على طرائقهم » ثم بعد شيء من وصف شأن الحب يقول « واني لاعرف هذا وائقته ومع هذا يعلم الله وكفى به عليا اني بريء الساحة ، سليم الاديم ، صحيح البشرية ، نقي الحجرة » ويدخله الجزع فيرجع فيقول في آخر الكتاب : « وانا اعلم انه سينكر علي بعض المتعصين تأليني لمثل هذا ويقول : انه خالف طريقته وتجاوى عن وجهته ، وما أحل لاحد ان يظن في غير ماقصده

الـ حب قديم والبشر (ان لم نقل الحيوان) نتيجة من نتائجها وقد عرفه الانسان قبل ان يعرف الكلام فهو رفيق البشر منذ طفولة البشرية والكلام فيه يرجع الى العهد الذي اخذ الانسان يعبر فيه عما يخامر من نوازع نفسه ومضطرب فؤاده وقد كان نصيب الامم من الاجادة في نعته والكلام عليه اكثرأا واقلا لا تابعا لحظها منه وعلاقته من ارواحها ونفوسها ولقدار مآلديها من صفاء القرائح وقوة الطباع على القول والوصف والتخيل

والامة العربية احدى الامم التي كثر حظها من الحب ونصيها من الكلام في شأنه لركة طباعها ولين عواطفها وتجاوى اكبادها عن الغلظة وقلوبها عن القسوة الا في بعض مواطن الغضب لما يوجه الذود عن الاعراض والنفوس ، فقد عرف العرب الحب وتغنوا في تعريفه ونعته ووصفه حتى صار الشغل الشاغل

للجم الكثير ممن وهب قوة القول منهم سواء في ذلك الشاعر والنثر والعالم والفقيه والمحدث والمتصوف والحكيم

وقد اوسعوا له من لغتهم سعة تدل على مكانه من نفوسهم ومكانهم من الفلسفة الفطرية ومقدار مابديهم من الخلابة والاقناع فلو جمع ماخصوه به من الشعر والنثر المبتوث هنا وهناك من كتب الادب والتاريخ والاجتماع لضاقت عنه ضخام الاجلاد مما لم تستطع فلسفة القرن العشرين اي الفلسفة الحديثة بما دعمها من فن وعلم وما تقدمها من فلسفات ان تريد عليه شيئاً يذكر

وقف العرب من لغتهم للحب طائفة بل طوائف من الالفاظ تغدو وتروح بين اسم له او صفة تلازمه او حال ينتهي اليها هو او من وحل به وتورط في هوته مما لم تتسع للجود به يمين لغة من لغات البشر وقد اتى على معظم ذلك ابو بكر ابن قيم الجوزية في كتابه روضة المحبين فكان ما جمعه من ذلك خمسين لفظة تعهدها بالشرح وتفقدتها بالتحقيق والتدقيق مثل الحب والعشق، والشوق والهوى، والصبابة والشغف، والملة والوجد، والكلف واللوعة، والتيم والغرام. مما يجمل الوقوف عليه بكل ذي اربة يود ان يعرف ما لاجداده العرب من خواطر ملهمة واحوزية خارقة

ومهما قال القائلون في الحب فلن يتجاوزوا في الدنو من اصابة المرمى، والوقوع على ما يشبه الحق قول ابن سقاء الكوفة احمد بن الحسين المتبي اذ قال :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت اني اسلم
ولم يقصر عنه في الاحسان من قال :

يقول اناس لو نعت لنا الهوى فوالله ما ادري لهم كيف انعت

فليس لشيء منه جد احده وليس لشيء منه وقت موقت

وما اصدق قول احد العرب واجله واجمه واوجزه وقد وشي اليه بان ابنه

— ف —

يجب فقال : دعوه فانه يلطف وينظف ويظرف . وقال احد الفلاسفة : لم أر حقاً اشبه بباطل ولا باطلاً اشبه بحق من العشق : هزله جد وجده هزل وأوله لعب وآخره عطب ، وقيل لابي زهير المدني ما العشق فقال : الجنون والذل ، وهوداء اهل الظرف وما احسن قول الشاعر :

انذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخر جليداً
وقول الآخر :

(وما سرني اني خلي من الهوى ولو ان لي ما بين شرق ومغرب
ولآخر :

(وما احببتها فحشا ولكن رأيت الحب اخلاق الكرام
وسأل المأمون يحيى بن اكيثم عن العشق ما هو فقال هو سوانح تسنح للمرء فيتم بها قلبه وتؤثرها نفسه وكان ثمامة بن اشرس حاضراً فقال اسكت يا يحيى انما عليك ان تجيب في مسألة طلاق او محرم صاد ظيماً او قتل نمة فاما هذه فمسائلنا نحن فقال له المأمون قل يا ثمامة فقال : العشق جليس تمتع واليف مؤنس وصاحب ملك مسالكة لطيفة ومذاهبه غامضة واحكامه جائرة ملك الابدان وارواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها واعطي عنان طاعتها وقود تصرفها توارى عن الابصار مدخله وعمي في القلوب مسلكه فقال له المأمون احسنت والله يا ثمامة وامر له بالث دينار

وكلام الناس في الحب على اختلاف أصقاعهم وتناهي اقاليمهم وتباين اجناسهم يكاد يكون متفجراً من معين واحد لان الحب واحد والبشر فيه سواسية وهو « حق لا يجوز ان يحرم احد منه » فقد يقذف الشرقي الكلمة في شأن من شؤون الحب فتجيء وفق كلمة قالها الغربي كأن الكلمتين صدرتا عن ضمير واحد ، فما يجري هذا الجرى ويسلك هذا النهج من الاتفاق ان احدى محاكم فرنسا وضعت قانوناً للحب جاء فيه ، ولعله احسن ما فيه : « كل عمل يعمل به الحب

ينتهي بالتفكر في حبيبه » وهو معنى عرض لكثير عزة قبل اثني عشر قرناً
وزيادة في حال وقعت له تراء بيناً في الثالث من هذه الايات قال :

سيهلك في الدنيا شقيق عليكم اذا غاله من حادث الدهر غائله

يود بان يمسي سقيماً لعلها اذا سمعت عنه بشكوى تراسله

ويرتاح للمعروف في طلب العلى لتحمد يوماً عند عز شمائله

وقد اراد الديق الى معنى البيت الاخير السيد توفيق البكري صاحب كتاب
صهاريج اللؤلؤ فضل الطريق واخفق في ستر الاختلاس فانتزعه انتزاعاً شائئاً
مع بعض الاحسان بزيادة المعنى فقال :

واطلب المجد والمكر مات لتحسن لي شيمة عندك

وقبيح بنا الانشاط القاريء لذة القصة التي دعت كثيراً لارتجال الايات
الثلاثة وهي من غرائب الاتفاق وطرائف قصص العرب وذلك انه كان لكثير
غلام يتجر على العرب فاعطى النساء الى اجل فلما اقتضى ماله منهن وفهن
عزة ماطلته فقال لها يوماً وقد حضرت في نساء ، اما آ ن ان تقي بما عندك
فقلت كرامة لم يبق الا الوفاء فقال صدق مولاي حيث يقول :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها

وهو بيت مشهور من قصيدة لكثير بحبيته عزة هذه فقلن له أتدري من
غريمك فقال لا فقلن هي والله عزة فقال اشهدكن على انها في حل مما عندها
ومضي واخبر كثيراً بالحكاية فقال : وانت حر وما عندك لك وكان ماوجه اياه
الف دينار وانشد الايات المتقدمة وفيها من الصراحة مايفر منه اكثر الناس وهو
ان ما اتاه بقلته هذا وما حرص ويحرص عليه من استجاع انواع المكارم وضروب
الحامد ان هو الا لينتهي اليها ويقرعه سمعها

وطوق الحماة ان صح انه اول كتاب اخرج للناس في الحب فهو على
كثرة ما الف بعده في موضوعه لايزال ينفرد بحاسن ويعتصم بخصائص تقضي

له بالسكينة العليا بين هذه الكتب فمن ذلك المامه ببعض ما يتفاهم به المتحابون
وتعريجه على الخوض في معرفة سياسة الحب وما يلزم الوحل فيه من حذر
واحتراس وعطفه على التماس العلة في ان النساء اكثر تعرضاً للحب واشد اشتغالا
به من الرجال لكثرة فراغ النساء وزيادة مشاغل الرجال ، ولست بواجد عند
احد ممن الف في الحب مثل قول ابن حزم في باب الهجر عن هية المحبوب
وما تبلغه الذلة من العاشق امام المعشوق كما انه قد زه كتابه عن كثير مما شان
به المؤلفون في الحب كتبهم من اوهام وابطيل فانك لا ترى في طوق الحماسة شيئاً مما
شحن به صاحب تزيين الاسواق كتابه من الحرافات السمجة والاوهام المستبعدة
وما تظرف به بحان الشعراء من ادعاء عشق الحيوان ووضعهم الشعر عن لسان
العشاق من الحمير وغيرها مثل الزاغ !! فهو يعتذر في اول الكتاب عن ترك
ما هو اولى من هذا بالتدوين فيقول : « ودعني من اخبار الاعراب والمتقدمين
فسيبيلهم غير سبيلنا وقد كثرت عنهم الاخبار وما مذهبي ان اضي مطية سواي
ولا اتحلى بحلي مستعار »

وان في هذا الاسم طوق الحماسة من الخيال والشعر والجلابة والحسن
والنعومة والطراوة ما يشعر بان الاندلسيين قد بلغوا من التأنق والتلطع في
انتقاء الالفاظ واستخدامها والتصرف بها في وجوه التسمية حداً كادوا ان
يبروا به على من تحدوهم وجروا على آثارهم من البغادة والمشاركة وسيمر بك
مما يدل على حذق الاندلسيين هذا الشيء الكثير امثال : صبح ، وغزلان
وخلوة ، ودعجاء ، وطروب ، وواحد ، اسماء لجوار وعجيب اسم لغلام

وما لاريب فيه ان عمل ابن حزم في تأليفه هذا انما هو عمل القاب الجريح
للكدب المصدوعة والروح المتألمة للارواح البائسة تجد فيه النفوس من المتعة والسلوة
ما لا يجده التميم المهجور في النديم المساعد المخلص على الراح . وجيل بنا وقد
دللنا على بعض محاسن طوق الحماسة ان تناولها بشيء من النقد وان كان انما

كتبها لصديق وانه قد اخذ على نفسه ان لا يبحث فيها الا بما علمه وشاهده
وحل عنده محل اليقين من نفسه واهل عصره

لم يحسن ابن حزم باقتضاره على شعره في طوق الحمامة فقد قيد نفسه من
هذا بقيد ضيق عليه المضطرب وثقل من خطاه وقصر من مدى جريه وكف
من جولانه في طيات الموضوع وكأن ابن حزم لم يكن يريد ان يحشر مع
الشعراء او يطالع على الناس بديوان شعر اكتفاء بمكاته العلمية وزعامته الدينية
وصعب عليه ان تعبت يد الضياع بمامة شعره فآثر ان يجعل من طوق الحمامة
مدخراً أميناً وحرزاً مكيناً على هذا المقدار من شعره

ومهما اخطأ التوفيق ابن حزم بعمله هذا فقد افادنا ما كان يخامره من
الصبوة الى نظم الشعر والزعة الى صناعته وانه كان يغالب نفسه ويخالبها في
صرفها عن الشعر وانه لو لم يكن ذلك الفقيه الكبير والحدث العظيم رجل المنطق
والكلام وفحل الجدل والمناظرة والبالغ من الفلسفة درجة التجويد لكان للاندرلس
منه شاعر لا يدع الى جانب اسمه ذكراً لشاعر في قطره فضلاً عن ان يختصاره
على شعره قد حال بينه وبين شيء من الاحسان واقام حاجزاً دون بلوغه
الغاية المرجوة من امتاع القاريء لانه كثيراً ما شرع بإيراد خبر فاذا بلغ مكان
اللذة منه بتره فجأة وحملك على ان تقرأ قطعة شعرية له تشبه ذلك الخبر او تجري
مجراه ولا تحوي الا شيئاً قليلاً من طرافته ولذته . وخير ما يقال في شعر ابن حزم
انه صوب قريحة قطن في جوانبها من الفلسفة والفقه والكلام ما يفسد على اكثر
الشعراء شاعريتهم ولهذا تراه ينحدر في شعره ويسف بقدر ما يترك من قياده
للفلسفة والكلام يذهبان به ويحيثان في اغراض تلك مرة وما رب هذه اخرى
ولو نجا من ذلك لجاء من شعره ما يجري مع الطبع ويتغلغل في اجزاء النفس
ويشتد شبهه بكلام العرب ولثل من صباية اهل البادية المزوجة برقة الحضرة
وخنوته وما يتبع هذا من ذل وضرع واستكانة وتهافت على عتبات الخضوع

لسلطان الهوى وجبروت الحب ما لا يقل عن شعر كثير وحيل وابن ابي ربيعة
وذى الرمة

ولم ينج بن حزم من الوقوع في احابيل الفلسفة في اول كتابه فقد اوشك
ان يرتبك بعض الارتباك حين قسم اعراض الحب ثم فطن الى ان الحب انما
هو عرض فجعل ذلك من مجاز اللغة واقامة الصفة مقام الموصوف وهو قول
مستمد من قول القدماء من ان العرض قد يرتفع الى مقام الجوهر فيكون له
من الاعراض ما للجوهر وهو قول يتردد بين السفسطة والحلافة وقد نظمه احد
شعراء العرب فقال :

فسد القياس فللغرام قضية ليست على نهج الحجبى تنقاد

منها بقاء الشوق وهو بزعمهم عرض وتفى دونه الاجساد

وخرافة اخرى علق ابن حزم في طوق الحمامة فلم ير لنفسه متدحاً عنها
وهي ذهاب فلاسفة اليونان الى ان الارواح كانت لها قبل اتصالها بالاجسام
وهبوطها من عالمها الاول الالة وتمازج وحب فلما بشرت هياكلها من الاجساد
كان لها من الحنين وتزوع بعضها الى بعض بقدر ما وجدته من شفاقة الاجساد
ورقتها ولطافتها ومروتها وقد علق ابن حزم بشرك هذا الوهم ولكنه اجاد
في صوغه وتعليقه وموه له زخرفاً براقاً مشى به الى ما يزدلف من الحقيقة كما
اجاد «معاصره» ابو علي بن سينا في عينيته بالروح وهي قصيدة مشهورة شرحها
كثيرون ومطلعها :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وقد اح الشعراء من المتصوفة كابن الفارض وغيره يقلبون هذه الفكرة
ويوردونها على وجوه مختلفة يتغنون بها حسب مآلدهم من قوة الشعر، ولقد
اجاد وظرف وحسن الخبرارزي الشاعر في حوك هذه الخرافة فقال :

ولكن ارواح المحبين تلتقي اذا كانت الاجساد عنهن نومة
واحسب روحينا من الاصل واحد ولكنه ما بيننا قد تقسما
ولو لم يكن هذا كذا ما تأملت له مهجتي في الغيب لما تألما
ولا بن الفارض نظم في هذا المعنى :

بيني وبينك في المحبة نسبة مطوية من قبل هذا العالم
نحن اللذان تعارفت ارواحنا من قبل خلق الله طينة آدم

وقد يكون ابن حزم اول من اطل على الناس بمؤلف في الحب الا اذا
كان ابن سينا في الشرق قد تقدمه بوضع رسالة في العشق لان وفاة ابن حزم
تأخرت عن وفاة ابن سينا بثمان وعشرين سنة كما ان ابن سينا تقدم ميلاده
لدة ابن حزم باربعة عشر عاماً ولا اعتقد ان واحداً منهما وقع اليه ما كتبه
الآخر في الحب يدل على ذلك اختلاف المنحى وتباين الجهة في مقصد التأليف
على ان رسالة الرئيس ابن سينا لا يصح في حال من الاحوال ان تسمى
تأليفاً وان كان سبب كتابتها الاقتراح كما اقترحت رسالة ابن حزم وان هي
الافكرة فلسفية عرضت له كما عرضت لمن تقدمه وتأخر عنه من فلاسفة اليونان
والاسلام والصوفيين فتكلموا بالفلسفة باسم الحب واستخدموه لاغراضها كما
استخدم اخوانهم النحاة المنطق لاغراضهم (لا اغراض النحو) فافسدوا النحو
على العرب كما افسد هؤلاء البحااث الحب فانك لترى ابن سينا على جلالة قدره
وعلمه يتكلف ويحشم نفسه محاولة اثبات ان العوالم الثلاثة الجماد والنبات والحيوان
بانواعه خاضعة لقانون الحب مدعنة لنا موس تجاذبه فيبلغ في معالجة ذلك وتتبع
علله والتماس اسبابه حداً يكاد يشرف منه على السخف وينتهي الى ما يشبه الحق
(ان صح ان يكون سؤ التقليد سخفاً وحقاً) ولست بمحاول بهذا ان اضع
من شأن ابى علي وشأنه في العلم والفلسفة ما هو مشهور ولكنها الجهرة بالحق
والصدعة بامرء واجبة يقود اليها الاخلاص كما قاد ابن سينا وابن حزم وكلاهما

مأخوذ بعاطفة الدين يخشى ويتذم ويؤثر ان لا يؤثر عنه ما يخذش سمعته او يدفع بعض المتعصبين الى النيل من دينه ، فكما عد ابن سينا العشق من وجهته الحيوانية تقيصة وعاراً فقد نقل نقل مثبت واثق ان العقلاء الا كياس يعدون النظر الى الصورة الجميلة فتوة وتظرفاً واستنتج من هذا ونظائرُه ان الحب ليس حتماً فيه ان يكون حيوانياً وينتهي به البحث الى ان الحب مهما تخلله من قرب ولمس ان لم تكن الغاية منه الفحش تظرف وفتوة ورجولة ومرتوة وانه حيثما تكون الصورة الجميلة الحسنة فثمة الاعتدال في التركيب مما يفيد طيباً في الشائل وعدوبة في السجاياء ويجعل من هذا الحديث القائل : اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه ، وفي هذا من الاخلاص للعلم ما لم يوفق اليه بل ناصبه وعاداه بعض من الف في الحب وغيرهم ممن اخذ على عاتقه من طريق التحشية والشرح ان ينال من دين الناس نيل متسرع لا يدري من امور الدين الا ظواهر برافة محكوكة الجبهة بالثوم فأساء الى الناس والدين وزعم ان بين من يتوهم بهم اتيان الموبقات بين سمع الناس وبصرهم من لا يفهم من الدين بقدر ما يفهم ويؤذنه ويؤذيهم بقوله ان للمتقين مفازاً كأنهم يحولون بينه وبين مفازه او كأنه احرز صكاً بذلك المفاز ذاهلاً عن ان بين هؤلاء من يحمل قلباً يضطرب به من معرفة ذات الله وجوهر الدين مالا مطمح له ببعضه وان نقاء السرائر وطيب القلوب ليس بالتظاهر والدعوى

وما شبه كلمة ابن سينا هذه بقول ابن حزم في ماهية الحب وهي : الحب اعزك الله اوله هزل وآخره جد دقت معانيه لجالاتها عن ان توصف فلا تدرك حقيقتها الا بالعمارة وليس بمنكر في الديانة ولا بمحذور في الشريعة اذ القلوب بيد الله عز وجل

كان ابن حزم رحمه الله تنبأ بما سينسب بين العلماء من خلاف في اعتبار الحب اختيارياً عند قوم واضطراباً عند آخرين وان الفرقة الاولى تستنتج

من كونه اختيارياً ما يصح ان يكون سبباً لتحريمه فيوقعون الناس من الدين في حرج وهم وان اخلصوا في هذا للدين فانهم لم يخلصوا للفن الذي يكتبون فيه على ان الاخلاص في العلم فطرة لازمة لحامليه والناهضين باعبائه فلا تظن ان احداً ضمت جوانحه على شيء من العلم او اشتملت ترائبه على قليل او كثير مما يسمى فناً الا وفي قلبه جذوة تنوقد وتهيب به ممسكة بمقادته الى الاخلاص طوعاً او كرهاً مهما اعتورت طريقه العثرات واتصب امامه من عقاب الامن كان دخيلاً في العلم دعياً بين ابنائهم

وما دام امد القول في شأن ابن حزم يجب ان يكون قصيراً وجلبه مقتضياً عن التطويل فلا بأس ان نخرج الى كلمة ختام يحتمها علينا الاجاز ويدعو اليها المقام ويقضي بها الرفق بالناشر وهو انما طبع كتاباً لا يعوزه اكثر من تعريفه الى قرائه مع شيء من ذكر قيمة مؤلفه وان كان الواجب يقضي علي بان امد في نفس القول كيداً به ونكاية له وطلباً لارهاقه بزيادة نفقة الطبع كما ارهقني وحلاني على الكتابة اشد ما كنت مقترباً الى الراحة وترك التفكير بيد اني رجعت الى نفسي وفطنت الى ان لا خطر ولا ضرر عليه من هذا مادام القراء هم القائمون بهذه الزيادة في الانفاق راضين او مكريهين، وهم المستحقون للعقوبة لانهم اصل البلاء ولولاهم لاستراح كثير من القرائح والاقلام في هذا العصر . وكفى القراء عقوبة ان لا سبيل لهم الى هذا الكتاب المتع الا عن طريق هذه المقدمة فهي فطرة لا يشجو من تكلف عبورها الا من يحسن الفطرة ويجيد النزوة، وما اخاهم فاعلين وقد دفعوا ثمنها في جملة ثمن الكتاب .

« محمد البزم »

(بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين)

قال ابو محمد عفا الله عنه افضل ما ابتدئ به حمد الله عز وجل بما هو اهله
ثم الصلاة على محمد عبده ورسوله خاصة وعلى جميع انبيائه عامة . وبعد عصمتنا
الله واياك من الحيرة ولا حملنا ما لا طاقة لنا به وقبض لنا من جميل عونه دليلاً
هادياً الى طاعته ووهبنا من توفيقه ادباً صارفاً عن معاصيه ولا وكلنا الى ضعف
عزائنا وخور قوانا ووهاء بنيتنا وتلد (١) ارائنا وسؤ اختيارنا وقلة تمييزنا وفساد
اهوائنا فان كتابك وردني من مدينة المرية الى مسكني بحضرة شاطبة تذكر
من حسن حالك ما يسرني وحمدت الله عز وجل عليه واستدعته لك واسترذته فيك
ثم لم البث ان اطلع على شخصك وقصدتني بنفسك على بعد الشقة وتناهي الديار
وشحط المزار وطول المسافة وغول الطريق وفي دون هذا ما سلى المشتاق
ونسى الذاكر الا من تمسك بحبل الوفاء مثلك ورعى سالف الازمة (٢) ووكيد
المودات وحق النشأة ومحبة الصبي وكانت مودته لله تعالى ولقد اثبت الله بيننا
من ذلك ما نحن عليه حامدون وشاكرون وكانت مغازيك في كتابك زائدة
على ما عهده من سائر كتبك ثم كشفت الي باقبالك غرضك واطلعتني على
مذهبك سجية لم تزل علينا من مشاركتك لي في حلوك ومرك وسرك وجهرك
يحدوك الود الصحيح الذي انا لك على اضعافه لا ابتغي جزاء غير مقابلته بمثله
وفي ذلك اقول مخاطباً لعبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة بن امير المؤمنين
التاصر رحمه الله في كلمة لي طويله وكان لي صديقاً

اودك ودأ ليس فيه غضاظة وبعض مودات الرجال سراب

(١) لدده خيره (٢) الذمام الحق : الحرمة : والجمع ازمة

والمحضتك النصيح الصريح وفي الحشى
فلو كان في روجي هواك اقتلعتي
وما لي غير الود منك ارادة
اذا حزته فالارض جمعاء والورى

ولكفتني اعزك الله ان اصنف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه واسمايه
واعراضه وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة لا متزيداً ولا مفتناً (١) لكن مورداً
لما يحضرنى على وجهه وبحسب وقوعه حيث انتهى حنظلي وسعة باعي فيما اذكره
فبادرت (٢) الى مرغوبك ولولا الايجاب لك لما تكلفته فهذا من الفقر والاولى بنا
مع قصر اعمارنا الا نصرفها الا فيما نرجو به ربح القلب وحسن المآب
غداً. وان كان القاضي حمام بن احمد حدثني عن يحيى بن مالك عن عائذ
باسناد يرفعه الى ابي الدرداء انه قال اجموا النفوس بشيء من الباطل ليكون
عوناً لها على الحق. ومن بعض اقوال الصالحين من السلف المرضى: من لم يحسن
يتقى لم يحسن يتقوى. وفي بعض الاثر: اريحوا النفوس فانها تصداً كما يصدأ
الحديد. والذي لكفتني فلا بد فيه من ذكر ما شاهدته حضرتي وادركته عنايتي
وحدثني به الثقات من اهل زمانني فاعتقر لي الكناية عن الاسماء فهي اما عورة
لا نستجيز كشفها واما نحافظ في ذلك صديقاً ودوداً ورجلاً جليلاً وبحسبي ان
أسمى من لا ضرر في تسميته ولا يلحقنا والمسمى عيب في ذكره اما لاشتهار
لا يغي عنه الطي وترك التبيين واما ارضى من المحقر عنه بظهور خبره وقلة انكار
منه لنقله وسأورد في رسالتي هذه اشعاراً قلتها فيما شاهدته فلا تنكر انت ومن
راها عليّ اني سالك فيها مسلك حاكي الحديث عن نفسه فهذا مذهب التحليل
بقول الشعر واكثر ذلك فان اخواني يحشمونني القول فيما يعرض لهم على
طرائقهم ومذاهبهم وكفاني اني ذاكر لك ماعرض لي مما يشاكل ما نحوت نحوه
(١) فن الشيء خلطه: رأيه لو أنه ولم يثبت على رأي واحد (٢) في الاصل فبادرت

وناسبه اليّ والتزمت في كتابي هذا الوقوف عند حدك والاقتصار على ما رأيت اوضح عندي بنقل الثقات ودعني من اخبار الاعراب والمقدمين فسيبيلهم غير سبيلنا وقد كثرت الاخبار عنهم ومأذهبي ان انضي مطية سواي ولا تحلى بحلي مستعار والله المستغفر والمستعان لارب غيره

(باب) وقسمت رسالتي هذه على ثلاثين باباً منها في اصول الحب عشرة فأولها هذا الباب في علامات الحب ثم (باب فيه ذكر من احب في النوم) ثم (باب فيه ذكر من احب بالوصف) ثم (باب فيه ذكر من احب من نظرة واحدة) ثم (باب فيه ذكر من لاتصح محبته الامع الطاوله) ثم (باب التعريض بالقول) ثم (باب الاشارة بالعين) ثم (باب المراسلة) ثم (باب السغير) ومنها في اعراض الحب وصفاته المحموده والمذمومة اثنا عشر باباً وان كان الحب عرضاً والعرض لا يحتمل الاعراض وصفة والصفة لا توصف فهذا على مجاز اللغة في اقامة الصفة مقام الموصوف وعلى معنى قولنا وجودنا عرضاً اقل في الحقيقة من عرض غيره واكثر واحسن واقبح في ادراكنا لها علمنا انها متباينة في الزيادة والنقصان من ذاتها المرئية والمعلومة اذ لاتقع فيها الكمية ولا التجزي لانها لاتشغل مكاناً وهي (باب الصديق المساعد) ثم (باب الوصل) ثم (باب طي السر) ثم (باب الكشف والاذاعة) ثم (باب الطاعة) ثم (باب المخالفة) ثم (باب من احب صفة لم يحب بعدها غيرها مما يخالفها) ثم (باب القنوع) ثم (باب الوفاء) ثم (باب الغدر) ثم (باب الضنى) ثم (باب الموت) ومنها في الآفات الداخلة على الحب ستة ابواب وهي (باب العاذل) ثم (باب الرقيب) ثم (باب الواشي) ثم (باب الهجر) ثم (باب البين) ثم (باب السلو) من هذه الابواب الستة بابان لكل واحد منهما ضد من الابواب المتقدمة المذكور هو (باب العاذل وضده) (باب الصديق المساعد) (باب الهجر وضده) (باب الوصل) ومنها اربعة ابواب لا ضدها من معاني الحب وهي (باب الرقيب) و (باب الواشي) ولا ضد لها الا ارتفاعهما وحقيقة الضد ما اذا وقع ارتفع الاول وان كان المتكلمون قد اختلفوا في ذلك

ولم لا خوفنا اطالة الكلام فيما ليس من جنس الكتاب لتقصيناه ﴿ وباب البين
 وضده تصاقب الديار ﴾ وليس التصاقب من معاني الحب التي تسكلم فيها ﴿ وباب السلو
 وضده الحب بعينه ﴾ اذ معنى السلو ارتفاع الحب وعدمه ومنها بآبان ختمنا بهما
 الرسالة وهما ﴿ باب الكلام في قبج المعصية ﴾ و ﴿ باب في فضل التعفف ﴾ ليكون خاتمة
 ايرادنا وآخر كلامنا الحض على طاعة الله عز وجل والامر بالمعروف والنهي
 عن المنكر فذلك مفترض على كل مؤمن لكننا خالفنا في نسق بعض هذه
 الابواب هذه الرتبة المقسمة في درج هذا الباب الذي هو اول ابواب الرسالة
 فجعلناها على مبادئها الى متنها واستحقاقها في التقدم والدرجات والوجود ومن
 اول مراتبها الى آخرها وجعلنا الضد الى جنب ضده فاختلف في المساق في
 ابواب يسيرة والله المستعان وهياتها في الايراد اولها هذا الباب الذي نحن فيه
 وفيه صدر الرسالة وتقسم الابواب والكلام في ماهية الحب ثم ﴿ باب علامات الحب ﴾
 ثم ﴿ باب من احب بالوصف ﴾ ثم ﴿ باب من احب من نظرة واحدة ﴾ ثم ﴿ باب من
 لا يحب الامع المطاولة ﴾ ثم ﴿ باب من احب صفة لم يحب بعدها غيرها مما يخالفها ﴾
 ثم ﴿ باب التعريض بالقول ﴾ ثم ﴿ باب الاشارة بالعين ﴾ ثم ﴿ باب المراسلة ﴾ ثم
 ﴿ باب السفير ﴾ ثم ﴿ باب طي السر ﴾ ثم ﴿ باب اذاعته ﴾ ثم ﴿ باب الطاعة ﴾ ثم ﴿ باب
 المخالفة ﴾ ثم ﴿ باب العاذل ﴾ ثم ﴿ باب المساعد من الاخوان ﴾ ثم ﴿ باب الرقيب ﴾
 ثم ﴿ باب الواشي ﴾ ثم ﴿ باب الوصل ﴾ ثم ﴿ باب الهجر ﴾ ثم ﴿ باب الوفاء ﴾ ثم
 ﴿ باب الغدر ﴾ ثم ﴿ باب البين ﴾ ثم ﴿ باب القنوع ﴾ ثم ﴿ باب الضنى ﴾ ثم ﴿ باب
 السلو ﴾ ثم ﴿ باب الموت ﴾ ثم ﴿ باب قبج المعصية ﴾ ثم ﴿ باب نضل التعفف ﴾ .

﴿ الكلام في ماهية الحب ﴾

الحب اعزك الله اوله هزل وآخره جد دقت معانيه لجلاتها عن ان توصف
 فلا تدرك حقيقتها الا بالمعانة وليس يتمكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة اذ
 القلوب بيد الله عز وجل وقد احب من الخلفاء المهديين والائمة الراشدين كثير

منهم باندلسنا عبد الرحمن بن معاوية لدعجاء والحكم بن هشام وعبد الرحمن ابن
الحكم وشغفه بطروب ام عبد الله ابنه اشهر من الشمس ومحمد بن عبد الرحمن
وامره مع غزلان ام بنيه عثمان والقاسم والمطرف معلوم والحكم المستنصر واقتتانه
بصبح ام هشام ابؤيد بالله رضي الله عنه وعن جميعهم وامتناعه عن التعرض
للولد من غيرها. ومثل هذا كثير ولولا ان حقوقهم على المسلمين واجبة وانما
يجب ان نذكر من اخبارهم ما فيه الحزم واحياء الدين وانما هو شيء كانوا
ينفردون به في قصورهم مع عيالهم فلا ينبغي الاخبار به عنهم لاوردت من
اخبارهم في هذا الشأن غير قليل. واما كبار رجالهم ودعائم دولتهم فاكثر من ان
يحصوا. واحداث ذلك ماشاهدناه بالامس من كلف المظفر بن عبد الملك ابن ابي
عامر بواحد بنت رجل من الجبائين حتى حمله حبها ان يتزوجها وهي التي خلف
عليها بعد فناء العامر بن الوزير عبد الله بن مسلمة ثم تزوجها بعد قتله رجل
من رؤساء البربر. ومما يشبه هذا ان ابا العيش بن ميمون القرشي الحسيني اخبرني
ان تزار بن معد صاحب مصر لم ير ابنه منصور بن تزار الذي ولي الملك بعده
وادعى الالهية الا بعد مدة من مولده مساعدة لجارية كان يحبها حباً شديداً
هذام ولم يكن له ذكر ولا من يرث ملكه ويحيي ذكره سواه. ومن الصالحين
والفقهاء في الدهور الماضية والازمان القديمة من قد استغنى بشعارهم عن ذكرهم
وقد ورد من خبر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وشعره ما فيه
الكفاية وهو احد فقهاء المدينة السبعة وقد جاء من فتيا بن عباس رضي الله عنه
ما لا يحتاج معه الى غيره حين يقول هذا قاتل الهوى لاعتقل ولا قود. وقد اختلف
الناس في ماهيته وقالوا واطالوا والذي اذهب اليه انه اتصال بين اجزاء النفوس
المقسومة في هذه الخلقة في اصل عنصرها الرفيع لا على ما حكاه يحمدا بن داود
رحمه الله عن بعض اهل الفلسفة الارواح اكر مقسومة لكن على سبيل مناسبة
قواها في مقر عالمها العلوي ومجاورتها في هيئة تركيبها وقد علمنا ان سر

التمازج والتباين في المخلوقات انما هو الاتصال والافتصال والشكل دأبا يستدعي شكله والمثل الى مثله ساكنه وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد والتناظر في الازداد والموافقة في الانداد والتزاع فيما تشابه موجود فيما بيننا فكيف بالنفس وعالمها العالم الصافي الخفيف وجوهرها الجوهر الصعاد المعتدل وسنخها المهيأ لقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف والشهوة والنفار كل ذلك معلوم بالحضرة في احوال تصرف الانسان فيسكن اليها والله عز وجل يقول (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها) فجعل علة السكون انها منه ولو كان علة الحب حسن الصورة الجسدية لوجب الا يستحسن الاقص من الصورة ونحن نجد كثيراً ممن يؤثر الادنى ويعلم فضل غيره ولا يجد محيداً لقلبه عنه ولو كان للموافقة في الاخلاق لما احب المرء من لايساعده ولا يوافقـه فعلما انه شيء في ذات النفس وربما كانت المحبة لسبب من الاسباب وتلك تقنى بفناء سببها فن ودك الامر ولي مع انقضائه وفي ذلك اقول :

ودادي لك الباقي على حسب كونه تناهى فلم ينقص بشيء ولم يزد وليست له غير الارادة علة ولا سبب حاشاء يعلمه احد اذا ما وجدنا الشيء علة نفسه فذاك وجود ليس يقنى على الابد واما وجدناه لشيء خلافة باعدامه في عدمنا ما له وحد

ومما يؤكد هذا القول اننا علمنا ان المحبة ضروب فافضلها محبة المتحابين في الله عز وجل اما لاجتهاد في العمل واما لاتفاق في اصل النحلة والمذاهب واما لفضل علم يمنحه الانسان ومحبة القرابة ومحبة الالفة والاشتراك في المطالب ومحبة التصاحب والمعرفة ومحبة لبر يضعها المرء عند اخيه ومحبة لطمع في جاء المحبوب ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه يلزمهما ستره ومحبة لبلوغ اللذة وقضاء الوطر ومحبة العشق التي لاعلة لها الا ما ذكرنا من اتصال النفوس وكل هذه الاجناس فنقضية مع انقضاء عللها وزائدة بزيادتها وناقصة بنقصانها متأكدة

يدنوها فآخرة بعدها حاشى محبة العشق الصحيح الممكن من النفس فهي التي
 لافناء لها الابلوت وانك لتجد الانسان السالي بزعمه وذا السن المتناهية اذا
 ذكرته تذكر وارتاح وسبا واعتاده الطرب واحتياج له الحنين ولا يعرض في
 شيء من هذه الاجناس المذكورة من شغل البال والحبل والوسواس وتبدل
 الغرائز المركبة واستحالة السجيا المطبوعة والتحول والزفير وسائر دلائل الشجا
 ما يعرض في العشق فصيح بذلك انه استحسان روحاني وامتزاج نفساني فان قال
 قائل لو كان هذا كذلك لكانت المحبة بينهما مستوية اذ الجزءان مشتركان
 في الاتصال وحظهما واحد فالجواب عن ذلك ان نقول هذه لعمرى معارضة
 صحيحة ولكن نفس الذي لا يجب من محبة مكنته الجهات ببعض الاعراض
 الساترة والحجب المحيطة بها من الطبائع الأرضية فلم تحس بالجزء الذي كان
 متصلاً بها قبل حلولها حيث هي ولو تخلصت لاستويا في الاتصال والمحبة ونفس
 المحب متخلصة عالمة بمكان ما كان يشركها في المجاورة طالبة له قاصدة اليه
 باحثة عنه مشتية للملاقة جاذبة له لو امكنها كالمغناطيس والحديد قوة جوهر
 المغناطيس المتصلة بقوة جوهر الحديد لم تبلغ سن تحكمها ولا من تصفيتها ان
 تقصد الى الحديد على انه من شكلها وعنصرها كما ان قوة الحديد لشدها
 قصدت الى شكلها وانجذبت نحوه اذ الحركة ابدأ انما تكون من الاقوى وقوة
 الحديد متروكة الذات غير ممنوعة بحابس تطلب ما يشبهها وتتقطع اليه وتنهض
 نحوه بالطبع والضرورة بالاختبار والتعمد وانت متى امسكت الحديد بيدك لم
 ينجذب اذ لم يبلغ من قوته ايضاً مغالبة المسك له مما هو اقوى منه ومتى
 كثرت اجزاء الحديد اشتغل بعضها ببعض واكتفت باشكالها عن طلب اليسير
 من قواها النازحة عنها فتى عظم جرم المغناطيس ووازت قواه جميع قوى جرم
 الحديد عاد الى طبعها المعهود وكالنار في الحجر لا يبرز على قوة النار في الاتصال
 والاستدعاء لاجزائها حيث كانت الا بعد القدح ومجاورة الجرمن بضغطهما

— واصطكا كما والا فهي كامنة في حجرها لا تبدو ولا تظهر ومن الدليل على هذا
 — ايضاً انك لا تجد اثنين يتحابان الا وبينهما مشاكلة واتفاق الصفات الطبيعية لا بد
 — من هذا وان قل وكلما كثرت الاشياء زادت المجانسة وتأكدت المودة فانظر
 هذا تراء عياناً وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد (الارواح جنود
 مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) وقول مروي عن احمد
 الصالحين (ارواح المؤمنين تتعارف) ولهذا ما اغتم بقراط حين وصف له رجل
 من اهل النقصان يحبه فقيل له في ذلك فقال ما احبني الا وقد وافقته في
 بعض اخلاقه وذكر افلاطون ان بعض الملوك سجنه ظمأ فلم يزل يحتج عن
 نفسه حتى اظهر براءته وعلم الملك انه له ظالم فقال له وزيره الذي كان يتولى
 ايصال كلامه اليه ايها الملك قد استبان لك انه بريء فمالك وله فقال الملك
 لعمري مالي اليه سيد غير اني اجد لنفسني استغلا لا ادري ماهو فأدى ذلك
 الى افلاطون قال فاحتجت ان افقش في نفسي واخلاقي شيئاً اقابل به نفسه
 واخلاقه مما يشبهها فنظرت في اخلاقه فاذا هو محب للعدل كاره للظلم فيرت
 هذا الطبع في فاهو الا ان حركت هذه الموافقة وقابلت نفسه بهذا الطبع
 الذي بنفسه فأمر باطلاقي وقال لوزيره قد انحل كل ما اجد في نفسي له .
 واما العلة التي توقع الحب ابدأ في اكثر الامر على الصورة الحسنة الظاهر
 ان النفس حسنة تولع بكل شيء حسن وتميل الى التصاوير المتقنة فهي اذا رأت
 بعضها تثبتت فيه فارغ ميزت وراءها شيئاً من اشكالها اتصلت وصحت الحجة
 الحقيقة وان لم تميز وراءها شيئاً من اشكالها لم يتجاوز احبابها الصورة وذلك
 هو الشهوة وان للصور لتوصيلاً عجيباً بين اجزاء النفوس النائية وقرأت في
 السفر الاول من التوراة ان النبي يعقوب عليه السلام ايلم رعيه غدا لابن خاله
 مهرا لابنته شارطه على المشاركة في انساها فكل بهم ليعقوب وكل اخر للابن
 فكان يعقوب عليه السلام يعدد الى قضبان الشجر يساج نصفاً ويترك نصفاً

البرهان
 ان النفس

الصورة
 بالنفس

بحاله ثم يلتقي الجميع في الماء الذي ترده الغم ويتعمد ارسال الطروقة في ذلك الوقت فلا تلد الا نصفين نصفاً بهماً ونصفاً غراً وذكر عن بعض القافة انه اتى بن اسود لأبيضين فنظر الى اعلامه فرآه لهما غير شك فرغب ان يوقف على الموضع الذي اجتمعا عليه فأدخل البيت الذي كان فيه مضجعهما فرأى فيما يوازي نظر المرأة صورة اسود في الحائط فقال لأبيه من قبل هذه الصورة اتيت في ابك وكثيراً ما يصرف شعراء اهل الكلام هذا المعنى في اشعارهم فيخاطبون المرئي في الظاهر خطاب المعقول الباطن وهو المستفيض في شعر النظام ابراهيم بن سيار وغيره من المتكلمين وفي ذلك اقول شعراً منه :

ما علة النصر في الاعداء تعرفها وعلّة الفر منهم ان يفرونا
الا تراع نفوس الناس قاطبة اليك يا لؤلؤاً في الناس مكنونا
من كنت قدامه لا ينتهي ابدأ فهم الى نورك الصعاد يمشوننا
ومن تكن خلفه فالتفلس تصرفه اليك طوعاً فهم دأباً يكرونا
وفي ذلك اقول :

امن عالم الاملاك انت ام انسي ابن لي فقد ازرى بتميزي العي
ارى هيئة انسية غير انه اذا عمل التفكير فالجرم علوى
تبارك من سوى مذاهب خلقه على انك النور الانيق الطبيعي
ولاشك عندي انك الروح ساقه الينا مثال في النفوس اتصالي
عدونا دليلاً في حديثك شاهداً نقيس عليه غير انك مرئي
ولولا وقوع العين في الكون لم تقل سوى انك العقل الرفيع الحقيقي
وكان بعض احتجائنا يسمى قصيدة لي الإدراك المتوهم منها

ترى كل ضد به قائماً فكيف تحد اختلاف المعاني
فيآها الجسم لا ذا جهات وباعرضاً ثابتاً غير فان
نقضت علينا وجوه الكلام بما هو مذ لح بالستبان

وهذا بعينه موجود في البغضة ترى الشخصين يتباغضان لا لغنى ولا علة
ويشتغل بعضهما بعضاً بلا سبب والحب اعزك الله داء عيأ وفيه الدواء منه
على قدر المعاملة ومقام مستلذ وعلة مشتهة لا يود سليمها البرء ولا يتمنى عليها
الافاقة يزين للمرء ما كان يأنف منه ويسهل عليه ما كان يصعب عنده حتى
يحيل الطبائع المركبة والحيلة المخلوقة وسياقي كل ذلك ملخصاً في بابه ان
شاء الله (خبر) ولقد علمت فتي من بعض معارفي وقد وحل في الحب وتورط في
جائله واضر به الوجد وانضح الدنف وما كانت نفسه تطيب بالدعاء الى الله
عز وجل في كشف مابه ولا ينطلق به لسانه وما كان دعاؤه الا بالوصل
والتمكن ممن يحب على عظيم بلائه وطويل همه فما الظن بسقيم ولا يريد فقد سقه
ولقد جالسته يوماً فرأيت من اكبابه وسؤ حاله واطراقه ما ساءني فقلت له
في بعض قولي فرج الله عنك فلقد رأيت اثر الكراهية في وجهه وفي مثله
اقول من كلمة طويلة :

واستلذ بلائي فيك يأملني ولست عنك مدى الايام انصرف
ان قيل لي تتسلى عن مودته فما جوابي الا اللام والالف
(خبر) وهذه الصفات مخالفة لما اخبرني به عن نفسه ابو بكر محمد ابن قاسم
ابن محمد القرشي المعروف بالشلشي من ولد الامام هشام بن عبد الرحمن ابن
معاوية انه لم يحب احداً قط ولا اسف على الف بان منه ولا تجاوز حد الصلابة
والالفة الى حد الحب والعشق منذ خلق

[باب علامات الحب]

وللحب علامات يقفوها الفطن ويهتدي اليها الذكي فأولها ادمان النظر
والعين باب النفس الشارع وهي المنقبة عن سرورها والمعبرة لضاؤها والمعرية عن
بواطنها فترى الناظر لا يظرف يتنقل بتنقل المحبوب وينزوي بازوائه ويميل حيث
مال كالخرباء مع الشمس وفي ذلك اقول شعراً منه

فليس لعيني عند غيرك موقف كأنك ما يحكون من حجر البهت
أصرفها حيث أنصرفت وكيف ما تقلبت كلمنعت في النجو والنعت

ومنها الاقبال بالحديث بما يكاد يقبل على سوى محبوه ولو تعمد ذلك وان
التكلف ليستين لمن يرمقه فيه والانصات لحديثه اذا حدث واستغراب كل ما يأتي
به ولو انه عين الحال وخرق العادات وتصديقه وان كذب وموافقته وان ظلم
والشهادة له وان جار واتباعه كيف سلك واي وجه من وجوه القول تناول
ومنها الاسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه والتعبد للتعود بقربه والدنو منه
واطراح الاشغال الموجبة للزوال عنه والاستهانة بكل خطب جليل داع الى مفارقتها
والتباطيء في الشيء، عن القيام عنه وفي ذلك اقول شعراً :

واذا قتت عنك لم امش الا مشي عان يقاد نحو الفناء
في مجيئي اليك احتت كالبدر اذا كان قاطعاً للشعاع
وقيامي ان قتت كالانجم العال لية الثابتات في الابطاء

ومنها بهت يقع وروعة تبدو على الحب عند رؤية من يحب فجأة وطلوعه
بقعة ومنها اضطراب يبدو على الحب عند رؤية من يشبه محبوه او عند سماع
اسمه فجأة وفي ذلك اقول قطعة منها

اذا ما رأت عيني لابس حمرة تقطع قلبي حمرة وتفطرا
غدا لدماء الناس بالاحظ سافكا وضرع منها ثوبه فتعصفرا

ومنها ان يجود المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه مما كان متمتعاً به قبل ذلك
كأنه هو الموهوب له والمسعى في حظه كل ذلك ليبدى محاسنه ويرغب في نفسه
فكم بخيل جاد وقطوب تطلق وجبان شجع وغليظ الطبع تطرب وجاهل تأدب
وتقل ترين وفقر تجميل وذو سن تفتي وناسك فتك ومصون تمسك وهذه
العلامات يكون قبل استعار نار الحب وتأجج حريقه وتوقد شعبه واستطارة لهبه
فاما اذا تمسكن واخذ مأخذه فحينئذ ترى الحديث سراراً والاعراض عن

كل ما حضر الا عن المحبوب جهاراً ولي ايات جمعت فيها كثيراً من هذه
العلامات منها :

اهوى الحديث اذا ما كان يذكر لي فيه ويعقب لي عن عنبر أرج
ان قال لم استمع ممن يجالسني الى سوى لفظة المستطرف الغنج
ولو يكون امير المؤمنين معي ما كنت من اجله عنه بمنعرج
فان اقم عنه مضطراً فاني لا ازال ملتقياً والمشي مشي وجي
عيني فيه وجسمي عنه مرتحل مثل الثقات الغريق البر في اللجج
اغص بالماء ان اذكر تباعده كمن ثاب وسط القع والوهج
وان تقل يمكن قصد السماء اقل نعم واني لادري موضع الدرج
ومن علاماته وشواهده الظاهرة لكل ذي بصر الانبساط الكثير الزائد
واتضابق في المكان الواسع والمجازبة على الشيء يأخذه احدهما وكثرة الغمز
الحفي والميل بالانكاء والتعمد لمس اليد عند المحادثة ولمس ما أمكن من الاعضاء
الظاهرة وشرب فضلة ما ابقى المحبوب في الاناء وتحري المكان الذي قابل فيه
ومنها علامات متضادة وهي على قدر الدواعي والعوارض الباعثة والاسباب المحركة
والخواطر المهيجة والاضداد انداد والاشياء اذا افرطت في غايات تضادها ووقفت
في انتهاء حدود اختلافها تشابهت قدرة من الله عز وجل تضل فيها الاوهام
فهذا الثلج اذا ادمن حبسه في اليد فعل فعل النار ونجد الفرح اذا افرط قتل
والغم اذا افرط قتل والضحك اذا كثر واشتد سال الدمع من العينين وهذا
في العالم كثير فنجد الحزين اذا تكافيا في المحبة وتأكدت بينهما تأكداً شديداً
اكثر بهما جدهما بغير معنى وتضادهما في اقبال تعمداً وخروج بعضهما على بعض
في كل يسير من الامور وتبمع كل منهما لفظة تقع من صاحبه وتأولها على
غير معناها كل هذه تجربة ليبدو ما يعتقده كل واحد منهما في صاحبه والفرق
بين هذا وبين حقيقة الهجرة والمضادة المتولدة عن الشجناء ومخارجة التشاجر

سرعة الرضى فانك بينا ترى المحين قد بلغا الغاية من الاختلاف الذي لا تقدره
 يصلح عند الساكن النفس السالم من الاحقاد في الزمن الطويل ولا يتجبر عند
 الحقود ابداً فلا تلبث ان تراهما قد عادا الى اجر الصحة واهدرت المعاناة
 وسقط الخلاف وانصرفا في ذلك الحين بعينه الى المضاحكة والمداغة هكذا في
 الوقت الواحد مراراً واذا رأيت هذا من اثنين فلا يخالك شك ولا يدخلك
 ريب البتة ولا تمار في ان بينهما سرّاً من الحب دفينا واقطع عليه قطع من
 لا يصرفه عنه صارف ودونكها تجربة صحيحة وخبرة صادقة هذا لا يكون الا عن
 تكاف في المودة واختلاف ضحيح وقد رأيت كثيراً ومن اعلامه انك تجد الحب
 يستدعي سماع اسم من يحب ويستلذ الكلام في اخباره ويجملها هيمراه ولا
 يرتاح لشيء ارتياحه له ولا ينهنه عن ذلك تخوف ان ينظن السامع ويفهم
 الحاضر وجبك الشيء يعمي ويصم فلو امكن الحب ان لا يكون حديث في مكان
 يكون فيه الا ذكر من يحبه لما تعداه ويعرض للصادق المودة ان يتندي في
 الطعام وهو له مشته فما هو الا وقت ما يحتاج له من ذكر من يحب صار الطعام
 غصة في الحلق وشجي في المري وهكذا في الماء وفي الحديث فانه يفتاحه
 مبتجاً فنعرض له خطرة من خطرات الفكر فيمن يحب فتستين الحوالة في
 منطقته والتقصير في حديثه وآية ذلك الوجوم والاطراق وشدة الانعازق فيمن
 هو طلق الوجه خفيف الحركات صار منطقاً متناقلاً حار النفس جامد الحركة
 يرم من الكلمة ويضجر من السؤال ومن علاماته حب الوحدة والانس بالانفراد
 وتحول الجسم دون حد يكون فيه ولا وجع مانع من الثقل والحركة والمشي
 دليل لا يكذب ومخبر لا يخون عن كلمة في النفس كامنة والسهر من اعراض
 المحين وقد اكثر الشعراء في وصفه وحكوا انهم رعاة الكواكب ووصفوا طول
 الليل وفي ذلك اقول واذا ذكر كتمان السر وانه يتوسم بالعلامات
 تلمت السحائب من شؤوني فعمت بالحيا السكب الهتون

وهذا الليل فيك غدا رفيقي
فان لم ينقض الاظلام ...
فليس الى النهار لنا سبيل
كأن نجومه والغيم يخفي
ضميري في ودادك يامنائي
وفي مثل ذلك قطعة منها :

ارعى النجوم كأنني كلفت ان
فكأنها والليل نيران الجوى
وكأنني امسيت حارس روضة
لو عاش بطليموس ايقن انني
والشيء قد يذكر لما يوجبه وقع لي في هذه الايات تشبيه شيئين بشيئين
في بيت واحد وهو البيت الذي اوله فكانها والليل وهذا مستغرب في الشعر
ولي ما هو اكمل منه وهو تشبيه ثلاثة اشياء في بيت واحد وتشبيه اربعة اشياء
في بيت واحد وكلاهما في هذه القطعة التي اوردها وهي :

مشوق معنى ما ينام مسهد
قفي ساعة بيدي اليك عجائباً
كان النوى والعتب والهجر والرضى
رثي لغرامي بعد طول تمنع
نعمنا على نور من الروض زاهر
كأن الحيا والمزن والروض عاطراً
ولا ينكرن على منكر قولي قران فاهل المعرفة بالكواكب يسمون التقاء
كوكبين في درجة واحدة قراناً ولي ايضاً ما هو اتم من هذا وهو تشبيه خمسة
اشياء في بيت واحد في هذه القطعة وهي :

خلوت بها والراح نالها وجنح ظلام الليل قد مد وانلج
فتاة عدمت العيش الا بقربها فهل في ابتغاء العيش ويحك من حرج
كاني وهي والكاس والحمر والدجى ترى وحياً والدر والتبر والسنج
فهذا امر لا مزيد فيه ولا يقدر احد على اكثر منه اذ لا يحتمل العروض
ولابنية الاسماء اكثر من ذلك ويعرض للمحين القلق عند احد امرين احدهما
عند رجائه لقاء من يحب فيعرض عند ذلك حائل

(خبر) واني لاعلم بعض من كان محبوبه يعده الزيارة فما كنت اراه الا جائئاً
وذاهباً لا يقربه القرار ولا يثبت في مكان واحد مقبلاً مدبراً قد استخفه السرور
بعد ركانة واشاطه بعد رزانة ولي في معنى انتظار الزيارة

اقت الى ان جاءني الليل راجياً لقاءك يا سؤلى ويا غاية الامل
فأيا سنى الاظلام عنك ولم اكن لا تأس يوماً ان بدى الليل يتصل
وعندي دليل ليس يكذب خبره بامثاله في مشكل الامر يستدل
لانك لو رمت الزيارة لم يكن ظلام ودام النور فينا ولم يزل

والثاني عند حادث يحدث بينهما من عتاب لا تدرى حقيقته الا بالوصف فعند
ذلك يشتد القلق حتى توقف على الجليلة فاما ان يذهب تحمله ان رجا العفو
(اما) ان يصير القلق حزناً واسفاً ان تخوف الهجر ويعرض للمحب الاستكانة
لجفاء المحبوب عليه وسيأتي مفسراً في باب ان شاء الله تعالى ومن اعراضه الجزع
الشديد والحرمة المقطعة تغلب عندما يرى من اعراض محبوبه عنه ونفاره منه
وآية ذلك الزفير وقلة الحركة والتساؤ وتنفس الصعداء وفي ذلك اقول
شعراً منه :

وجيل الصبر مسجون ودموع العين سارحه

ومن علاماته انك ترى المحب يحب اهل محبوبه وقرابته وخاصته حتى يكونوا
احظى لديه من اهله ونفسه ومن جميع خاصته والبكاء من علامات الحب ولكن

يتفاضلون فيه فهم غزير الدمع هامل الشؤون تحببه عينه وتحضره عبرته اذا شاء
ومنهم جمود العين عديم الدمع وانا منهم وكان الاصل في ذلك ادماغي اكل الكندر
لحفقان القلب وكان عرض لي في الصبي فاني لاصاب بالمصيبة الفادحة فأجد قلبي
يتنظر ويتقطع واحس في قلبي غصة امر من العلقم تحول بيني وبين توفية الكلام
حتى محارجه وتكاد تشوقي بالنفس احيانا ولا تجيب عيني البتة الا في الندرة بالشيء
اليسير من الدمع

(خبر) ولقد اذكرني هذا النصل يوما ودعت انا وابو بكر محمد ابن اسحق
صاحبي ابا عامر محمد ابن عامر صديقاً رحمه الله في سفرته الى المشرق
التي لم نره بعد فجعل ابو بكر يبكي عند وداعه وينشد متفثلاً بهذا البيت :
الان عينا لم تجد يوم واسط عليك يباقي دمعه لجود
وهو في رثاء يزيد بن عمر بن هبيرة رحمه الله ونحن وقوف على ساحل البحر
بالمالقة وجعلت انا اكثر التفجع والاسف ولا تساعدي عيني فقلت محبباً لابي بكر
وان امراً لم يفن حسن اصطباره عليك وقد فارقه جليل

وفي المذهب الذي عليه الناس اقول من قصيدة قلتها قبل بلوغ الحلم اولها
دليل الاسى نار على القلب تلتفح ودمع على الحدين يحمي ويسفح
اذا كتم المشغوف سر ضلوعه فان دموع العين تبدي وتفضح
اذا ماجفون العين سالت شؤونها ففي القلب داء للغرام مبرح

ويعرض في الحب سوء الظن واتهام كل كلمة من احدهما وتوجيهها الى غير
وجهها وهذا اصل العتاب بين المحبين واني لاعلم من كان احسن الناس ظناً
واوسعهم نفساً واكثرهم صبراً واشدهم احتمالاً وارحهم صدراً ثم لا يحتمل ممن
يجب شيئاً ولا يقع له معه ايسر مخالفة حتى يبدي من التعديد فنونا ومن سوء الظن
وجوهاً وفي ذلك اقول شعراً منه :

أسيء ظني بكل محتقر تأتي به والحقير من حققر

كي لا يرى اصل هجرة وقلبي فالتار في بدء امرها شررا

واصل عظم الامور اهونها ومن صغير النوى ترى شجرا

وترى الحب اذا لم يثق ببقاء طوية محبوبة له كثير التحفظ مما لم يكن يتحفظ
قبل ذلك مثقفاً لكلامه مزينا لحركاته ومرامي طرفه ولا سيما ان دهى بمتجن
وبلى بمعربد . ومن آياته : مراعاة الحب لمحبوبة وحفظه لكل ما يقع منه
وبحثه عن اخباره حتى لا يسقط عنه دقيقة ولا جليله وتبعه لحركاته ولعمري لقد
ترى البليد يصير في هذه الحالة ذكياً والغافل فظناً

(خبر) ولقد كنت يوماً بالمرية قاعداً في دكان اسمعيل بن يونس الطيب
الاسرائيلي وكان بصيراً بالفراسة محسناً لها وكنا في لمة فقال له مجاهد ابن
الحسين القيسي ما تقول في هذا وأشار الى رجل متبذعنا ناحية اسمه حاتم
ويكنى ابا البقاء فنظر اليه ساعة يسيرة ثم قال هو رجل عاشق فقال له
صدقت فمن اين قلت هذا ؟ قال : لبهت مفرط ظاهر على وجهه فقط دون
سائر حركاته فعلمت انه عاشق وليس بمريب

﴿ باب من احب في النوم ﴾

ولا بد لكل حب من سبب يكون له اصلاً وانا مبتديء بابعد ما يمكن ان
يكون من اسبابه ليجري الكلام على نسق وان يبتدأ ابدأ بالسهل والأهون
فمن اسبابه شيء لولا اني شاهدته لم اذكره لغرابته

(خبر) وذلك اني دخلت يوماً على ابي السري عمار بن زياد صاحبنا مولى
المؤيد فوجدته مفكراً مهتماً فسألته عما به فتمنع ساعة ثم قال لي اعجوبة ما سمعت
قط قلت وما ذاك قال رأيت في نومي الليلة جارية فاستيقظت وقد ذهب
قلبي فيها وهمت بها واني لفي اصعب حال من حبها ولقد بقي اياماً كثيرة
يزيد على الشهر مغموماً مهموماً لايهنته شيء وجداً الى ان عدلته وقتل له

من الخطأ العظيم ان تشغل نفسك بغير حقيقة وتعلق وهمك بمعدوم لا يوجد هل تعلم من هي قال لا والله قلت انك لتقليل الرأي مصاب البصيرة اذ تحب من لم تره قط ولا خلق ولا هو في الدنيا ولو عشقت صورة من صور الحمام لكنت عندي اعذر فما زلت به حتى سلا وما كاد وهذا عندي من حديث النفس واضعائها وداخل في باب التسمي وتخيل الفكر وفي ذلك اقول شعراً منه :

يا ليت شعري من كانت وكيف سرت أطلعة الشمس كانت ام هي القمر
اظنة العقل ابداء تدبره او صورة الروح ابدتها الى الفكر
او صورة مثلت في النفس من املي فقد تخيل في ادراكها البصر
او لم يكن كل هذا فهي حادثة اتى بها سبباً في حتفي القدر

﴿ باب من احب بالوصف ﴾

ومن غريب اصول العشق ان تقع المحبة بالوصف دون المعاينة وهذا امر يترقى منه الى جميع الحب فتكون المراسلة والمكاتبة والهلم والوجد والسهرة على غير الابصار فان للحكايات ونعت المحاسن ووصف الاخبار تأثيراً في النفس ظاهراً وان تسمع نغمتها من وراء جدار فيكون سبباً للحب واشتغال البال وهذا كله قد وقع لغير ما واحد ولكنه عندي ببيان هار على غير أس وذلك ان الذي افرغ ذهنه في هوى من لم ير لابد له اذ يخلو بفكره ان يمثل لنفسه صورة يتوهمها وعيناً يقيمها نصب ضميره لا يتمثل في هاجسه غيرها قد مال بوجهه نحوها فان وقعت المعاينة يوماً ما فينثذرتاً كد الامر او يبطل بالكلية وكلا الوجهين قد عرض وعرف واكثر ما يقع هذا في ربات القصور المحجوبات من اهل البيوتات مع اقاربهن من الرجال وحب النساء في هذا اثبت من

حب الرجال لضعفهن وسرعة اجابة طبائعهن الى هذا الشأن وتمكنه منهن
وفي ذلك اقول شعراً منه :

ويا لمن لامني في حب من لم يره طرفي
لقد افطت في وصفك لي في الحب بالضعف
فقل هل تعرف الجنة يوماً بسوى الوصف

واقول شعراً في استحسان النعمة دون وقوع العين على العيان منه :

قد حل جيش الغرام سمعي وهو على مقلي يسدو
واقول ايضاً في مخالفة الحقيقة لظن المحبوب عند وقوع الرؤية :
وصفوك لي حتي اذا ابصرت ما وصفوا علمت بانه هذيان
فالطبل جلد فارغ وطنينه يرتاع منه ويفرق الانسان
وفي ضد هذا اقول :

لقد وصفوك لي حتي التقينا فصار الظن حقاً في العيان
فاوصاف الجنان مقصرات على التحقيق عن قدر الجنان

وان هذه الاحوال لتحدث بين الاصدقاء والاخوان وعنى احدث
(خبر) انه كان بيني وبين رجل من الاشراف ود وكيد وخطاب كثير
وما ترآينا قط ثم منح الله لي لقاءه فما مرت الا ايام قلائل حتي وقعت لنا
منافرة عظيمة ووحشة شديدة متصلة الى الآن فقلت في ذلك قطعة منها :

ابدلت اشخاصنا كرهًا وفطرت قلبي كما الصحائف قد يبدلن بالنسخ
ووقع لي ضد هذا مع ابي عامر ابن ابي عامر رحمة الله عليه فاني كنت
اله على كراهة صحيحة وهو لي كذلك ولم يرني ولا رأيته وكان اصل ذلك
تنقيلاً يحمل اليه عني والي عنه يؤكد انحراف بين ابويننا لتنافسهما فيما كانا
فيه من صحبة السلطان ووجاهة الدنيا ثم وفق الله الاجتماع به فصار لي اود
الناس وصرت له كذلك الى ان حال الموت بيننا وفي ذلك اقول قطعة منها :

اخ لي كسبنيه اللقاء واوجدني فيه علماً شريفاً
وقد كنت اكرمه الجوار وما كنت ارغبه لي اليفاً
وكان البغيض فصار الحبيب وكان الثقل فصار الخفيفا
وقد كنت ادمن عنه الوجيف فصرت اديم اليه الوجيفا
واما ابو شاكر عبد الرحمن بن محمد القبري فكان لي صديقاً مدة على غير
رؤية ثم التقينا فتأكدت المودة واتصلت وتمادت الى الآن

﴿ باب من احب من نظرة واحدة ﴾

وكثيراً ما يكون لصوق الحب بالقلب من نظرة واحدة وهو ينقسم قسمين
فالقسم الواحد مخالف للذي قبل هذا وهو ان يعشق المرء صورة لا يعلم من هي
ولا يدري لها اسماً ولا مستقراً وقد عرض هذا لغير واحد
(خبر) حدثني صاحبنا ابو بكر محمد بن احمد بن اسحق عن ثقة اخبره
سقط عنى اسمه وأظنه القاضي بن الحذاء ان يوسف بن هرون الشاعر المعروف
بالرمادي كان مجتازاً عند باب العطارين بقرطبة وهذا الموضع كان مجتمع النساء
فرأى جارية اخذت بمجامع قلبه وتخلل حبها جميع اعضائه فانصرف عن
طريق الجامع وجعل يتبعها وهي ناهضة نحو القنطرة فجازتها الى الموضع المعروف
بالريض فلما صارت بين رياض بني مروان رحمهم الله المبنية على قبورهم في
مقبرة الريض خلف النهر نظرت منه منفرداً عن الناس لاهمة له غيرها
فانصرفت اليه فقالت له مالك تمشي ورأى فاخبرها بعظيم بليته بها فقالت له
دع عنك هذا ولا تطلب فضيحتي فلا مطمع لك في النية ولا الى ما ترغبه
سبيل فقال اني اقع بالنظر فقالت ذلك مباح لك فقال لها ياسيدي أحره
ام مملوكة قالت مملوكة فقال لها ما اسمك قالت خلوة قال ولمن انت فقالت
له علمك والله بما في السماء السابعة اقرب اليك مما سألت عنه ودع المحال

فقال لها ياسيدي واين اراك بعد هذا قالت حيث رأيتي اليوم في مثل تلك الساعة من كل جمعة فقالت له إما تنهض انت وإما أنهض انا فقال لها انهضي في حفظ الله فنهضت نحو القنطرة ولم يمكنه اتباعها لانها كانت تلتفت نحوه لترى ايسارها ام لا فلما تجاوزت باب القنطرة اتى يقفوها فلم يقع لها على مسألة قال ابو عمر وهو يوسف بن هرون فوالله لقد لازمت باب العطارين والربض من ذلك الوقت الى الآن فما وقعت لها على خبر ولا ادري أسماء لحسها أم أرض بلغتها وأن في قلبي منها لأحر من الجمر وهي خلوة التي يتنزل بها في اشعاره ثم وقع بعد ذلك على خبرها بعد رحيله في سببها الى سرقسطة في قصة طويلة ومثل ذلك كثير وفي ذلك اقول قطعة منها :

عيني جنت في فؤادي لوعة الفكر فأرسل الدمع مقتصاً من البصر
فكيف تبصر فعل الدمع منتصفاً منها باغراقها في دمعها الدرر
لم القها قبل أبصاري فاعرفها وآخر العهد منها ساعة النظر
(والقسم الثاني) مخالف للباب الذي يأتي بعد هذا الباب ان شاء الله وهو
ان يعلق المرء من نظرة واحدة جارية معروفة الاسم والمكان والمنشأ ولكن
التفاضل يقع في هذا في سرعة الفناء وابطائه فمن احب من نظرة واحدة واسرع
العلاقة من لحظة خاطرة فهو دليل على قلة الصبر ومخبر بسرعة السلو وشاهد
الظرافة والملل وهكذا في جميع الاشياء اسرعها نمواً اسرعها فناء وابطؤها
حدوثاً ابطؤها نفاذاً

(خبر) اني لأعلم فتياً من ابناء الكتاب ورأته امرأة سرية النشأة عالية
المنصب غليظة الحجاب وهو مجتاز ورأته في موضع تطلع منه كان في منزلها
فعلقته وعلقها وتهاديا المراسلة زماناً على ارق من حد السيف ولولا اني لم
اقصد في رسالتي هذه كشف الحيل وذكر المكائد لاوردت مما صح عندي اشياء
تخبر اللبيب وتدهش العاقل اسبل الله علينا ستره وعلى جميع المسلمين منه وكفانا

﴿ باب من لا يجب الا مع المطاولة ﴾

ومن الناس من لاتصح محبته الا بعد طول المخافة وكثير المشاهدة ومتاهي
الأنس وهذا الذي يوشك ان يدوم ويثبت ولا يحبك فيه مر الليالي فما دخل
عسيراً لم يخرج يسيراً وهذا مذهبي وقد جاء في الاثر (ان الله عز وجل
قال للروح حين امره ان يدخل جسد آدم وهو فخار فهاب وجزع أدخل
كرهاً واخرج كرهاً) حدثناه عن شيوخنا ولقد رأيت من اهل هذه الصفة من
ان احس من نفسه بابتداء هوى او توحش من استحسانه ميلاً الى بعض
الصور استعمل الهجر وترك الامام لئلا يزيد ما يجد فيخرج الأمر عن يده ويحال
بين الغير والنزوان وهذا يدل على لصوق الحب باكباد اهل هذه الصفة وانه اذا
تمكن منهم لم يحل ابداً وفي ذلك اقول قطعة منها :

سأبعد عن دواعي الحب أني رأيت الحزم من صفة الرشيد
رأيت الحب اوله التصدي بعينك في ازاهير الحدود
فينا انت مقبض مخلى اذا قد صرت في حلق القيود
كمغتر بضحاح قريب فدل فغاب في غمر المدود

واني لا أطيل العجب من كل من يدعي انه يحب من نظرة واحدة ولا كاد
أصدقه ولا أجعل حبه الا ضرباً من الشهوة وأما ان يكون في ظني متمكناً
من صميم الفؤاد نافذاً في حجاب القلب فما اقدر ذلك وما لصق باحشائي حب
قط الا مع الزمن الطويل وبعد ملازمة الشخص لي دهرأ وأخذني معه في كل
جد وهزل وكذلك انا في السلو والتوق فما نسيت ودأ لي قط وان حنني الى
كل عهد تقدم لي ليغضي بالطعام ويشرقني بالماء وقد استراح من لم تكن هذه
صفته وما مللت شيئاً قط بعد معرفتي به ولا اسرعت الى الانس بشيء قط اول
لقائي له وما رغبت الاستبدال الى سبب من اسبابي مذ كنت لا اقول في الألاف

والأخوان وحدهم لكن في كل ما يستعمل الإنسان من ملبوس ومركوب
ومطعم وغير ذلك وما انتفعت بعيش ولا فارقني الاطراق والانفلاق مذ ذقت
طعم فراق الاحبة وانه لشجى يعتادني وولوع هم ما ينفك يطرقي ولقد نقص
تذكرى ماضى كل عيش استأنفه وأني لقتيل الهموم في عداد الاحياء ودفين
الاسى بين اهل الدنيا والله المحمود على كل حال لا اله الا هو . وفي ذلك
اقول شعراً منه :

محبة صدق لم تكن بنت ساعة ولا ورثت حين ارتداد زنادها
ولكن على مهل سرت وتولدت بطول امتزاج فاستقر عمادها
فلم يدن منها عزمها وانتفاضها ولم ينأ عنها مكثها وازديادها
يؤكد ذا انا نرى كل نشأة تتم سرها عن قريب نهادها
ولكنني ارض عزاز صليبة منيع الى كل الغروس انقيادها
فما نفذت منها اديها عروقها فليست تبالي ان يجود عهادها

ولا يظن ظان ولا يتوهم متوهم ان كل هذا خلف لقولي المسطر في صدر
الرسالة ان الحب اتصال بين النفوس في اصل عالمها العلوي بل هو مؤكد له
فقد علمنا ان النفس في هذا العالم الادنى قد غمرتها الحجب ولحققتها الاغراض
واحاطت بها الطبائع الارضية الكوردية فسترت كثيراً من صفاتها وان كانت لم
تحله لكن حالت دونها فلا برج الاتصال على الحقيقة الا بعد التهيؤ من النفس
والاستعداد له وبعد ايصال المعرفة اليها بما يشاكلها ويوافقها ومقابلة الطبائع التي
خفت مما يشابهها من طبائع الحبوب حينئذ يتصل اتصالاً صحيحاً بلا مانع . واما
ما يقع من اول وهلة بعض اعراض الاستحسان الجسدي واستطراف البصر
الذي لا يجاوز الالوان وهذا سر الشهوة ومعناها على الحقيقة فاذا فصلت الشهوة
وتجاوزت هذا الحد ووافق الفصل اتصال نفسياني تشترك فيه الطبائع مع النفس
يسمى عشقاً ومن هذا دخل الغلط على من يزعم انه يحب اثنين ويعشق

شخصين متغايرين فانما هذا من جهة الشهوة التي ذكرنا آنفاً وهي على الحجاز تسمى محبة لاعلى التحقيق واما نفس الحب فما في الميل به فضل يصرفه من اسباب دينه وديناه فكيف بالاستغفال بحب ثان وفي ذلك أقول :

كذب المدعي هوى اثنين ختما مثل ما في الاصول اكذب ما نى
ليس في القلب موضع لحبيبي ن ولا احدث الامور بشاني
فكما العقل واحد ليس يدري خالقاً غير واحد رحمان
فكذا القلب واحد ليس يقوى غير فرد مباعد او مدان
هو في شرعة المودة ذو شك بعيد من صحة الإيمان
وكذا الدين واحد مستقيم وكفور من عنده دينان

واني لأعرف فتى من اهل الجدة والحبيب والأدب كان يبتاع الجارية وهي سالمة الصدر من حبه واكثر من ذلك كارهة له لقلة حلاوة شمائل كانت فيه وقطوب دائم كان لا يفارقه ولا سيما مع النساء فكان لا يلبث الا يسيراً ربنا يصل اليها بالجماع ويعود ذلك الكره حباً مفرطاً وكلفاً زائداً واستهتاراً مكشوفاً ويتحول الضجر لصحبته فجراً لفراقه صحبته هذا الامر في عدة منهن فقال بعض اخواني فسألت عن ذلك فتبسم نحوي وقال إذا والله اخبرك انا ابطأ النفس انزالا تقضي المرأة شهوتها وربما نلت وانزالي وشهوتي لم ينقضيا بعد وما فترت بعدها قط واني لا أتقى بحسبي بعد انقضائها الحين الصالح وما لاقى صدري صدر امرأة قط عند الخلوة الا عند تعمدى المعانقة وبحسب ارتفاع صدري نزول مؤخرى فمثل هذا وشبهه اذا وقع وافق اخلاق النفس وولد المحبة اذ الاعضاء الحساسة مسالك الى النفوس ومؤديات نحوها (١)

(١) خطر لنا حذف ما في هذا الكتاب مما يمانل هذا بيد اننا لم نبح لانفسنا اسقاط ما ارتضاه ابن حزم ليكتابه وما نحن باورع ولا اتقى ولا احفظ لحزمة الاخلاق منه .

باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها

واعلم اعزك الله ان للحب حكماً على النفوس ماضياً وسلطاناً قاضياً وامراً لا يخالف وحداً لا يصح وملكاً لا يمتدى وطاعة لا تصرف ونفاذاً لا يرد وانه ينقص المرر ويحيل المبرم ويحلل الجامد ويحل الثابت ويحل الشغاف ويحل المنوع ولقد شاهدت كثيراً من الناس لا يهتمون في تمييزهم ولا يخاف عليهم سقوط في معرفتهم ولا اختلال بحسن اختيارهم ولا تقصير في جدهم قد وصفوا احباباً لهم في بعض صفاتهم ما ليس بمستحسن عند الناس ولا يرضى في الجمال فصارت هيراهم وعرضة لاهوائهم ومنتهى استحسانهم ثم مضى اولئك اما بسلو او بين او هجر او بعض عوارض الحب وما فارقه استحسان تلك الصفات ولا بان عنهم تقصيلها على ما هو افضل منها في الخلقة ولا مالوا الى سواها بل صارت تلك الصفات المستجادة عند الناس مهجورة عندهم وساقطة لديهم الى ان فارقوا الدنيا وانتقضت اعمارهم حينئذ منهم الى من فقدوه والفة ان صحبوه وما اقول ان ذلك كان تصنعاً لكن طبعاً حقيقياً واختياراً لادخاله فيه ولا يرون سواء ولا يتولون في طي عقدتهم بغيره واني لا أعرف من كان في جيد حبيبه بعض الوقص فما استحسن اغيد ولا غيداء بعد ذلك واعرف من كان اول علاقته بجارية ماثلة الى القصر فما احب طريفة بعد هذا واعرف ايضاً من هوى جارية في فمها فوه لطيف فلقد كان يتنذر كل فم صغير ويذمه ويكرهه الكراهية الصحيحة وما اصف من متقوصي الحظوظ في العلم والادب لكن عن اوفر الناس قسماً في الادراك واحقهم باسم الفهم والدراية . وعني اخبرك اني احببت في صبي جارية لي شقراء الشعر فما استحسن من ذلك الوقت سوداء الشعر ولو انه على الشمس او على صورة الحسن نفسه واني لا جدها في اصل تركيبي من ذلك الوقت لانزائتي نفسي على سواء ولا تحب غيره البتة وهذا العيارض بعينه

القدرة النفسية

احسن دالة
مما

احسن فاعلة
دقيقة

سبب
لا ينفرد

عرض لأبي رضي الله عنه وعلى ذلك جرى الى ان وافاه اجله واما جماعة
خلفاء بني مروان رحمهم الله ولا سيما ولد الناصر منهم فكلهم محبوبون على تفضيل
الشقرة لا يختلف في ذلك منهم مختلف وقد رأينا من رأيهم من رأهم من لدن
دولة الناصر الى الآن فما منهم الا اشقر نزاعاً الى اماتهم حتى قد صار ذلك
فيهم خلقة حاشى سليمان الظافر رحمه الله فاني رأيت اسود المة واللحية واما
الناصر والحكم المستنصر رضي الله عنهما فحدثني الوزير ابي رحمه الله وغيره
انهما كانا اشقرين اشهلين وكذلك هشام المؤيد ومحمد المهدي وعبد الرحمن
المرتضى رحمهم الله فاني قد رأيتهم مراراً ودخلت عليهم فرأيتهم شقراً شهلاً
وهكذا اولادهم واخوتهم وجميع اقاربهم فلا ادري اذلك استحسان مركب
في جميعهم ام لرواية كانت عند اسلافهم في ذلك فجزوا عليها وهذا ظاهر في
شعر عبد الملك بن مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن امير المؤمنين الناصر
وهو المعروف بالطليق وكان اشقر اهل الاندلس في زمانهم واكثر تغزله بالشر
وقد رأيت وجالسته وليس العجب فيمن احب قبيحاً ثم لم يصحبه ذلك في
سواه فقد وقع من ذلك ولا فيمن طبع مذ كن على تفضيل الادنى ولكن
فيمن كان ينظر بعين الحقيقة ثم غاب عليه هوى عارض بعد طول بقاءه في
الجماعة فاحاله عما عهدته نفسه حوالة صارت له طبعاً وذهب طبعه الاول وهو
يعرف فضل ما كان عليه اولاً فاذا رجع الى نفسه وجدها تأني الا الادنى
فالعجب لهذا التغلب الشديد والتسليط العظيم وهو اصدق المحبة حقاً لامن يتحلى
بشيم قوم ليس منهم ويدعي غريزة لا تقبله فيزعم انه يتخير من يحب اما لو
شغل الحب بصيرته واجاح فكرته واجحف بتمييزه لحال بينه وبين التخييل
والارتياح وفي ذلك اقول شعراً منه :
منهم افي كان في محبوبه وقص
كأنما العيد في عينه جنان
وكان منبسطاً في فضل خيرته / بحجة حقها في القول تبين

ان المها وبها الامثال سائرة لا يكر الحسن فيه الدهر انسان
وقص فليس بها عنقاء واحدة وهل تران بطول الجيد بعران
وآخر كان في محبوبة فوه يقول حسبي في الافواه غزلان
وثالث كان في محبوبة قصر يقول ان ذوات الطول غيلان
واقول ايضاً :

يعيونها عندي بشقرة شعرها فقلت لهم هذا الذي زاتها عندي
يعيون لون النور والتبر ضلة لرأي جهول في الغواية بمدد
وهل عاب لون الرجس الغض عائب ولون النجوم الزاهرات على البعد
وابعد خلق الله من كل حكمة مفضل جرم فاحم اللون مسود
به وصفت الواث اهل جهنم ولبسة باك مشكل الامل محد
ومذلاحت الرايات سودا تيقنت نفوس الوري ان لاسيل الى الرشد

سائرة ان تسمى
قوى

﴿ باب التعريض بالقول ﴾

ولا بد لكل مطلوب من مدخل اليه وسبب يتوصل به نحوه فلم ينفر
بالاختراع دون واسطة الا العليم الاول جل ثناء فاول ما يستعمل طلاب الوصل
واهل الحجة في كشف ما يجدونه الى احبتهم التعريض بالقول اما بانشاد شعر
او بارسال مثل او تسمية بيت او طرح لغز او تسليط كلام والناس يختلفون في
ذلك على قدر ادراكهم وعلى حسب ما يرونه من احبتهم من نفاق او انس او فطنة
او بلاهة واني لاعرف من ابتدا كشف محبته الى من كان يحب بابيات قلتها
فهذا وشبهه يبتدي به الطالب للمودة فان رأى انسا وتسهلاً زاد وان يمان
شيئاً من هذه الامور في حين انشاده لشيء مما ذكرناه او ايراده لبعض المعاني
التي حددنا وانتظاره الجواب اما بانقطة او بهيئة الوجه والحركات لموقف بين
الرجاء واليأس هائل وان كان حيناً قصيراً ولكنه اشرف على بلوغ الامل

قوة الخطه

(٢)

او انقطاعه (ومن التعريض بالقول) جنس ثان ولا يكون الا بعد الاتفاق ومعرفة
الحجة من المحبوب فينبذ يقع التشكي وعقد المواعد والتعديد واحكام المودات
بالتعريض وبكلام يظهر لسامعه منه معنى غير ما يذهبان اليه فيجيب السامع عنه
بجواب غير ما يتأدى الى المقصود بالكلام على حسب ما يتأدى الى سمعه ويسبق
الى وهمه وقد فهم كل واحد منهما عن صاحبه واجابه بما لا يفهمه غيرهما الا
من أيد بحس نافذ واعين بذكاء وامتد بتجربة ولا سيما ان احس من معانيهما
بشيء وقل ما يغيب عن المتوسم الحميد فهناك لا خفاء عليه في ما يريد ان
(وانا اعرف) ففي وجارية كانا يتحابان فارادها في بعض وصلها على بعض
ما لا يحمل فقالت والله لاشكوك في الملا علانية ولا فضحك فضيحة مستورة
فلما كان بعد ايام حضرت الجارية مجلس بعض اكابر الملوك واركان الدولة
بواجل رجال الخلافة وفيه ممن يتوق امره من النساء والخدم عدد كثير وفي
جملة الحاضرين ذلك الفتى لانه كان بسبب من الرئيس وفي المجلس مغنيات
غيرها فلما انتهى الغناء اليها سوت عودها واندفعت تغني بابيات قديمة وهي :

غزال قد حكى بدر التمام كشمس قد تجلت من غمام
سبى قلبي بالحظ مراض وقد الفصن في حسن القوام
خضعت خضوع صب مستكين له وذلت ذلة مستهام
فصلني يا فديتك في حلال فما اهوى وصالا في حرام

وعلمت انا هذا الامر فقلت :

عذاب واقع وشكاة ظلم انت من ظالم حكم وخصم
تشكت ما بها لم يدر خلق سوى المشكوى ما كانت تسمي



﴿ باب الإشارة بالعين ﴾

ثم يتلو التعريض بالقول اذا وقع اقبول والموافقة الاشارة باحظ العين
وانه يقوم في هذا المعنى المقام المحمود ويبلغ المبلغ العجيب ويقطع به ويتواصل
ويوعد ويهدد ويتهر ويلسط ويؤمر وينهى وتضرب به الاوعاد وينبه على الرقيب
ويضحك ويحزن ويسئل ويحجب ويمنع ويعطى ولكل واحد من هذه المعاني
ضرب من هيئة اللحظ لا يوقف على تحديده الا بالرؤية ولا يمكن تصويره ولا
وصفه الا الاقل منه وانا واصف ما تيسر من هذه المعاني فالاشارة بمؤخر العين
الواحدة هي عن الامر وتفتيرها اعلام بالقبول وادامة نظرها دليل على التوجع
والاسف وكسر نظرها آية الفرج والاشارة الى اطباقها دليل على التهديد
وقلب الخدقة الى جهة ما ثم صرفها بسرعة تنبيه على مشار اليه والاشارة
الخفية بمؤخر العينين ككتاهما سؤال وقلب الخدقة من وسط العين الى الماق
بسرعة شاهد المنع وترعيد الخدقتين من وسط العينين هي عام وسائر ذلك
لا يدرك الا بالمشاهدة واعلم ان العين تنوب عن الرسل ويدرك بها المراد
والحواس الاربع ابواب الى القلب ومنافذ نحو النفس والعين ابغها واصحها دلالة
واوعاها عملاً وهي رائد النفس الصادق ودليلها الهادي ومرآتها المجلوة التي بها
تقف على الحقائق وتحوز الصفات وتنهم المحسرات وقد قيل ليس الخبر
كالمعين وقد ذكر ذلك افليمون صاحب الفراسة وجعلها معتمدة في الحكم
وبحسبك من قوة ادراك العين انها اذا لاقى شعاعها شعاعاً مجلياً صافياً اما
حديداً مفصلاً او زجاجاً او ماء او بعض الحجارة الصافية او سائر الاشياء
المجلوة البراقة ذوات الرفيف والبصيص والمعان يتصل اقصى حدوده بحجم
كثيف سائر مناع كدرك انعكس شعاعها فادرك الناظر نفسه وحازها عياناً
وهو الذي ترى في المرأة فانت حينئذ كالناظر اليك بعين غيرك ودليل عياني

على هذا انك تأخذ مرأتين كبيرتين فتمسك احدهما بيمينك خلف رأسك
والثانية بيسارك قبالة وجهك ثم تزويها قليلاً حتى يلتقيان بالمقابلة فانك ترى
قفاك وكل ما وراءك وذلك لانعكاس ضوء العين الى ضوء المرأة التي خلفك
اذ لم تجد منفذاً في التي بين يديك ولما لم تجد وراء هذه الثانية منفذاً انصرف
الى ماقابله من الجسم وان كان صالح غلام ابي اسحق النظام خالف في
الادراك فهو قول ساقط لم يوافقه عليه احد ولو لم يكن من فضل العين
الا ان جوهرها ارفع الجواهر واعلاها مكانا لانها نورية لاتدرك الالوان
بسواها ولا شيء ابعد مرمى ولا انأى غاية منها لانها تدرك بها اجرام الكواكب
التي في الافلاك البعيدة وترى بها السهء على شدة ارتفاعها وبعدها وليس ذلك
الاتصالها في طبع خلقتها بهذه المرأة فهي تدركها وتصل اليها بالظفر لاعلى
قطع الاماكن والحلول في المواضع وتتقد الحركات وليس هذا لشيء من
الحواس مثل الذوق واللمس لا يدركان الا بالمجاورة والسمع والشم لا يدركان
الا من قريب ودليل على ما ذكرناه من الظفر انك ترى الصوت قبل سماع
الصوت وان تعمدت ادراكهما معاً وان كان ادراكهما واحداً لما تقدمت
العين والسمع .

﴿ باب المراسلة ﴾

ثم يتلو ذلك اذا امتزجا المراسلة بالكتب وللكتب آيات ولقد رأيت اهل
هذا الشأن يبادرون لقطع الكتب وبحلها في الماء وبمحو اثرها قرب فضيحة
كانت بسبب كتاب وفي ذلك اقول :

عزيز علي اليوم قطع كتابكم ولكنه لم يلف للود قاطع
فأثرت ان يبق وداد ويمتحي مداد فان الفرع للاصل تابع
فكم من كتاب فيه مية ربه ولم يدره اذ تمتته الاصابع

وينبغي ان يكون شكل الكتاب الطف الاشكال وجنسه املح الاجناس
ولعمري ان الكتاب للسان في بعض الاحايين اما لخصر في الانسان واما
لحياء واما لهية نعم حتى ان لوصول الكتاب الى المحبوب وعلم الحب انه قد
وقع يده ورآه للذة يجدها الحب عجيبة تقوم مقام الرؤية وان لرد الجواب
والنظر اليه سروراً يعدل اللقاء ولهذا ماترى العاشق يضع الكتاب على عينيه
وقلبه ويعانقه ولعهدي ببعض اهل المحبة ممن كان يدري ما يقول ويحسن
الوصف ويعبر عما في ضميره بلسانه عبارة جيدة ويجيد النظر ويدقق في الحقائق
لايدع المراسلة وهو ممكن الوصل قريب الدار اتي الزار ويحكي انها وجوه
اللذة ولقد اخبرت عن بعض السقاط الوضعاء انه كان يضع كتاب محبوبه
على احليه وان هذا النوع من الإغلام قبيح وضرب من الشبق فاحش واما
سقى الجبر بالدمع فاعرف من كان يفعل ذلك ويقارضه محبوبه بسقى الجبر بالريق
وفي ذلك اقول :

جواب أثنى عن كتاب بعته فسكن مهتاجاً وهيج ساكناً
سقيت بدمع العين لما كتبتة فعال محب ليس في الود خائناً
فما زال ماء العين يمحو سطوره فيا ماء عيني قد محوت المحاسنا
غدا بدموعي اول الخط ينثا وانحى بدمعي آخر الخط باثنا
(خبر) ولقد رأيت كتاب الحب الى محبوبه وقد قطع في يده بسكين له
فسال الدم واستمد منه وكتب به الكتاب اجمع ولقد رأيت الكتاب بعد جفوفه
فما شككت انه يصبغ اللك .

(باب السفير)

ويقع في الحب بعد هذا بعد حلول الثقة وتام الاستئناس ادخال السفير
ويجب تحيره وارتياحه واستجاده واستفراجه فهو دليل عقل المرء ويده حياته
وموته وستره وفضيخته بعد الله تعالى فينبغي ان يكون الرسول ذا هيئة حاذقاً

يكتفي بالإشارة ويقرطس عن الغائب ويحسن من ذات نفسه ويضع من عقله ما اعقله باعته ويؤدي الى الذي ارسله كل ما يشاهد على وجهه كاتماً للاسرار حافظاً للعهد وفياً قنوعاً ناصحاً ومن تعدى هذه الصفات كان ضرره على باعته بمقدار ما نقصه منها وفي ذلك اقول شعراً منه :

رسولك سيف في يمينك فاستجد حساماً ولا تضرب به قبل صقله
فمن يك ذا سيف ~~ك~~هم فضره يعود على المعنى منه بحبله
واكثر ما يستعمل المحبون في ارسالهم الى من يحبونه اما حائلاً لا يؤبه
له ولا يهتدي للتحفظ منه لصباه او لهيأة رثة او بدادة في طلعتة واما جليلاً
لا تلحقه الظن لنسك يظهره او لسن عالية قد بلغها وما اكثر هذا في النساء
ولا سيما ذوات العكاكيز والتسايسج والثوين الاحمرين واني لا ذكر بقرطبة
التحذير للنساء المحدثات من هذه الصفات حيث مارأيتها او ذوات صناعة يقرب
بها من الاشخاص فمن النساء كالطبية والحجامة والسراقة والدلالة والماشطة
والنائحة والمغنية والكاهنة والمعلمة والمستخفة والصانع في المغزل والنسج وما اشبه
ذلك او ذا قرابة من المرسل اليه لا يشح بها عليه فكم منيع سهل بهذه
الافصاف وعسير يسر وبعيد قرب وجوح انس وكم داهية دعت الحجب
المصونة والاستار الكثيفة والمقاصير المحروسة والسدد المضبوطة لارباب هذه
النعوت ولولا ان ابنه عليها لما ذكرتها ولكن لقطع النظر فيها وقلة الثقة
بكل واحد والسعيد من وعظ بغيره وبالضد اسبل الله علينا وعلى جميع المسلمين
ستره ولا ازال عن الجميع ظل العافية

(خبر) واني لاعرف من كانت الرسول بينهما حمامة مؤدبة ويعقد الكتاب

في جناحها وفي ذلك اقول قطعة منها

تخيرها نوح فما خاب ظنه لديها وجاءت نحوه بالبشار
سأودعها كتبتي اليك فما كها رسائل تهدي في قوادم طار

(باب طي السر) تمثيل نفا في محبة .

ومن بعض صفات الحب الكتمان باللسان وجحود الحب ان سئل والتصنع
 باظهار الصبر وان يرى انه عزه^١ (١) خلي وبأبي السر الدقيق ونار الكلف
 المتأججة في الضلوع الاظهوراً في الحركات والعين وديباً كديب النار في
 الفحم والماء في يليس المدر وقد يمكن التمويه في اول الامر على غير ذي
 الحس اللطيف واما بعد استحكامه فحال وربما يكون السبب في الكتمان
 تصاون الحب عن ان يسم نفسه بهذه السمة عند الناس لانه يزعمه من صفات
 اهل البطالة فيفر منه ويتفادى منه وما هذا وجه التصحيح فبحسب المرء المسلم
 ان يعف عن محارم الله عز وجل التي يأتيها باختياره ويحاسب عليها يوم
 القيامة واما استحسان الحسن وتمكن الحب فطبع لا يؤمر به ولا ينهى عنه
 اذ القلوب بيد مقلبيها ولا يلزمها غير المعرفة والنظر في فرق ما بين الخطاء
 والصواب وان يعتقد الصحيح باليقين واما المحبة فخلقها وانما يملك الانسان
 حركات جوارحه المكتسبة وفي ذلك اقول :

يَوْمَ رَجُلٍ فِيكَ لَمْ يَعْرِفُوا الْهُوَى	وسيان عندي فيك لاح وساكت
يقولون جانبك التصاون جملة	وانت عليهم بالشرعية قانت
فقلت لهم هذا الرياء بعينه	صراحاً وزني للمرائين ماقت
متى جاء تحريم الهوى عن محمد	وهل منه في محكم الذكر ثابت
اذا لم اوقع محرماً اتقي به	مجيئني يوم البعث والوجه باهت
فلست ابالي في الهوى قول لأم	سواء لعمرى جاهر او مخافت
وهل يلزم الانسان الا اختياره	وهل بخبايا اللفظ يؤخذ صامت

(١) قال في الاساس : هو عزه^١ عن الله والنساء اذا لم يردهن ورغب عنهن . قال
 اذا كنت عزه^١ عن الله والصبا فكن حجراً من يابس الصخر جلهدا
 م : « ٣ »

(خبر) واني لأعرف بعض من امتحن بشيء من هذا فسكن الوجد بين جوانحه فرام ججده الى ان غلظ الامر وعرف ذلك في شمائله من تعرض للمعرفة ومن لم يتعرض وكان من عرض له بشيء نجبه (١) وقبحه الى ان كان من اراد الخطوة لديه من اخوانه يوهمه تصديقه في انكاره وتكذيب من ظن به غير ذلك فسر بهذا ولعدي به يوماً قاعداً ومعه بعض من كان يعرض له بما في ضميره وهو ينتفي غاية الانتفاء اذ اجتاز بهما الشخص الذي كان يتهم بعلاقته فما هو الا ان وقعت عينه على محبوبه حتى اضطرب وفارق هيأته الاولى واصفر لونه وتفاوتت معاني كلامه بعد حسن تثقيف فقطع كلامه المتكلم معه فلقد استدعى ما كان فيه من ذكره فقبل له ما عدا عما بدا فقال هو ما تظنون عذر من عذر وعذر من عذر ففي ذلك اقول شعراً منه :

ماعاش الا لان الموت يرحه مما يرى من تباريح الضى فيه
وانا اقول :

دموع الصب تسفلك وستر الصب ينهتك
كأن القلب اذ يبدو قطرة ضمها شرك
فيا أصحابنا قولوا فان الرأي مشترك
الى كم ذا أكاتمه وما لي عنه مترك

وهذا انما يعرض عند مقاومة طبع الكتان والتعاون لطبع الحب وغلبته فيكون صاحبه متحيراً بين نارين محرقين وربما كان سبب الكتان ابقاء الحب على محبوبه وان هذا لمن دلائل الوفاء وكرم الطبع وفي ذلك اقول :

درى الناس أني فتى عاشق كئيب معنى ولكن بمن
اذا عاينوا حالي ايقنوا وان فقتشوا رجعوا في الظن
كحظ يرى رسمه ظاهراً وان طلبوا شرحه لم ين

(١) نجمة الرجل رده اقبح رد

كصوت حمام على ايككة يرجع بالصوت في كل فن
تلد بفحواه أسمعنا ومعناه مستعجم لم يبين
يقولون بالله سم الذي نفى جبه عنك طيب الوسن
وهيهاث درن الذي حاولوا ذهاب العقول وخوض الفتن
فهم ابدأ في احتلاج الشكوك بظن كقطع وقطع كظن
وفي كتمان السر اقول قطعة منها :

للسر عندي مكان لو يحل به حي اذا لا اهتدى ريب المنون له
امته وحياة السر ميتته كما سرور المعنى في الهوى الواله
وربما كان سبب الكتمان توقي الحب على نفسه من اظهار سره لجلالة
قدر المحبوب

(خبر) ولقد قال بعض الشعراء بقرطبة شعراً تغزل فيه بصبح ام المؤيد
رحمه الله فغنت به جارية ادخلت على المنصور محمد ابن ابي عامر ليتاعها
فامر بقتلها

(خبر) وعلى مثل هذا قتل احمد بن مغيث واستئصال آل مغيث والتسجيل
عليهم الا يستخدم بواحد منهم ابدأ حتى كان سبياً هلاكهم واقراض بيتهم فلم
يبق منهم الا الشريد فقال وكان سبب ذلك تغزله باحدى بنات الخلفاء ومثل
هذا كثير ويحكى عن الحسن بن هانيء انه كان مغرمًا بحب محمد بن هارون
المعروف بابن زبيدة واحس منه بعض ذلك فاتهره على ادامة النظر اليه فذكر
عنه انه قال انه كان لا يقدر ان يديم النظر اليه الا مع غلبة السكر على محمد
وربما كان سبب الكتمان الا ينفر المحبوب او ينفر به فاني أدري من كان
محبوبه له سكناً وجليساً ولو باق باقل سبب من انه يهواه لكان منه مناط
الثريا قد تعلت نجومها وهذا ضرب من السياسة ولقد كان يبلغ من انبساط
هذا المذكور مع محبوبه الى فوق الغاية وابعد النهاية فما هو الا ان باق اليه

بما يجد صار لا يصل الى التافه اليسير مع التيه ودالة الحب وتمنع الثقة بملك
الفؤاد وذهب ذلك الانبساط ووقع التصنع والتجني فكان اخاً فصار عبداً
ونظيراً فعاد اسيراً ولو زاد في برحه شيئاً الى ان يعلم خاصة المحبوب ذلك لما
راه الا في الطيف ولا تقطع القليل والكثير ولعاد ذلك عليه بالضرر وربما كان
من اسباب السكتان الحياء الغالب على الانسان وربما كان من اسباب السكتان
ان يرى الحب من محبوبه انحرافاً وصدأً ويكون ذا نفس ابيه فيستتر بما يجد لئلا
يشمت به عدو او يريهم ومن يحب هوان ذلك عليه

﴿ باب الاذاعة ﴾

وقد تعرض في الحب الاذاعة وهو من منكر ما يحدث من اعراضه ولها
اسباب منها ان يريد صاحب هذا الفعل ان يتزي بزى الحيين ويدخل في
عدادهم وهذه خلافة لا ترضى وتخليج بغيض ودعوى في الحب زائفة وربما
كان من اسباب الكشف غلبة الحب وتسور الجهر على الحياء فلا يملك الانسان
حينئذ لنفسه صرفاً ولا عدلاً وهذا من ابعد غايات العشق واغوى تحكمه على
العقل حتى يمثل الحسن في تمثال القيسح والقيسح في هيئة الحسن وهنالك يرى
الخير شراً والشر خيراً وكم من مصون الستر مسبل القناع مسدول الغطاء قد
كشف الحب ستره واباح حريمه واهمل حماه فصار بعد الصيانة علماً وبعد
السكون مثلاً وأحب شيء اليه الفضيحة فيما لو مثل له قبل اليوم لاعتراه النافض
عن ذكره ولطالت استعاذته منه فسهل ما كان وعراً وهان ما كان عزيزاً
ولان ما كان شديداً ولعهدي بفتى من سروات الرجال وعلية اخواني قد دهي
بمحنة جارية مقصورة فلم بها وقطعه حبها عن كثير من مصالحه وظهرت آيات
هواه لكل ذي بصر الى ان كانت هي تعذله على ما ظهر منه مما يقوده
اليه هوى .

(خبر) وحديثي موسى بن عاصم بن عمرو قال كنت بين يدي ابي الفتح
والذي رحمه الله وقد امرني بكتاب اكتبه اذ لحت عيني جارية كنت اكلف
بها فلم املك نفسي ورميت الكتاب عن يدي وبادرت نحوها وبهت ابي وظن
انه عرض لي عارض ثم راجعني عقلي فمسحت وجهي ثم عدت واعتذرت بانه
غلبني الرعاف واعلم ان هذا داعية نفاق المحبوب وفساد في التدبير وضعف في
السياسة وما شئ من الاشياء الا ولما أخذ فيه سنة وطريقة متى تعداها الطالب
او خرق في سلوكها انعكس بعمله عليه وكان كده عناء وتعبه هباءً وبخسه
زيادة وكلما زاد عن وجه السيرة انحرافاً وفي تجنبها اغراقاً وفي غير الطريق
ايغالا ازداد عن بلوغ مراده بعداً وفي ذلك اقول قطعة منها :

ولا تسع في الامر الجسيم تهازناً ولا تسع جهراً في اليسير تريده
وقابل افانين الزمان متى يرد عليك فان الدهر جم وروده
فاشكها من حسن سعيك يكفك اليسير بغير والشريد شريده
الم تبصر المصباح اول وقده واشعاله بالنفخ يطفأ وقوده
وان ينصرم لفحه ولهيه فنفخك يذكىه وتبدو مدوده

(خبر) واتي لاعرف من اهل قرطبة من ابناء الكتاب وجلة الخدمة من
اسمه احمد بن فتح كنت اعهد كثير التصاون من بغاة العلم وطلاب الادب يبرز
اصحابه في الانقباض ويفوت في الدعة لا يظهر الا في حلقة فضل ولا يرى الا في
محفل مرضي محمود المذاهب جميل الطريقة بائناً بنفسه ذاهباً بها ثم ابعدت الاقدار
داري من داره فأول خبر طراً علي بعد اطاعتي شاطبة انه خلع عذاره في
حب فتى من ابناء الفتانين يسمى ابراهيم بن احمد اعرفه لاستأهل صفاه
محبة من بيته خير وتقدم واموال عزيزة ووفر تالد وصح عندي انه كشف
رأسه وابدى وجهه ورمى رسنه وحسر حياه وشمر عن ذراعيه وصمد صمد
الشهوة فصار حديثاً للسمار ومدافعاً بين نقلة الاخبار وتهودي ذكره في

الاقطار وجرت نقلته في الارض راحلة بالتعجب ولم يحصل من ذلك الا على كشف الغطاء واذاعة السر وشنعة الحديث وفتح الاحدثة وشروء محبوه عنه جملة والتحضير عليه من رؤيته البتة وكان غنياً عن ذلك وبمندوحة واسعة ومعزل رجب عنه ولو طوى مكنون سره واخفى بليات ضميره لاستدام لباس العافية ولم ينهج (١) برد الصيانة ولما كان له في لقاء من يلي به ومحادثته ومجالسته امل من الآمال وتعلل كاف وان جبل الغدر ليقطع به والحجة عليه قائمة الا ان يكون محتلطاً في تميزه او مصاباً في عقله بجليل مافدحه فربما آل ذلك لعذر صحيح واما ان كانت بقية او ثبتت مسكة فهو ظالم في تعرضه ما يعلم ان محبوه يكرهه ويتأذى به وهذا غير صفة اهل الحب وسيأتي هذا مفسراً في باب الطاعة ان شاء الله تعالى

﴿ ومن اسباب الكشف وجه ثالث ﴾

وهو عند اهل العقول وجه مرذول وفعل ساقط وذلك ان يرى المحب من محبوه غدرأ او مللا او كراهة فلا يجد طريق الاتصاف منه الا بما ضرره عليه اعود منه على المقصود من الكشف والاشتهار وهذا اشد العار واقبح الشار واقوى بشواهد عدم العقل ووجود السخف وربما كان الكشف من حديث ينتشر واقوايل تقشو وتوافق قلة مبالاة من المحب بذلك ورضى بظهور سره اما لا عجب واما لاستظهار على بعض ما يؤمله وقد رأيت هذا الفعل لبعض اخواني من ابناء القواد وقرأت في بعض اخبار الاعراب ان نساءهم لا يقنعن ولا يصدقن عشق عاشق لهن حتى يشتهر ويكشف حبه ويباهر ويعلن وينوه بذكرهن ولا ادري ما معنى هذا على انه يذكر عنهن العفاف واي عفاف مع امرأة اذ اقصى منها وسرورها الشهرة في هذا المعنى

(١) نهج التوب اخلقه

﴿ باب الطاعة ﴾

ومن عجب مايقع في الحب طاعة الحب لمحبوبه وصرفه طباعه قسراً الى طباع من يحبه ربما يكون المرء شرس الخلق صعب الشكيمة جموح القياد ماضي الغزيمة حيي الاف ابي الحسف فما هو الا ان يتنسم نسيم الحب ويتورط غمره ويعوم في بحره عادت الشراسة لياناً والصعوبة سهلة والمضاء كلاله والحمية استسلاماً وفي ذلك اقول قطعة منها :

فهل للوصال الينا معاد	وهل لتصاريف ذا الدهر حد
فقد اصبح السيف عبد القضيـب	واضحى الغزال الاسير أسد

واقول شعراً منه :

واني وان تمسب لاهون هالك	كذائب نقرزل من يد جهيد
على ان قتلي في هواك لذادة	فيا عجياً من هالك متلذذ

ومنها :

ولو ابصرت انوار وجهك فارس لاغناهم عن هرمزان وموبد
وربما كان المحبوب كارهاً لاطهار الشكوى متبرماً بسماع الوجد فتري الحب
حينئذ يكتم حزنه ويكظم اسفه وينطوي على علته وان الحبيب متجن فعندها
يقع الاعتذار عند كل ذنب والاقرار بالجريمة والمرء منها بريء تسليماً لقوله وتركاً
لخالفته واني لاعرف من دهي بمنل هذا فما كان ينفك من توجيه الذنوب نحوه
ولا ذنب له وايقاع العتاب عليه والسخط وهو تقي الجلد واقول شعراً الى بعض
اخواني ويقرب مما نحن فيه وان لم يكن منه :

وقد كنت تلقاني بوجه لقربه	تدان وللهجـران عن قربه سخط
وما تكره العتب اليسير سـجتي	على انه قد عيب في الشعر الوخط

فقد يتعب الانسان في الفكر نفسه وقد يحسن الحيلان في الوجه والنقط
ترين اذا قلت ويفحش امرها اذا افطت يوماً وهل يحمد الفرط
ومنه :

اعنه فقد اضحى لفرط همومه يبكي اذ القرطاس والخبر والخط
ولا يقولون قائل ان صبر الحب على ذلة المحبوب دناءة في النفس فقد اخطأ
وقد علمنا ان المحبوب ليس له كفواً ولا نظيراً فيقارض باذاه وليس سبه وجفاده
مما يعير به الانسان ولا يبقى ذكره على الاحتقار ولا يقع ذلك في مجالس الحلفاء
ولا في مقاعد الرؤساء فيكون الصبر مستجرة للمذلة وضراعة قائدة للاستهانة
فقد ترى الانسان يكلف بامته التي يملك رقبها ولا يحول حائل بينه وبين التعدي
عليها فكيف الانتصار منها وسبل الامتصاص من السبب غير هذه انما ذلك بين
علية الرجال الذين تحصل انفاسهم وتتبع معاني كلامهم فتوجه لها الوجوه
البعيدة لانهم لا يوقعونها سدى ولا يلقونها هملاً واما المحبوب فصعدة ثابتة وقضيب
منأد يجفون ويرضى متى شاء لالمعنى وفي ذلك اقول :

ليس التذلل في الهوى يستنكر فالحب فيه يخضع المستنكر
لا تعجبوا من ذاتي في حالة قد ذل فيها قبلي المستنكر
ليس الحبيب مائلاً ومكافياً فيكون صبرك ذلة اذ تصبر
تفاحة وقعت فألم وقوعها هل قطعها منك انتصاراً يذكر

(خبر) وحدثني ابو دلف الوراق عن مسلمة ابن احمد الفيلسوف المعروف
بالمرجطي انه قال في المسجد الذي بشرقى مقبرة قریش بقرطبة الموازي لدار
الوزير ابن عمرو احمد بن محمد بن جدير رحمه الله في هذا المسجد كان
مقدم بن الاصغر مريضاً ايام حداته بعشق بعجب ففى الوزير ابي عمرو
المذكور وكان يترك الصلاة في مسجد منور وبها كان سكناه ويقصد في الليل
والنهار الى هذا المسجد بسبب عجب حتى اخذه الحرس غير ما مرة في الليل

في حين انصرفه عن صلاة العشاء الآخرة وكان يقعد وينظر منه الى ان كان الفتي يقضب ويضجر ويقوم اليه فيوجهه ضرباً ويلطم خديه وعينه فيسر بذلك ويقول هذا والله اقصى امنيتي والآن قرت عيني وكان على هذا زماناً يماشيه قال ابو دلف ولقد حدثنا مسلم بهذا الحديث غير مرة بحضرة عجيب عندما كان يرى من وجاهة مقدم بن الاصغر وعرض جاهه وعافيته فكانت حال مقدم بن الاصغر هذا قد جات جداً واختص بالمظفر ابن ابي عامر اختصاصاً شديداً واتصل بوالدته واهله وجرى على يديه من بليان المساجد والسقايات وتسهيل وجوه الخير غير قليل مع تصرفه في كل ما يتصرف فيه اصحاب السلطان من العناية بالناس وغير ذلك

(خبر) واشنع من هذا انه كانت لسويد بن منذر بن سويد صاحب الصلاة في جامع قرطبة ايام الحكم المستنصر بالله رحمه الله جارية يحبها حباً شديداً فمرض عليها ان يعتقها ويتزوجها فقالت له ساخرة به وكان عظيم اللحمة ان لحيتك استبشع عظمها فان حذفت منها كان ما ترغبه فاعمل الجملين فيها حتى لطفت ثم دعا بجماعة شهود واشهدهم على عتقها ثم خطبها الى نفسه فلم ترض به وكان في جملة من حضر اخوه حكم بن منذر فقال لمن حضر اعرض عليها اني اخطبها انا فنعل فاجابت اليه فتزوجها في ذلك المجلس بعينه ورضي بهذا العار الفادح على ورعه ونسكه واجتهاده فانا ادركت سعيداً هذا وقتله البربر يوم دخولهم قرطبة عنوة واتهابهم اياها وحكم المذكور اخوه هو رأس المعتزلة بالاندلس وكبرهم واستاذهم ومتكلمهم وناسكهم وهو مع ذلك شاعر طيب وفقه وكان اخوه عبد الملك بن منذر متهماً بهذا المذهب ايضاً ولي خطبة الري ايام الحكم رضي الله عنه وهو الذي صلبه المنصور بن ابي عامر اذ اتهمه هو وجماعة من النقاء واقتضاه بقرطبة انهم يبايعون سرّاً لعبد الرحمن بن عبيد الله بن امير المؤمنين الناصر رضي الله عنهم فقتل عبد الرحمن وصاب عبد الملك بن منذر وبدد شمل جميع

عن اثمهم وكان ابوهم قاضي القضاة منذر ابن سعيد متهماً بمذهب الاعتزال ايضاً
وكان اخطب الناس واعلمهم بكل فن واورعهم واكثرهم هزلاً ودعابة وحكم
المذكور في الحياة في حين كتابتي اليك بهذه الرسالة قد كف بصره
وأسن جداً

(خبر) ومن عجيب طاعة الحب لمحجوبه اني اعرف من كان سهر الليالي
الكثيرة ولقي الجهد الجاهد فقطعت قلبه ضرروب الوجد ثم ظنر بمن يحب
وليس به امتناع ولا عنده دفع فحين رأى منه بعض الكراهة لما نواه تركه
وانصرف عنه لاتعفنأ ولا تخوفأ لكن توقفأ عند موافقته رضاه ولم يجد من نفسه
معينا على اتيان ما لم ير له اليه لشاطأ وهو يجد ما يجد واني لاعرف من فعل
هذا الفعل ثم تدم وتعذر ما ظهر من المحبوب فقلت في ذلك :

غافص (١) الفرصة واعلم انها كمضي البرق تمضي الفرص
كم امور امكنت امهلها هي عندي اذ تولت غصص
بادر الكنز الذي الفيته واتهنز صبراً كبحار يقنص

ولقد عرض مثل هذا بعينه لابي المظفر عبد الرحمن ابن احمد بن محمود
صديقنا وانشدته ابياتاً لي فطار بها كل مطار واخذها مني فكان هجيراً
(خبر) ولقد سألتني يوماً ابو عبد الله محمد بن كليب من اهل القبروان
ايام كوني بالمدية وكان طويل اللسان جداً مثقفاً للسؤال في كل فن فقال لي
وقد جرى بعض ذكر الحب ومعانيه اذا كره من احب لقائي وتجنب قربى
فما اصنع قلت ارى ان تسعى في ادخال الروح على نفسك بلقاءه وان كره
فقال لكنني لا ارى ذلك بل اؤثر هواء على هواي ومراده على مرادي واصبر
واصبر ولو كان في ذلك الحنف فقلت له اني انما احبته لنفسي ولالتذاذها بصورته

(١) غافصة غفاصاً ومنافسة : فاجأه واخذته على غرة منه

الاسير
الاسير
الاسير

فانا اتبع قياسي واقود اصلي واقفو طريقتي في الرغبة في سرورها فقال لي هذا ظلم من القياس اشد من الموت ما تمنني له الموت واعز من النفس ما بذلت له النفس فقلت له ان بذلك نفسك لم يكن اختياراً بل كان اضطراراً ولو أمكنك الا تبذلها لما بذلتها وتركك لقاءه اختياراً منك انت فيه ملوم لاضرارك بنفسك وإدخالك الحتف عليها فقال لي انت رجل جدلي ولا جدل في الحب يلتفت اليه فقات له اذا كان صاحبه مأوفاً (١) فقال واي آفة اعظم من الحب .

﴿ باب المخالفة ﴾

وربما اتبع الحب شهوته وركب رأسه فبلغ شقاءه من محبوه وتعهد مسرته منه على كل الوجوه سخط او رضي ومن ساعده على الوقت هذا وثبت جناحه واتيحت له الاقدار استوفى لذته جميعها وذهب غمه وانقطع همه ورأى امله وبلغ مرغوبه وقد رأيت من هذه صفته وفي ذلك اقول اياتاً منها :

{	اذا انا بلغت نفسي المنى	من رشا ما زال لي ممرضاً
	فما أبالي الكره من طاعة	ولا أبالي سخطاً من رضا
	اذا وجدت الماء لا بد أن	أطفي به مشعل جمر الغضا

﴿ باب العاذل ﴾

ولاحب آفات فأولها العاذل والعدال اقسام فأصلهم صديق قد اسقطت مؤونة التحفظ بينك وبينه فعذله افضل من كثير المساعدات وهي من الحظ والنهي وفي ذلك زاجر للنفس عجيب وتقوية لطيفة لها عرض وعمل ودواء تشد عليه الشهوة ولا سيما ان كان رفيقاً من قوله حسن التواصل الى ما يرد من المعاني

(١) الآفة العاهة : وأصابته آفة فهو مؤوف

بلفظه عالماً بالاوقات التي يؤكد فيها النهي وبلاحيات التي يزيد فيها الامر والساعات التي يكون فيها وفقاً بين هذين على قدر ما يرى من تسهيل العاشق وتوعره وقبوله وعصيانه ثم عاذل زاجر لا يفيق ابداً من الملامة وذلك خطب شديد وعند ثقيل ووقع لي مثل هذا وان لم يكن من جنس الكتاب ولكنه يشبهه وذلك ان ابا السري عمار بن زياد صديقنا اكثر من عذلي على نحو نحوه واعان على بعض من لامني في ذلك الوجه ايضاً وكنت اظن انه سيكون معي مخطئاً كنت او مصيئاً لو كيد صداقتي معه وصحيح اخوتي به ولقد رأيت من اشد وجده وعظم كلفه حتى كان العذل احب شيء اليه ليري العاذل عصياناً ويستلذ مخالفته ويحصل مقاومته اللائمة وغلبته اياه كملك الهازم لعدوه والمجادل الماهر الغالب لحصمه ويسر بما يقع منه في ذلك وربما كان هذا المستحلب لعذل العاذل باشياء يوردها توجب ابتداء العذل وفي ذلك اقول آياتاً منها :

احب شيء الى اللوم والعذل كي اسمع اسم الذي ذكره لي امل
كأنني شارب بالعذل صافية وباسم مولاي بعد الشرب اتقل

﴿ باب المساعد من الاخوان ﴾

ومن الاسباب المتمناة في الحب ان يهب الله عز وجل للانسان صديقاً مخلصاً لطيف القول بسيط الطول حسن المأخذ دقيق المنفذ متمكن البان مرهف اللسان جليل الحلم واسع العلم قليل المخالفة عظيم المساعدة شديد الاحتمال صابراً على الادلال جم الموافقة جميل المخالفة مستوي المطابقة محمود الخلاق مكثوف البوائق محتوم المساعدة كارهاً للمباعدة نبيل المداخل مصروف العوائل غامض المعاني عارفاً بالاماني طيب الاخلاق سري الاعراق مكتوم السر كثير البر صحيح الامانة مأمون الحيانة كريم النفس نافذ الحس صحيح الحدس مضمون

العون كامل الصون مشهور الوفاء ظاهر الغناء ثابت القريحة مبذول النصيحة
مستيقن الوداد سهل الاقياد حسن الاعتماد صادق اللمجة خفيف المهجة عفيف
الطباع رحب الذراع واسع الصدر متخلقاً بالصبر يألف الاحاض ولا يعرف
الاعراض يستريح اليه ببلبله ويشاركه في خلوة فقره ويقاوزه في مكتوماته
وان فيه للمحب لاعظم الراحة وان هذا فان ظفرت به يدك فشدتها عليه
شد الضنين وامسك بهما امساك البخيل وصنه بطارفك وتالدك فعه يكمل الانس
وتتجلي الاحزان ويقصر الزمان وتطيب الاحوال ولن يفقد الانسان من
صاحب هذه الصفة عوناً جميلاً ورأياً حسناً ولذلك اتخذ الملوك الوزراء والدخلاء
كي يخففوا عنهم بعض ما حلوه من شديد الامور وطوقوه من باهض الاحمال
ولكي يستغنوا بأرائهم ويستمدوا بكفائتهم والا فليس في قوة الطبيعة ان تقاوم
كل ما يرد عليها دون استعانة بما يشاكلها وهو من جنسها ولتقد كان بعض
الحسين لعدمه هذه الصفة من الاخوان وقلة ثقته منهم لما جربه من الناس
وانه لم يعدم من باح اليه بشيء من سره احد وجهين اما اذراء على رأيه
واما اذاعة لسره اقام الوحدة مقام الانس وكان ينفرد في المكان النازح عن
الانيس ويناجي الهوى ويكلم الارض ويحبد في ذلك راحة كما يحبد المريض
في التأوه والحزون في الزفير فان الهموم اذا ترادفت في القلب ضاق بها
فان لم ينض منها شيء باللسان ولم يسترح الى الشكوى لم يلبث ان يهلك غماً
ويموت اسفاً وما رأيت الاسعاد اكثر منه في النساء فعندهن من المحافظة على
هذا الشأن والتواصي بكتانه والتواطيء على طيه اذا اطلعن عليه ما ليس عند
الرجال وما رأيت امرأة كشفت سر متحابين الا وهي عند النساء ممقوتة مستثناة
مرمية عن قوس واحدة وانه ليوجد عند العجائز في هذا الشأن ما لا يوجد
عند القتيات لان القتيات منهن ربما كشفن ما علمن على سبيل التغاير وهذا

لا يكون الا في الندرة واما العجائز فقد يئسن من انفسهن فانصرف الاشفاق
محضاً الى غيرهن

(خبر) واني لاعلم امرأة موسرة ذات جوار وخدم فشاع على احدى
جواريتها انها تعشق فتى من اهلها ويعشقها وان بينهما معان مكروهة وقيل لها
ان جارتك فلانة تعرف ذلك وعندها جلية امرها فاحذتها وكانت غليظة
العقوبة فاذاقها من انواع الضرب والاذاء ما لا يصبر على مثله جلداء الرجال
رجاء ان تبوح لها بشيء مما ذكر لها فلم تفعل البتة

(خبر) واني لاعلم امرأة جليظة حافظة لكتاب الله عز وجل ناسكة مقبلة
على الخير وقد طفرت بكتاب لفتى الى جارية كان يكلف بها وكان في غير
ملكها فعرفته الامر فرام الانكار فلم يتبأ له ذلك فقالت له مالك ومن ذا
عصم فلا تبالي بهذا فوالله لا اطلعت على سر كما احداً ابداً ولو امكنتني ان
ابتاعها لك من مالي ولو احاط به كله لجعلتها لك في مكان تصل اليها فيه ولا
يشعر بذلك احده وانك لترى المرأة الصالحة المسنة المنقطة الرجاء من الرجال
واحب اعمالها اليها وارجاها للقبول عندها سعيها في ترويح يتيمة واعارة ثيابها
وحلبها لعروس مقلة وما اعلم علة تمكن هذا الطبع من النساء الا انهن متفرغات
البال من كل شيء الا من الجماع ودواعيه والغزل واسبابه والتألف ووجوهه
لاشغل لهن غيره ولاخلفن لسواه والرجال مقسمون في كسب المال وصحبة
السلطان وطلب العلم وحياطة العيال ومكابدات الاسفار والصيد وضروب الصناعات
ومباشرة الحروب وملاقات الفتن وتحمل المخاوف وعمارة الارض وهذا كله متجيف
للفراغ صارف عن طريق البطل وقرأت في سير ملوك السودان ان الملك منهم
يوكل ثقة له بنسائه يلقي عليهم ضريبة من غزل الصوف يشتغلن بها ابد الدهر
لانهم يقولون ان المرأة اذا بقيت بغير شغل انما تشوق الى الرجال وتحن الى
النكاح ولقد شاهدت النساء وعلمت من اسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري لاني

ربيت في حجرهن ونشأت بين ايديهن ولم اعرف غيرهن ولا جالست الرجال
الا وانا في حد الشباب وحين يتقبل وجهي وهن عليهن القرآن ورويني كثيراً
من الاشعار ودرنني في الخط ولم يكن وكدي واعمال ذهني مذ اول فهمي
وانا في سن الطفولة جداً الا تعرف اسبابهن والبحث عن اخبارهن وتحصيل ذلك
وانا لانسى شيئاً مما اراه منهن واصل ذلك غيرة شديدة طبعت عليها وسؤ ظن
في جهنم فطرت به فاشرفت من اسبابهن على غير قليل وسيأتي ذلك مفسراً
في ابوابه ان شاء الله تعالى

﴿ باب الرقيب ﴾

ومن آفات الحب الرقيب وانه لحي باطنة وبرسام ملح وفكر مكب
والرقباء اقسام فاولهم مقل بالجلوس غير متعمد في مكان اجتمع فيه المرء مع
محبوه وعزما على اظهار شيء من سرهما والبرح بوجدتهما والانفراد بالحديث
ولقد يعرض للمحب من القلق بهذه الصفة ما لا يمرض له مما هو اشد منها وهذا
وان كان يزول سريعاً فهو عائق حال دون المراد وقطع متوفر الرجاء
(خبر) ولقد شاهدت يوماً محبين في مكان قد ظننا انهما انفردا فيه وتأهبا
للشكوى فاستجلبا ما هما فيه من الخلوة ولم يكن الموضع حي فلم يلبثا ان
طلع عليهما من كنا يستقلانه فرأى فعدل الي واطال الجلوس معي فلو رأيت
الفتي المحب وقد تمازج الاسف البادي على وجهه مع الغضب لرأيت عجباً وفي
ذلك اقول قطعة منها :

يطيل جلوساً وهو اثقل جالس وييدي حديثاً لست ارضى فنونه
شمام ورضوى واللكام ويذبل ولبنان والضمان والحرب دونه
ثم رقيب قد احس من امرهما بطرف وتوجس من مذهبهما شيئاً فهو يريد
ان يستبري حتمية ذلك فيدمن الجلوس ويطيل القعود ويتخفى بالحركات ويرمق

الوجوه ويحصل الانفاس وهذا اعدا من الحرب واني لاعرف من هم ان
يأخذ رقيباً هذه صفته وفي ذلك اقول قطعة منها :

مواصل لا يغيب (١) قصداً اعظم بهذا الوصال غمّاً

صار وصرنا لفرط ما لا يزول كالاسم والمسمّا

ثم رقيب على المحبوب فذلك لاحيلة فيه الابتضية واذا أرضى فذلك غاية
اللذة وهذا الرقيب هو الذي ذكرته الشعراء في اشعارها ولقد شاهدت من تلطف في
استرضاء رقيب حتى صار الرقيب عليه رقيباً له ومتغافلاً في وقت التغافل ودافعاً
عنه وساعياً له ففي ذلك اقول :

ورب رقيب ارقبوه فلم يزل على سيدي عمداً ليعبدني عنه

فما زالت الالطاف تحكم أمره الى ان غدا خوفي له آمناً منه

وكان حساماً سل حتى يهديني فعاد محباً بالنعمة كنه

واقول قطعة منها :

صار حياة وكان سهم ردى وكان سماً فصار درياقاً (٢)

واني لاعرف من رقب على بعض من كان يشفق عليه رقيباً وثق به عند
نفسه فكان اعظم الآفة عليه واصل البلاء فيه واما اذا لم يكن في الرقيب حيلة
ولا وجد الى ترضيه سبيل فلا طمع الا بالاشارة بالعين همساً وبال حاجب احياناً
والتعريض اللطيف بالقول وفي ذلك متعة وبلاغ الى حين يقنع به المشتاق وفي
ذلك اقول شعراً اوله :

على سيدي مني رقيب محافظ وفي لمن والاه ليس بنا كـ

ومنه :

ويقطع اسباب البانة في الهوى ويفعل فيها فعل بعض الحوارث

(١) يعني لا يقل في الزيارة (٢) الدرياق لغة في الترياق

كأن له في قلبه رية ترى وفي كل عين مخبر بالأحداث
ومنه :

على كل من حولي رقيباً رتباً وقد خصني ذو العرش منهم بثالث
واشنع ما يكون الرقيب اذا كان ممن امتحن بالعشق قديماً ودهي به وطالت
مدته فيه ثم عري عنه بعد إحكامه لمعانيه فكان راغباً في صيانة من رقب عليه
فتبارك الله اي رقيب يأتي منه واي بلاء مصوب يحل على اهل الهوى من
جهته وفي ذلك اقول :

رقب طالما عرف الغراما وقاسى الوجد وامتنع المشاما
ولاقي في الهوى المأ ألياً وكاد الحب يورده الحاماما
وأقن حيلة الصب المعنى ولم يضع الاشارة والكلاما
واعقبه التسلي بعد هذا وصار يرى الهوى عاراً وذاماً (١)
وصيردون من اهوى رقيباً ليعبد عنه صبا مستهاما
فأي بلية صبت علينا واي مصيبة حلت لماما

ومن طريق معاني الرقباء اني اعرف محبين مذهبهما واحد في حب محبوب
واحد بعينه فلهدي بهما كل واحد منهما رقيب على صاحبه وفي ذلك اقول :
صبا هيمانان (٢) في واحد كلاهما عن خدنه منحرف
كالكلب في الأرى (٣) لا يعتلف ولا يخلي الغير ان يعتلف

(١) الذام العيب . ومنه المثل : لاتعلم الحسنة ذاما
(٢) رجل هيمان يحب شديد الوجد
(٣) في الاختار : مما يضعه الناس في غير موضعه قولهم للمعلف آرى وانما
الأرى محبس الدابة

﴿ باب الواشي ﴾

ومن آفات الحب الواشي وهو على ضربين أحدهما واش يريد القطع بين المتحابين فقط وان هذا لأفترهما (١) سوءة على انه السم الذعاف والصاب الممقر (٢) والحتف القاصد والبلاء الوارد وربما لم ينجع ترقيشه (٣) وأكثر ما يكون الواشي فالى المحبوب واما المحب فهيئات : حال الجريض دون القريض . ومنع الحرب من الطرب شغله بما هو مانع له من استماع الواشي وقد علم الوشاة ذلك وانما يقصدون الى الحلي البال الصائل بحوزة الملك المتعجب عند اقل سبب وان للوشاة ضرورياً من التتميل فنها ان يذكر للمحبوب عن محب انه غير كاتم للسسر وهذا مكان صعب المعاناه بطيء البرء الا ان يوافق معارضاً للمحب في محبته وهذا امر يوجب النفار فلا فرج للمحبوب الا بان تساعد الاقدار بالاطلاع على بعض اسرار من يحب بعد ان يكون المحبوب ذا عقل وله حظ من تمييز ثم يدعه والمطاولة فاذا تكذب عنده نقل الواشي مع ما أظهر من الجفاء والتحفظ ولم يسمع لسره اذاعة علم انه انما زور له الباطل واضمحل مقام في نفسه ولقد شاهدت هذا بعينه لبعض المحبين مع بعض من كان يحب وكان المحبوب شديد المراقبة عظيم الكتمان وكثر الوشاة بينهما حتى ظهرت اعلام ذلك في وجهه وحدث في حب لم يكن وركبته رحمة وأظلمته فكرة ودهمته حيرة الى ان ضاق صدره وباح بما نقل اليه فلو شاهدت مقام المحب في اعتذاره لعلمت ان الهوى سلطان مطاع وبناء مشدود الاواخي (٤) وسان نافذ وكان اعتذاره بين الاستسلام والاعتراف والانكار والتوبة والرمي بالمقاييد فبعد لأي ماصليح

(١) يريد اقلهما اساءة واخفهما شراً (٢) أمقر صار مرأ (٣) رقص كلامه رقصاً زوقه وزخرفه (٤) كناية عن قوته ومثاقه اساسه

الامر بينهما وربما ذكر الواشي ان ما يظهر الحب من المحبة ليست بصحيحة وان مذهبه في ذلك شفاء نفسه وبلوغ وطره وهذا فصل وان كان شديداً في النقل فهو ايسر معاناة مما قبله فحالة الحب غير حالة التلذذ وشواهد الوجد متفرقة بينهما وقد وقع من هذا نبذ كافية في باب الطاعة وربما نقل الواشي ان هوى العاشق مشترك وهذه النار المحرقة والوجع الفاشي في الاعضاء واذا وافق الناقل لهذه المقالة ان يكون الحب فتى حسن الوجه حلوا الحركات مرغوباً فيه مائلاً الى اللذات دنيوي الطبع والمحبوب امرأة جليلة القدر سرية المنصب فاقرب الاشياء سببها في اهلاكه وتصديها لحقه فكم صريع على هذا السبب وكم من سقى السم فتقطع أمعاء لهذا الوجه وهذه كانت ميتة مروان بن احمد ابن حدير والد احمد المنسك وموسى وعبد الرحمن المعروفين بابي لبني من قبل قطر الندى جاريته وفي ذلك اقول محذراً لبعض اخواني قطعة منها :

وهل يأمن النسوان غير مغفل جهول لاسباب الردى متأرض
وكم وارد حوضاً من الموت اسود ترشفه من طيب الطعم ايض
والثاني واش يسعى للقطع بين المحبين لينفرد بالمحجوب ويستأثر به وهذا اشد
شيء واقطعه واجزم لاجتهاد الواشي واستفادة جهده ومن الوشاة جنس
ثالث وهو واش يسعى بهما جميعاً ويكشف سرهما وهذا لا ياتفت اليه اذا كان
الحب مساعداً

وفي ذلك اقول :

عجبت لو اش ظل يكشف امرنا وما يسوى اخبارنا يتنفس
وماذا عليه من عنائي ولوعتي أنا آكل الرمان والولد يضرس

ولا بد أن اورد ما يشبه ما نحن فيه وان كان خارجاً منه وهو شيء في بيان
التنكيل والنائم فالكلام يدعو بعضه بعضاً كما شرطنا في اول الرسالة وما في جميع
الناس شر من الوشاة وهم النمامون وان النميعة لطبع يدل على نتن الاصل

استطرد
في العميمة
والكذب

ورداء الفرع وفساد الطبع وخبث النشأة ولا بد لصاحبه من الكذب . والنميمة فرع من فروع الكذب ونوع من انواعه وكل تمام كذاب وما احببت كذاباً قط وإني لاساح في اخاء كل ذي عيب وان كان عظيماً واكل امره الى خالقه عز وجل وأخذ ما ظهر من اخلاقه حاشي من اعلمه يكذب فهو عندي ماح لسكل محاسنه ومغف على جميع خصاله ومذهب كل مافيه فها ارجو عنده خيراً اصلاً وذلك لان كل ذنب فهو يتوب عنه صاحبه وكل ذام (١) فقد يمكن الاستتار به والتوبة منه حاشا الكذب فلا سبيل الى الرجعة عنه ولا الى كتمانته حيث كان وما رأيت قط ولا اخبرني من رأى كذاباً وترك الكذب ولم يعد اليه ولا بدأت قط بقطيعة ذي معرفة الا ان اطلع له على الكذب فيخذ أكون انا القاعد الى مجانبته والمتعرض لمماركته وهي سمة ما رأيتها قط في احد الا وهو مزنون (٢) في نفسه اليه بشق مغموز عليه لعاهة سوء في ذاته نعوذ بالله من الخذلان وقد قال بعض الحكماء آخ من شئت واجتنب ثلاثة . الاحق فانه يريد ان يتفكك فضرك . والمول فانه اوثق ماتكون به لطول الصحبة وتأكدها خذلك . والكذاب فانه يحني عليك آمن ما كنت فيه من حيث لاتشعر . وحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (حسن العهد من الايمان) وعنه عليه السلام (لا يؤمن الرجل بالايمان كله حتى يدع الكذب في المزاح) حدثنا بهما ابو عمر احمد بن محمد بن محمد بن علي بن رفاعة عن علي بن عبد العزيز عن ابي عبيد القاسم ابن سلام عن شيوخه والآخر منهما مسند الى عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما والله عز وجل يقول (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل (هل يكون المؤمن بخيلاً فقال نعم قيل فهل يكون

المؤمن جباناً فقال نعم قيل فهل يكون المؤمن كذاباً قال لا ﴿ حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد عن أحمد بن سعيد عن عبيد الله بن يحيى عن أبيه عن مالك بن انس عن صفوان بن سليم وبهذا الاسناد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿ لا خير في الكذب ﴾ في حديث سئل فيه . وبهذا الاسناد عن مالك انه بلغه عن ابن مسعود انه كان يقول ﴿ لا يزال العبد يكذب وينكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب فيكتب عند الله من الكذابين ﴾ وبهذا الاسناد عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ﴿ عليكم بالصدق فانه يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة واياكم والكذب فانه يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار ﴾ وروى انه أئاه صلى الله عليه وسلم فقال ﴿ يا رسول الله إني استر بثلاث الخمر والزنا والكذب فرني ايهما اترك قال اترك الكذب فذهب منه ثم اراد الزنا ففكر فقال آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألني اذنيت فان قلت نعم حذني وان قلت لا نقضت العهد فتركته ثم كذلك في الخمر فعاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني تركت الجميع ﴾ فالكذب اصل كل فاحشة وجامع كل سوء وجالب لمقت الله عز وجل . وعن ابى بكر الصديق رضي الله عنه انه قال ﴿ لا يمان لمن لا امانة له ﴾ وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ﴿ كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الحيانة والكذب ﴾ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ﴿ ثلاث من كن فيه كان منافقاً من اذا وعد اخلف واذا حدث كذب واذا اؤتمن خان ﴾ وهل الكفر الا كذب على الله عز وجل والله الحق وهو يحب الحق وبالحق قامت السموات والارض وما رأيت اخزى من كذاب وما هلكت الدول ولا هلكت الممالك ولا سفكت الدماء ظلماً ولا هتكت الاستار بغير التأثم والكذب ولأكدت البغضاء والاحن المردية الانبأتم لا يحظى صاحبها الا بالهتكت والحزى والذل وان ينظر منه الذي ينقل اليه فضلاً عن غيره بالعين التي ينظر بها من السكب

والله عز وجل يقول ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ ويقول جل من قائل ﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ فسمى المنقل باسم الفسوق ويقول ﴿ولاتطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد ائيم عتل بعد ذلك زنيم﴾ والرسول عليه السلام يقول ﴿لا يدخل الجنة قتات﴾ (١) ويقول ﴿واياكم وقاتل الثلاثة﴾ يعني المنقل والمنقول اليه والمنقول عنه والاحنف يقول ﴿الثقة لا يبلغ وحق لذي الوجهين الا يكون عند الله وجيهاً﴾ وهو ما يجعله من اخس الطبائع وارذلها ولي الى ابي اسحق ابراهيم بن عيسى الثقفى الشاعر رحمه الله وقد نقل اليه رجل من اخواني غني كذباً على جهة الهزل وكان هذا الشاعر كثير الوهم فاغضبه وصدقه وكلاهما كان لي صديقاً وما كان الناقل اليه من اهل هذه الصفة ولكنه كان المزاح جم الرعاية فكتبت الى ابي اسحاق وكان يقول بالخبر شعراً منه :

ولا تبسدل قالة قد سمعتها تقال ولا تدري الصحيح بما تدري
كمن قد اراق الماء للال ان بدا فلاقى الردى في الافيح المهمة القفر
وكتبت الى الذي نقل غني شعراً منه :

ولا ترعما في الجد مزحاً كمولج فساد علاج النفس طي صلاحها
ومن كان نقل الزور امضى سلاحه كمثل الجبارى (٢) تقي بسلاحها

وكان لي صديق مرة وكثر التدخيل بيني وبينه حتى كدح ذلك فيه واستبان في وجهه وفي لحظه وطبعت على التسائي والتربص والمسألة ما امكنت ووجدت بالانخفاض سيلاً الى معاودة المدة فكتبت اليه شعراً منه :

ولي في الذي أبدي مرام لو انها بدت ما ادعى حسن الرماية وهرز
واقول مخاطباً لعبيد الله بن يحيى الجزيري الذي يحفظ لعمه الرسائل البليغة

(١) اقلت نم الحديث (٢) الجبارى طائر اكبر من الدجاج الاهلي

وكان طبع الكذب قد استولى عليه واستحوذ على عقله وألفه إلفة النفس الأمل
ويؤكد نقله وكذبه بالإيمان المؤكدة المغلفة مجاهراً بها الكذب من السراب
مستتراً بالكذب مشغولاً به لا يزال يحدث من قد صح عنده أنه لا يصدق فلا
يزجره ذلك عن أن يحدث بالكذب

بدا كل ما كتمته بين مخبر وحال ارتي قبح عقدك بينا
وكم حالة صارت بياناً بحالة كما تثبت الأحكام بالجبل الزنا
وفيه أقول قطعة منها :

أنتم من المرأة في كل ما درى واقطع بين الناس من قصب الهند
أظن النايا والزمان تعلموا تحيله بالقطع بين ذوي الود
وفيه أيضاً أقول من قصيدة طويلة :

واكذب من حسن الظنون حديثه واقبح من دين وققر ملازم
أوامر رب العرش اضيع عنده وأهون من شكوى إلى غير راحم
تجمع فيه كل خزي وفضحة فلم يبق شتماً في المقال لشاتم
وأثقل من عدل على غير قابل وبارد برداً من مدينة سالم
وأبغض من بين وهجر ورقة جعلن على حيران حيران هائم

وليس من نبه غافلاً أو نصح صديقاً أو حفظ مسلماً أو حكى عن فاسق
أو حدث عن عدو ما لم يكن يكذب ولا يكذب ولا تعتمد الضغائن ناقلاً وهل
هلك الضعفاء وسقط من لا عقل له إلا في قلة المعرفة بالناصح من النام وهما
صفتان متقاربتان في الظاهر متفاوستان في الباطن أحدهما داء والآخرى دواء
والثاقب القريحة لا يخفى عليه أمرهما لكن الناقل من كان تثقله غير مرضي في
الديانة ونوى به التشيت بين الأولياء والتضريب بين الإخوان والتحرش والتوبيش
والتريش فمن خاف أن سلك طريق النصيحة أن يقع في طريق النيمة ولم يثق
لنفاذ تمييزه ومضاء تقديره فيما يرد من أمور دنياه ومعاملة أهل زمانه فليجعل

دينه دليلاً له وسراجاً يستضيء به فحيثما سلك به سلك وحيثما اوقفه وقف (كفلاً له بالنظر رغماً بالاصابة ضمان الفلج والخلاص) (كذا) فشارع الشريعة وباعث الرسول عليه السلام ومرتب الاوامر والنواهي اعلم بطريق الحق وادري بهواقب السلامة ومغيبات النجاة من كل ناظر لنفسه بزعمه وباحث بقياسه في ظنه

﴿ باب الوصل ﴾

ومن وجوه العشق الوصل وهو حظ رفيع ومرتبة سرية ودرجة عالية وسعد طالع بل هو الحياة المجددة والعيش السني والسرور الدائم ورحمة من الله عظيمة ولولا ان الدنيا دار ممر ومحنة وكدر والجنة دار جزاء وأمان من المكاهر لقلنا ان وصل المحبوب هو الصفاء الذي لا كدر فيه والفرح الذي لا شائبة فيه ولا حزن معه وكال الاماني ومنتهى الاراجي ولقد جربت المذات على تصرفها وادركت الحظوظ على اختلافها فما للذنو من السلطان ولا المال المستفاد ولا الوجود بعد العدم ولا الاوبة بعد طول الغيبة ولا الامن بعد الخوف ولا الترهح على المال من الموقع في النفس مما للوصل لاسيما بعد طول الامتناع وحلول الهجر حتى يتأجج عليه الجوى ويتوقد لهيب الشوق وتصرم نار الرجاء وما اصناف النباتات بعد غب القطر ولا اشراق الازاهير بعد اقلاغ السحاب الساريات في الزمان السجسج ولا خرير المياه المتخللة لافانين النوار ولا تأتق القصور البيض قد احدثت بها الرياض الخضراء بأحسن من وصل حبيب قد رضية اخلاقه وحمدت غرائزه وتقابلت في الحسن اوصافه وانه لميجز السنة البلغاء ومقصر فيه يتان الفضحاء وعنده تطيش الالباب وتغرب الافهام وفي ذلك اقول :

وسائل لي عما لي من العمر وقد رأى الشيب في القودين والعذر
اجبته ساعة لا شيء احسبه عمراً سواها بحكم العقل والنظر
فقال لي كيف ذا بينه لي فلقد اخبرني اشنع الانبياء والخبر

فقلت ان الي قلبي بها علق قبلتها قبلة يوماً على خطر
فما اعد ولو طالت سني سوى تلك السويعة بالتحقيق من عمري
ومن لذيذ معاني الوصل المواعيد وان للوعد المنتظر مكاناً لطيفاً من شغاف
القلب وهو ينقسم قسمين احدهما الوعد بزيارة الحب لمحجوبه وفيه اقول
قطعة منها :

اسامر البدر لما ابطأت واري في نوره من سنا اشراقها عرضاً
فت مشترطاً والود مختلطاً والوصل منبسطاً والهجر منقبضاً
والثاني انتظار الوعد من الحب ان يزور محجوبه وان لمبادي الوصل وأوائل
الاسعاف لتولجاً على الفؤاد ليس لشيء من الاشياء واني لاعرف من كان
ممتحناً بهوى في بعض المنازل المصاحبه فكان يصل متى شاء بلا مانع ولا سبيل
الى غير النظر والمحادثه زماناً طويلاً لئلا متى احب ونهاراً الى ان ساعدته
الافذار باجابة ومكنته باسعاد بعد يأسه لطول السدة ولعدي به قد كاد ان
يختلط عقله فرحاً وما كاد يتلاحق كلامه سروراً فقلت في ذلك :

برغبة لو الى ربي دعوت بها لكان ذنبي عند الله مغفورا
ولو دعوت بها اسد الفلا لغدا اضرارها عن جميع الناس مقصورا
فجاء بالائم لي من بعد منعه فاهتاج من لوعتي ما كان مغمورا
كشارب الماء كي يظفي الغليل به فغص فانصاع (١) في الاجداث مقبورا
وقلت :

جرى الحب مني مجرى النفس واعطيت عيني عنان الفرس
ولي سيد لم يزل نافراً وربها جاد لي في الخلس
فقتله طالبا راحة فزاد أليلاً (٢) بقلبي الياس

(١) انصاع رجع (٢) أليلاً : ألتينا

وكان فؤادي كنبت هشيم
بيس رمى فيه رام قبس
ومنها :

وياجوهر الصين سحقا فقد غنيت بياقوتة الاندلس
(خبر) واني لاعرف جارية اشتد وجدها بفتى من ابناء الرؤساء وهو
لاعلم عنده وكثر غمها وطال أسفها الى ان ضنيت بحبه وهو بغرارة الصبي
لايشعر ويمنعها من ابداء امرها اليه الحياء منه لانها كانت بكرا بخاتمها مع
الاجلال له عن الهجوم عليه بما لاتدري لعله توافقه فلما تمادى الامر وكان
اليقين في النشأة شكت ذلك الى امرأة جزلة الرأي كانت تثق بها لتوليها
تربيتها فقالت لها عرضي له بالشعر ففعلت المرة بعد المرة وهو لايبأه في كل
هذا ولقد كان لقنا ذكيا لم يظن ذلك فيميل الى تفتيش الكلام بوجهه الى
أن عيل صبرها وضاق صدرها ولم تمسك نفسها في قعدة كانت لها معه في
بعض الليالي منفردين ولقد كان يعلم الله عفيفا متصاونا بعيدا عن المعاصي فلما
حان قيامها عنه بدرت اليه فقبلته في فمه ثم ولت في ذلك الحين ولم تكلمه
بكلمة وهي تهادى في مشيها كما اقول في ابيات لي :

كأنها حين تخطو في تاودها قضيب نرجسة في الروض مياس
كأنما خلدها في قلب عاشقها فغبه من وقعها حفر ووسواس
كأنما مشيها مشي الحمامة لا كد يعاب ولا بطؤ به باس

فبهت وسقط في يده وفث في عضده ووجد في كبده وعلته وجة فما هو
الا ان غابت عنه ووقع في شرك الردى واشتعلت في قلبه النار وتصدعت
انفاسه وترادفت اوجاله وكثر قلقه وطال أرقه فما غمض تلك الليلة عينا وكان
هذا بدء الحب بينهما دهرا الى ان جذت جملتها يد النوى وان هذا لمن
مضائد ابليس ودواعي الهوى التي لايقف لها احد الا من عصمه الله عز وجل
ومن الناس من يقول ان دوام الوصل يودي بالحب وهذا محين من القرل

انما ذلك لأهل الملل بل كلما زاد وصلاً زاد اتصالاً . وعني اخبرك اني مارويت
قط من ماء الوصل ولازادني الا ظمأ وهذا حكم من تداوى برأيه وان رفه
عنه سريعاً ولقد بلغت من التمكن بمن احب ابعد الغايات التي لا يجد الانسان
وراءها مرمى فما وجدتني الامستريداً ولقد طال بي ذلك فما احسست بسأمة
ولا رهقتي فترة ولقد ضمنى مجلس مع بعض من كنت احب فلم اجل خاطري
في فن من فنون الوصل الا وجدته مقصراً عن مرادي وغير شاف وجدي
ولاقاض اقل لبانة من لباناتي ووجدتني كلما ازددت دنواً ازددت تلوداً وقدحت
رناد الشوق نار الوجد بين ضلوعي فقلت في ذلك المجلس :

وددت بأن القلب شق بمدية وأدخلت فيه ثم اطبق في صدري
فاصبحت فيه لا تحلين غيره الى منقضى يوم القيامة والحشر
تعيشين فيه ما حيت فان أمت سكنت شغاف القلب في ظلم القبر

وما في الدنيا حالة تعدل محبين اذا عدما الرقاء وأما الوشاة وسلمها من
البين ورغبا عن الهجر وبعدا عن الملل وفقد العذال وتوافقاً في الاخلاق
وتكافياً في المحبة واتاح الله لهما رزقاً داراً وعيشاً قاراً وزماناً هادياً وكان
اجتماعهما على ما يرضي الرب من الحال وطالت صحبتهما واتصلت الى وقت
حلول الحام الذي لا مرد له ولا بد منه هذا عطاء لم يحصل عليه احد وحاجة
لم تقض لكل طالب ولولا ان مع هذه الحال الاشفاق من بغتات المقادير
المحكممة في غيب الله عز وجل من حلول فراق لم يكتسب واخترام منية في
حال الشباب او ما اشبه ذلك لقلت انها حال بعيدة من كل آفة وسليمة من
كل داخلية ولقد رأيت من اجتمع له هذا كله الا انه كان دهي فيمن كان
يجه بشراسة الاخلاق ودالة على المحبة فكانا لا يتهنيان العيش ولا تطالع الشمس
في يوم الا وكان بينهما خلاف فيه وكلاهما كان مطبوعاً بهذا الخلق لثقة كل

واحد منهما بمحبة صاحبه الى ان ذنت النوى بينهما فتفرقا بالموت المرتب لهذا العالم وفي ذلك اقول :

كيف أذم النوى واطلمها وكل اخلاق من احب نوى
قد كان يكنى هوى اضيق به فكيف اذجل بي نوى وهوى
وروي عن زياد ابن ابي سفيان رحمه الله انه قال جلسائه من انعم الناس
عيشة قالوا امير المؤمنين فقال (واين مايلقى من قریش قيل فانت قال اين ما
التي من الخوارج والتغور قيل فمن ايها الامير) قال رجل مسلم له زوجة مسلمة
لها كفاف من العيش قد رضيت به ورضى بها لا يعرفنا ولا نعرفه . وهل فيما
وافق اعجاب المخلوقين وجلال القلوب واستمال الحواس واسهوى النفوس واستولى
على الاهواء واقطع الالباب واختلس العقول مستحسن يعدل اشتاق محب
على محبوب ولقد شاهدت من هذا المعنى كثيراً وانه لمن المناظر العجيبة الباعثة
على الرقة الرائقة المعنى لاسيما ان كان هوى يتكنم به فلو رأيت المحبوب حين
يعرض بالسؤال عن سبب تقضيه بمحبه وخجلته في الخروج مما وقع فيه بالاعتذار
وتوجيهه الى غير وجهه وتحيله في استنباط معنى يقيمه عند جلسائه لرأيت
عجيباً ولذة مخفية لا تقاومها لذة وما رأيت اجلب للقلوب ولا اغوص على حياتها
ولا أنفذ للمقاتل من هذا الفعل وان للمحبين في الوصل من الاعتذار
ما اعجز اهل الالذهان الذكية والافكار القوية ولقد رأيت في بعض المرات
هذا فتلت :

اذا مزجت الحق بالباطل جوزت ما شئت على الغافل
وفيها فرق صحيح له علامة تبدو الى العاقل
كالتبر ان تمزج به فضة جازت على كل فني جاهل
وان تصادف صائغاً ماهراً ميز بين الخفض والحائل
واني لاعلم فني وجارية كان يكلف كل واحد منهما بصاحبه فكأننا يضطجعان

إذا حضرهما احد وبينهما المسند العظيم من المساند الموضوعة عند ظهور الرؤساء على الفرش ويلتقي رأساهما وراء المسند ويقبل كل واحد منهما صاحبه ولا يريان وكأنهما انما يتمددان من الكلال ولقد كان باغ من تكافيهما في المودة امرأ عظيما الى ان كان القتى المحب ربما استطال عليها وفي ذلك اقول :

ومن اعاجيب الزمان التي طمت على السامع والقائل
 رغبة مركوب الى راكب وذلة المسؤول للسلائل
 وطول مأسور الى آسر وصوله المقتول للقياسات
 ما إن سمعنا في الوري قبلها خضوع مأمول الى آمل
 هل هاهنا وجه تراه سوى تواضع المفعول للفاعل

ولقد حدثني امرأة اثق بها انها شاهدت فتى وجارية كان يجيد كل واحد منهما بصاحبه فضل وجد قد اجتمعا في مكان على طرب وفي يد الفتى سكين يقطع بها بعض الفواكه فجرها جرأ زائداً فقطع ابهامه قطعاً لطيفاً ظهر فيه دم وكان على الجارية غلالة قصب خزانة لها قيمة فصرفت يدها وخرقتها واخرجت منها فضلة شد بها ابهامه واما هذا الفعل للمحب فقليل فيما يجب عليه وفرض لازم وشريعة مؤداة وكيف لا وقد بذل نفسه ووهب روحه فما يمنع بعدها

(خبر) وأنا ادركت بنت زكريا بن يحيى التميمي المعروف بابن برطال وعما كان قاضي الجماعة بقرطبة محمد بن يحيى واخوه الوزير القائد الذي كان قتله غالب وقائدين له في الواقعة المشهورة بالثغور وهما مروان بن احمد ابن شهيد ويوسف بن سعيد العيكي وكانت متروجة بيحيى بن محمد ابن الوزير يحيى ابن اسحق فعاجلته المنايا وهما في اغص عيشهما وانضر سرورهما فبلغ من اسفها عليه ان باتت معه في دثار واحد ليلة مات وجعلته آخر العهد به وبوصله ثم لم يفارقها الاسف بعده الى حين موتها وان للوصل المختلس

الذي يخاتل به الرقباء ويتحفظ به من الحضر مثل الضحك المستور والنحنة وجولان الايدي والضغط بالاجناب والقرص باليد والرجل لموقعا من النفس شهياً وفي ذلك اقول :

ان للوصل الخفي محلاً ليس للوصل المكين الجلي
لذة تمزجها بارتقاب كمسير في خلال النقي

(خبر) ولقد حدثني ثقة من اخواني جليل من اهل البيوتات انه كان علق في صباه جارية كانت في بعض دور آله وكان ممنوعاً منها فهام عقله بها قال لي فتزنها يوماً الى بعض ضياعنا بالسهوة غربي قرطبة مع بعض اعمامي فتمشينا في البساتين واعدنا عن المنازل وانبسطنا على الانهار الى ان غيمت السماء وابل الغيث فلم يكن بالحضرة من الغطاء مايكفي الجميع قال فامر عمي ببعض الاغطية فالتى علي وامرها بالاكتنان معي فظن بما شئت من التمكن على اعين الملاء وهم لايشعرون وبالك من جمع كخلاء واحتفال كانفراد قال لي فوالله لانست ذلك اليوم ابداً ولعهدي به وهو يحدثني بهذا الحديث واعضاؤه كلها تضحك وهو يهتز فرحاً على بعد العهد وامتداد الزمان ففي ذلك اقول شعراً منه :

يضحك الروض والسحاب تبكي كحبيب رآه صب معنى

(خبر) ومن بديع الوصل ما حدثني به بعض اخواني انه كان في بعض المنازل المصابقة له هوى وكان في المنزلين موضع مطلع من احدهما على الآخر فكانت تقف له في ذلك الموضع وكان فيه بعض البعد فتسلم عليه ويدها ملفوفة في قميصها فخاطبها مستخبراً لها عن ذلك فاجابته انه ربما أحس من امرنا شيء فوقف لك غيري فسلم عليك فرددت عليه فصح الظن فهذه علامة بني وبينك فاذا رأيت يداً مكشوفة تشير نحوك بالسلام فليست يدي فلا تجاوب . وربما استجلي الوصال واتفقت القلوب حتى يقع التخلج في الوصال فلا يلتفت

الى لائم ولا يستتر من حافظ ولا يتالى بناقل بل العذل حينئذ يغري وفي صفة
الوصل اقول شعراً منه :

كم درت حول الحب حتى لقد حصلت فيه كحصول الفراش
ومنه :

تعتو الى الوصل دواعي الهوى كما سرى نحو سنا النار عاش
ومنه :

علاني بالوصل من سيدي كمثل تعليل الظماء العطاش
ومنه :

لانووقف العين على غاية فالحسن فيه مستزيد وباش
واقول من قصيدة لي :

هل لقتيل الحب من وادي ام هل لعاني الحب من فادي
ام هل لدهري عودة نحوها كمثل يوم مر في الوادي
ظلمت فيه ساجحاً صادياً يا عجباً للساجح الصادي
ضنيت يا مولاي وجداً فما تبصرني الحاظ عوادي
كيف اهتدى الوجد الى غائب عن اعين الحاضر والبادي
مل مداواتي طيبي فقد يرحمني للسقم حسادي

﴿ باب الهجر ﴾

ومن آفات الحب ايضاً الهجر وهو على ضروب فإؤها هجر يوجهه تحفظ
من رقيب حاضر وانه لاحتلى من كل وصل ولولا ان ظاهر اللفظ وحكم
التسمية يوجب ادخاله في هذا الباب لرجيت به عنه ولاجلته عن تسطيره
فيه فيئذ ترى الحبيب منحرفاً عن محبة مقبلاً بالحديث على غيره معرضاً بمعرض
لئلا تلحق ظنته او تسبق استرايته وترى المحب ايضاً كذلك ولكن طبعه له

جاذب ونفسه له صارفة بالرغم فتراه حينئذ منحرفاً كمقبل وساكتاً كناطق
وناضراً الى جهة نفسه في غيرها والحاذق الفطن اذا كشف بوجهه عن باطن
حديثهما علم ان الخافي غير البادي وما جهر به غير نفس الخبر وانه لمن
انشاهد الجالبة للفتن والمناظر الحركة للسواكن الباعثة للخواطر المهيجة للضمائر
الجازبة للفتوة. ولي ابيات في شيء من هذا اوردها وان كان فيها غير هذا
المعنى على ما شرطنا منها :

يلوم ابر العباس جهلاً بطبعه كما غير الحوت النعامة بالصدى
ومنها :

وكم صاحب اكرمه غير طائع ولا مكره الا لامر تعمد
وما كان ذاك البر الا لغيره كما نصبوا للطير بالحلب مصيدا
واقول من قصيدة محتوية على ضروب من الحكم وفنون من الآداب الطبيعية
وسراء احشائي لمن انا مؤثر وسراء ابنائي لمن اتجيب
فقد يشرب الصاب الكريه لعله ويترك صفو الشهد وهو محجب
واعدل في اجهاد نفسي في الذي أريد واني فيه اشقى واتعب
هل اللؤلؤ المكنون والدركله رأيت بغير الغوص في البحر يطلب
واصرف نفسي عن وجوه طباعها اذا في سواها صح ما انا ارغب
كما نسخ الله الشرائع قبلنا بما هو ادنى للصلاح واقرب
والقى سجايها كل خلق بمثلها ونعت سجايي الصحيح المذهب
كما صار لون الماء لون انائه وفي الاصل لون الماء ابيض معجب
ومنها :

اقت دوى ودي مقام طباعي حياتي بها والموت منهن يرهب
ومنها :

وما انا ممن تطيبه بشاشة ولا يقتضي مافي ضميري التجنب

أزبد نفاراً عند ذلك باطناً
فاني رأيت الحرب يعلو اشتعالها
وللحبة الرقشاء وشى ولونها
وإن فرند السيف اعجب منظراً
وأجعل ذل النفس عزة اهلها
فقد يضع الانسان في الترب وجهه
فذل يسوق العز اجود للفتى
وكم ما كل اربت عواقب غيه
وما ذاق عز النفس من لا يذلها
ورودك بعد الماء من بعد ظمأة

ومنها :

وفي كل مخلوق ثراه تفاضل
ولا ترض ورد الريق الاضرورة
ولا تقربن ملح المياه فانها

ومنها :

فخذ من جراها ما تيسر واقتنع
فما لك شرط عندها لا ولا يد

ومنها :

ولا تأسن مما ينال بحيلة
ولا تأمن الاظلام فالفجر طالع

ومنها :

ألم فان الماء يكدح في الصفا
وكثر ولا تفشل وقلل كثير ما

اذا طال ما يأتي عليه ويذهب
فعلت فناء المزن جم وينصب

فلو يتغذى المرء بالسقم قاته وقام له منه غذاء مجرب
 ثم هجر يوجه التذلل وهو ألد من كثير الوصال ولذلك لا يكون الا عن
 ثقة كل واحد من المتحابين بصاحبه واستحكام البصيرة في حجة عقده فحينئذ
 يظهر المحبوب هجراناً ليرى صبر محبه وذلك لثلاثا يصفو الدهر البتة وليأسف المحب
 ان كان مفطر العشق عند ذلك لا لما حل لكن مخافة ان يترقى الامر الى
 ما هو اجل يكون ذلك الهجر سبباً الى غيره او خوفاً من آفة حادت ملل
 ولقد عرض لي في الصبي هجر مع بعض من كنت آلف على هذه الصفة
 وهو لا يلبث ان يضمحل ثم يعود فلما كثر ذلك قلت على سبيل المزاح شعراً
 بديهياً ختمت كل بيت منه بقسم من اول قصيدة طرفة بن العبد المعلقة وهي
 التي قرأتها مشروحة على ابي سعيد الفتى الجعفري عن ابي بكر المقرئ عن
 ابي جعفر النحاس رحمهم الله في المسجد الجامع بقرطبة وهي :

تذكرت ودّاً للحبيب كانه	لخولة اطلال بركة ثمهد
وعهدي بعد كان لي منه ثابت	يلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقفت به لاموقناً برجوعه	ولا آيساً ابكي وابكي الى الغد
الى ان أطال الناس عدلي واكثروا	يقولون لاتهلك اسي وتجلد
كأن فنون السخط ممن احبه	خلايا سفين بالنواصف من دد
كأن انقلاب الهجر والوصل مركب	يجود به الملاح طوراً ويهتدي
فوقت رضى يملوه وقت تسخط	كما قسم الترب المنائل (١) باليد
ويبسم نحوي وهو غضبان معرض	مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد

(١) فقال ككتاب لعبة للصبيان يخبئون الشيء في التراب ثم يقتسمونه ويقولون
 في ايهما هو واللاعب بها منائل

ثم حجر بوجهه العتاب لذنب يقع من الحب وهذا فيه بعض الشدة لكن فرحة الرجعة وسرور الرضى يعدل ما مضى فان لرضى المحبوب بعد سخطه لذة في القلب لاتعدها لذة وموقفاً من الروح لايفوقه شيء من اسباب الدنيا وهل شاهد مشاهد او رأيت عين او قام في فكر الذواشي من مقام قد قام عنه كل رقيب وبعد عنه كل بغض وغاب عنه كل واش واجتمع فيه حبان قد تصارما لذنب وقع من الحب منهما وطال ذلك قليلاً وبدأ بعض الهجر ولم يكن ثم مانع من الاطالة للحديث فابتدأ الحب في الاعتذار والخضوع والتذلل والادلة بحجته الواضحة من الادلال والاذلال والتذم بما سلف فطوراً يدلى ببراءته وطوراً يرد بالعفو ويستدعي المغفرة ويقر بالذنب ولاذنب له والمحجوب في كل ذلك ناظر الى الارض يسارقه اللحظ الخفي وربما ادامه فيه ثم يبسم خفياً لتبسمه وذلك علامة الرضى ثم ينجلي مجلسهما عن قبول العذر ويقبل القول وامتحنت ذنوب النقل وذهب آثار السخط ووقع الجواب بنعم وذنبك مغفور ولو كان فكيف ولاذنب وحتما امرهما بالوصل الممكن وسقوط العتاب والاسعاد وتفرقاً على هذا . هذا مكان تتناصر دونه الصفات وتلكن بتحديد الالسنه ولقد وطئت بساط الخلفاء وشاهدت محاضر الملوك فما رأيت هية تعدل هية محب محبوبه ورأيت تمكن المتغلبين على الرؤساء وتحكم الوزراء وانبساط مدبري الدول فما رأيت اشد تبجحاً ولاعظم سروراً بما هو فيه من محب ايقن ان قلب محبوبه عنده ووثن بميله اليه وصحة مودته له وحضرت مقام المعتذرين بين ايدي السلاطين ومواقف المتهمين بعظيم الذنوب مع المتمردين الطاغين فما رأيت اذل من موقف محب هيمن بين يدي محبوب غضبان قد غمره السخط وغلب عليه الجفاء ولقد امتحنت الامرين وكنت في الحالة الاولى اشد من الحديد وانفذ من السيف لاجيب الى الدنية ولا اساعد على الخضوع وفي الثانية اذل من الرداء والين من القطن ابادر الى اقصى غايات التذلل لونغفع واغتيم

فرصة الخضوع لو نجح واتحلل بلساني واغوص على دقائق المعاني ببياني وافن القول فتوناً واتصدى لكل ما يوجب الترضي

والتجني بعض عوارض الهجران وهو يقع في اول الحب وآخره فهو في اوله علامة لصحة الجبة وفي آخره علامة لفتورها وباب للسلو

(خبر) واذكر في مثل هذا اني كنت مجتازاً في بعض الايام بقرطبة في مقبرة باب عامر في لمة (١) من الطلاب واصحاب الحديث ونحن زيد مجلس الشيخ ابي القاسم عبد الرحمن بن ابي يزيد المصري بالرصافة استاذي رضي الله عنه ومعنا ابو بكر عبد الرحمن بن سليمان البلوي من اهل سبتة وكان شاعراً مفلحاً وهو ينشد لنفسه في صفة متجن معهود اياتاً له منها :

سريع الى ظهر الطريق وانه الى نقض اسباب المودة يسرع (٢)
يطول علينا ان نرقع وده اذا كان في ترقيعه يتقطع

فوافق انشاد البيت الاول من هاذين البيتين خطور ابي الحسين بن علي الفاسي رحمه الله وهو يؤم ايضاً مجلس بن ابي يزيد فسمعه فتبسم رحمه الله نحونا وطوانا ماشياً وهو يقول بل الى عقد المودة ان شاء الله فهو اولى هذا على جد ابي الحسين رحمه الله وفضله وتقربه وبراءته ونسكه وزهده وعلمه فقلت في ذلك :

دع عنك نقض مودتي متعمداً واعقد حبال وصالنا يا ظالم
ولترجعن أردته او لم ترد كرهاً لما قال الفقيه العالم

ويقع فيه الهجر والعتاب ولعمري ان فيه اذا كان قليلاً للذة واما اذا تفاقم فهو فال غير محمود وأمارة وبشة المصدر وعلامة سوء وهي بحملة الامر مطية الهجران ورائد الصريمة ونتيجة التجني وعنوان الثقل ورسول الانفصال

(١) اللمة بالضم : الاحباب (٢) لعل الاصل أسرع

وداعية القلى ومقدمة الصد وانما يستحسن اذا لطف وكان اصله الاشفاق وفي ذلك اقول :

اعلك بعد عتبك ان تجودا * بما منه عتبت وان تريد
فكم يوم رأينا فيه صحواً وأسمنا بآخره الرعودا
وعاد الصحو بعد كما علمنا وانت كذاك ترجوان تعودا

وكان سبب قولي هذه الايات عتاب وقع في يوم هذه صفته من ايام الربيع فقلتها في ذلك الوقت وكان لي في بعض الزمن صديقان وكانا اخوين فغابا في سفر ثم قدما وقد أصابني رمد فتأخرا عن عيادتي فكتبت اليهما والخطابة للأكبر منهما شعراً منه :

وكنت اعدد ايضاً على أخيك بمؤلة السامع
ولكن اذا الدجن غطي ذكا فما الظن بالقمر الطالع

١٦ ثم هجر يوجه الوشاة وقد تقدم القول فيهم وفيما يتولد من ديب عقاربهم وربما كان سبباً للمقاطعة البتة

١٧ ثم هجر الملل والملل من الاخلاق المطبوعة في الانسان واحرى لمن دهي به الا يصفو له صديق ولا يصح له اخاء ولا يثبت على عهد ولا يصبر على الف ولا تطول مساعدته لمح ولا يعتد منه ود ولا يفض وأولى الامور بالناس ان لا يغروه منهم وان يفروا عن صحبته ولقائه فلن يظفروا (١)
منه بطائل ولذلك ابعدنا هذه الصفة عن المحبين وجعلناها في المحبوبين فهم بالجملة اهل التجني والتظني والتعرض للمقاطعة واما من تريا باسم الحب وهو ملول فليس منهم وحقه ان يهرج مذاقه وينفى عن اهل هذه الصفة ولا يدخل في جملةهم وما رأيت قط هذه الصفة اشد تغلباً منها على ابى عامر محمد بن عامر

رحمه الله فلو وصف لي واصف بعض ما علمته منه لما صدقته واهل هذا الطبع
اسرع الخلق محبة واقلمهم صبرا على المحبوب وعلى المكروه وبالضد (١) وانقلابهم
على الود على قدر تسرعهم اليه فلا تثق بملول ولا تشغل به نفسك ولا تغها
بالرجاء في وفائه فان دفعت الى محبته ضرورة فعده ابن ساعته واستأنفه كل
حين من احيائه بحسب ما تراه من تلونه وقابله بما يشاكله ولقد كان ابو عامر
المحدث عنه يرى الجارية فلا يصبر عنها ويحيق به من الاغتمام والهم ما يكاد ان
يأتي عليه حتى يملكها ولو حال دون ذلك شوك القناد فاذا ايقن بتصيرها (٢)
اليه عادت المحبة نفاراً وذلك الانس شروداً والقلق اليها قلقاً منها وزاعه نحوها
نزاعاً عنها فيبعثها بأوكس الاثمان هذا كان دأبه حتى اتلف فيما ذكرنا من
عشرات الوف الدنانير عدداً عظيماً وكان رحمه الله مع هذا من اهل الادب
والخلق والذكاء والنبل والحلاوة والتوقد مع الشرف العظيم والمنصب الفخم والجاه
العريض واما حسن وجهه وكمال صورته فشيء تقف الحدود عنه وتكل الاوهام
عن وصف اقله ولا يتعاطى احد وصفه ولقد كانت الشوارع تخلو من السيارة
ويتعمدون الخطور على باب داره في الشارع الآخذ من النهر الصغير على باب
دارنا في الجانب الشرقي بقرطبة الى الدرب المتصل بقصر الزاهرة وفي هذا
الدرب كانت داره رحمه الله ملاصقة لنا لالشيء الا للنظر منه . ولقد مات من
محبته جوار كن علقن اوها من به ورثين له فخانهم مما املنه منه فصرن
رهاًن البلى وقتلتهن الوحدة . وانا اعرف جارية منهن كانت تسمى عفراء
عهدي بها لاتتستر بمحبته حيث ما جلست ولا تحجف دموعها وكانت قد تصيرت
من داره الى البركات الحيال صاحب الفتان . ولقد كان رحمه الله يخبرني عن

(١) لعل الصواب : وعلى المكروه والصد (٢) لم تر في اللغة تصوير مشدداً

نفسه انه يمل اسمه فضلاً عن غير ذلك واما اخوانه فانه تبديل بهم في عمره على قصره مراراً وكان لا يثبت على زي واحد كأبي براقش حيناً يكون في ملابس الملوك وحيناً في ملابس القتاك فيجب على من امتحن بمخالطة من هذه صفته على اي وجه كان ألا يستفرغ عامة جهده في محبته وان يقيم اليأس من دوامه خصماً لنفسه فاذا لاح له مخايل الملل قاطعه اياماً حتى ينشط باله ويبعد به عنه ثم يعاوده وربما دامت المودة مع هذا وفي ذلك اقول :

لا ترجون ملولا ليس الملول بعده
ود الملول فدعه عارية مسترده

(٨) ومن الهجر ضرب يكون متوليه الحب وذلك عندما يرى من جناء محبوبه والميل عنه الى غيره او لثقل يلزمه فيرى الموت ويتجرع غصص الأسى والبض على نقيف (١) الحنظل أهون من رؤية ما يكره فينقطع وكبدته تنقطع وفي ذلك اقول :

هجرت من اهواه لاعن قلى يا عجباً للعاشق الهاجر
لكن عيني لم تطق نظرة الى محيا الرشا الغادر
فالموت احلى مطعماً من هوى يساح للوارد والصادر
وفي الفؤاد النار مذكية فاعجب لصب جزع صابر
وقد اباح الله في دينه تقية المأسور للأسر
وقد احل الكفر خوف الردى حتى ترى المؤمن كالكافر

(خبر) ومن عجيب ما يكون فيها وشنيعه اني اعرف من هام قلبه بمثناء عنه نافر منه. فقاسى الوجد زمناً طويلاً ثم سحت له الايام بسانحة عجيبة من الوصل

(١) في الاصل ثقيف ، ولعل الاصح ثقيف بمعنى منقوف من ثقف الحنظل اذا شقه عن جبه كما في القاموس

أشرف بها على بلوغ أمله فحين لم يكن بينه وبين غاية رجائه الا كهؤلاء
عاد الهجر والبعد الى اكثر ما كان قبل فقات في ذلك :

كانت الى دهري لي حاجة مقرونة في البعد بالمشتري
فساقها باللطف حتى اذا كانت من القرب على محجر
أبعدها عني فعادت كأن لم تبس للعين ولم تظهر

وقلت :

دنا أمني حتى مددت لأخذه يداً فاشتى نحو المجرة راحلا
فاصبحت لارجو وقد كنت موقناً وأضحى مع الشعري وقد كان حاصل
وقد كنت محسوداً فاصبحت حاسداً وقد كنت مأمولاً فاصبحت آملا
كذا الدهر في كراته وانتقاله فلا يأمن الدهر من كان عاقلا

ثم هجر القلى وهنا ضلت الاساطير ونفدت الحيل وعظم البلاء وهو الذي
خلى العقول ذواهل فمن دهري بهذه الداهية فليتصد لمحبوب محبوبه وليتعهد
ما يعرف انه يستحسنه ويجب ان يحتجب ما يدري انه يكرهه فربما عطفه ذلك
عليه ان كان المحبوب ممن يدري قدر الموافقة والرغبة فيه واما من لم يعلم قدر
هذا فلا طمع في استصرافه بل حسناتك عنده ذنوب فان لم يقدر المرء
على استصرافه فليتعهد المساوان وليحاسب نفسه بما هو فيه من البلاء والحرمان
ويسعى في نيل رغبته على اي وجه أمكنه ولقد رأيت من هذه صنته وفي
ذلك اقول قطعة اوها :

دهيت بمن لو ادفع الموت دونه لقال اذا ياليتي في المقابر

ومنها :

ولا ذنب لي اذ صرت احدو ركابي الى الورد والدنيا تسيء مصادري
وماذا على الشمس المنيرة بالضحي اذا قصرت عنها ضعاف البصائر

واقول :

ما أقبح الهجر بعد وصل واحسن الوصل بعد هجر
كالوفر تحويه بعد فقر والفقر يأتيك بعد وفر

واقول :

معهود اخلاقك قسمان والدهر فيك اليوم صنفان
فانك النعمان فيما مضى وكان للنعمان يومان
يوم نعيم فيه سعد الورى ويوم بأساء وعدوان
فيوم نمالك لغيري ويو مي منك ذو بؤس وهجران
اليس حي لك مستأهلاً لان تجازيه باحسان

واقول قطعة منها :

يامن جميع الحسن منتظم فيه كنظم الدر في العقد
مبال حقي منك . يطرقني قصداً ووجهك طالع السعد

واقول قصيدة اولها :

أساعة توديعك ام ساعة الحشر وليلة بيني منك ام ليلة النشر
وهجرتك تعذيب الموحّد ينقضي ويرجو التلاقي ام عذاب ذوي الكشر

ومنها :

سقى الله اياماً مضت وليالها تحاكي لنا ليلوفر الغض في النشر
فاوراقه الايام حسناً وبهجة واوسطه الليل المقصر للعمر
لهونا بها في غمرة وتألف تمر فلا تدري وتأتي فلا تدري
فاعقبنا منه زمان كأنه ولاشك حسن العقد اعقب بالغدر

ومنها :

فلا تيأسي يانفس على زماننا يعود بوجه مقبل خير مدبر
كما صرف الرحمن ملك امية اليهم ولوذي بالتجمل والصبر

وفي هذه القصيدة امدح ابا بكر هشام بن محمد اخا امير المؤمنين عبد الرحمن
المرتضى رحمه الله :
فأقول :

اليس يحيط الروح فينا بكل ما دنا وتناهى وهو في حجب الصدر
كذا الدهر جسم وهو في الدهر روحه يحيط بما فيه وان شئت فاستقر (١)
ومنها :

إتاوتها تهدي اليه ومنة تقبلها منهم يقاوم بالشكر
كذا كل نهر في البلاد وان طمت غزارته ينصب في لجج البحر

(باب الوفاء)

ومن حميد الغرائز وكرم الشيم وفاضل الاخلاق في الحب وغيره الوفاء
وانه لمن اقوى الدلائل واوضح البراهين على طيب الاصل وشرف الغنصر وهو
يتفاضل بالتفاضل اللازم للمخلوقات وفي ذلك اقون قطعة منها :
أفعال كل امرء تنبي بعنصره والعين تغنيك عن ان تطالب الاثرا
ومنها :

وهل ترى قط دفلى انبتت عنباً او تذخر النحل في اوكارها الصبرا
واول مراتب الوفاء ان يفي الانسان لمن يفي له وهذا فرض لازم وحق
واجب على الحب والمحبوب لا يحول عنه الا خبيث المحتد لاختلاف له ولا
خير عنده ولولا ان رسالتنا هذه لم نقصد بها الكلام في اخلاق الانسان (٢)
وصفاته المطبوعة والتطبع بها وما يزيد من المطبوع بالتطبع وما يضمنل من

(١) في الاصل : فاستبرى ولا منى له فاعمل انصواب : فاستقر امر من
الاستقراء (٢) في الاصل : النساء

التطبع بعدم الطبع لزدت في هذا المكان مايجب ان يوضع في مثله ولكننا
انما قصدنا التكلم فيما رغبته من امر الحب فقط وهذا امر كان يطول جداً
اذ الكلام فيه يتفنن كثيراً

(خبر) ومن ارفع (١) ماشاهدته من الوفاء في هذا المعنى واهوله شأناً
قصة رأيها عياناً وهو اني اعرف من رضي بقطعة محبوبة واعز الناس عليه
ومن كان الموت عنده احلى من هجر ساعة في جنب طيه لسر اودعه والتزم
محبوبة يميناً غليظة الا يكلمه ابداً ولا يكون بينهما خبر او يفصح اليه ذلك السر
على ان صاحب ذلك السر كان غائباً فابي من ذلك وتمادى هو على كتمانها
والثاني على هجرانه الى ان فرقت بينهما الايام

ثم مرتبة ثانية وهو الوفاء لمن غدر وهي للمحب دون المحبوب وليس للمحبوب
هاهنا طريق ولا يلزمه ذلك وهي خطة لا يطيقها الا جلد قوي واسع الصدر
حر النفس عظيم الحلم جليل الصبر خفيف العقل (٢) ماجد الخلق سالم النية
ومن قابل الغدر بمثله فليس بمستأهل للملامة ولكن الحال التي قدمنا تفوقها
جداً وتفوتها بعداً . وغاية الوفاء في هذه الحال ترك مكافاة الاذى بمثله
والكف عن سيء المعارضة بالفعل والقول والتأني في جر جبل الصخرة ما
امكن ورجيت الالفه وطمع في الرجعة ولاحت للعودة ادنى تخيلة وشيئت منها (٣)
اقل بارقة او توجس منها ايسر علامة فاذا وقع اليأس واستحكم الغيظ حينئذ
والسلامة من غرك والامن من ضرك والنجاة من اذاك وان يكون ذكر
ماسلف مانعاً من شفاء الغيظ فيما وقع فرعي الازمة حق وكيد على اهل العقول
والخين الى ماضى والاينسى ماقد فرغ منه وفيت مدته اثبت الدلائل على

(١) في الاصل : اشنع ، وماصححناه اكثر تلاوفاً مع قوله سابقاً « واول

مراتب الوفاء » (٢) في الاصل : خفيف العقدة (٣) في الاصل : بها

صحة الوفاء وهذه الصفة حسنة جداً وواجب استعمالها في كل وجه من وجوه معاملات الناس فيما بينهم على اي حال كانت

(خبر) ولعمري رجل من صفوة اخواني قد علق بحارية فتأكد الود بينهما ثم عذرت بهمه ونقضت وده وشاع خبرهما فوجد لذلك وجداً شديداً .

(خبر) وكان لي مرة صديق ففسدت نيته بعد وكيد مودة لا يكفر بمثلها وكان (١) علم كل واحد منا سر صاحبه وسقطت المؤونة فلما تغير علي افشي كل ما اطالع لي عليه مما (٢) كنت اطلعت منه على اضعافه ثم اتصل به ان قوله في قد بلغني فخرج لذلك وخشي ان اقارضه على قبيح فعله وبلغني ذلك فكتبت اليه شعراً أؤنس فيه وأعلمه اني لا اقارضه

(خبر) ومما يدخل في هذا الدرج وان كان ليس منه ولا هذا الفصل المتقدم من جنس الرسالة والباب ولكنه شبه له على ما قد ذكرنا وشرطنا وذلك ان محمد بن وليد بن مكسير الكاتب كان متصلاً بي ومنقطعاً الي ايام وزارة ابي رحمة الله عليه فلما وقع بقرطبة ما وقع وتغيرت احوال خرج الى بعض النواحي فاتصل بصاحبها فعرض جاعه وحدث له وجاهة وحال حسنة فخللت انا تلك الناحية في بعض رحلتي فلم يوفني حتي بل ثقل عليه مكاني وأساء معاملتي وصحبت وكلفته في خلال ذلك حاجة لم يقم فيها ولا قد واستغل عنها بما ليس في مثله شغل فكتبت اليه شعراً أعان به فيه فجاوبني مستعجلاً وعلى ذلك فما كلفته حاجة بعدها ومما لي في هذا المعنى وليس من جنس الباب ولكنه يشبهه ابياتاً قتها منها :

وليس يحمد كتابك لمكتم لكن كتمك ما افشاه مفشي

(١) في الاصل : وان علم (٢) في الاصل : ما

كالجود بالوفاء اسنى ما يكون اذا قل الوجود له او ضمن معطيه
ثم مرتبة ثالثة وهي الوفاء مع اليأس البات وبعد حلول المناسيا وفجاءات
المنون وان الوفاء في هذه الحالة لاجل واحسن منه في الحياة ومع رجاء اللقاء
(خبر) ولقد حدثني امرأة اثق بها انها رأت في دار محمد بن احمد بن
وهب المعروف بابن الركية من ولد بدر الداخل مع الامام عبد الرحمن بن
معاوية رضي الله عنه جارية رائعة جميلة كان لها مولى فجاءته النية فبيعت في
تركته فأبت ان ترضى بالرجال بعده وما جامعا رجل الى ان لقيت الله عز
وجل وكانت تحسن الغناء فانكرت عليها به ورضيت بالخدمة والخروج عن جملة
المتخذات للنسل واللذة والحال الحسنة وفاء منها لمن قد دثر ووارته الارض
والتأمت عليه الصفائح ولقد راما سيدها المذكور ان يضمها الى فراشه مع
سائر جواريه ويخرجها مما هي فيه فأبت فضر بها غير مرة وأوقع بها الادب
فصبرت على ذلك كله فاقامت على امتناعها وان هذا من الوفاء غريب جداً
واعلم ان الوفاء على الحب اوجب منه على المحبوب وشروطه له ان لم يأنس المحب
هو البادي بالصوق والتعرض لعقد الازمة (١) والقاصد لتأكيده المودة والمستدعي
صححة العشرة والاول في عدد طلاب (٢) الاصفياء والسابق في ابتغاء اللذة
باكتساب الحلة والمقيد نفسه بزماد المحبة قد عقلا بأوثق عقلا وخطمها بأشد
خطام فمن قسره على هذا كله ان لم يرد إتمامه؟ ومن أجبره على استجلاب
المقمة ان لم ينو ختمها بالوفاء لمن اراده عليها؟ والمحبوب انما هو مجلوب اليه
ومقصود نحوه وخير في القبول او الترك فان قبل فغاية الرجاء وان ابى
فغير مستحق للذم وليس التعرض للوصل واللاحاح فيه والتأني لكل ما يستجلب
به من الموافقة وتصفية الحضرة والمغيب من الوفاء في شيء فحظ نفسه اراد

(١) الذمام : الحق . الحرمة والجمع أذمه (٢) في الاصل : طالب

الطالب ، وفي سروره سعي ، وله اختطب ، والحب يدعو ويحدوه على ذلك شاء
او ابى وانما يحمد الوفاء ممن يقدر على تركه

وللوفاء شروط على المحبين لازمة . فأولها ان يحفظ عهد محبوبه ويرعى
غيبته ويستوي علانيته وسريته ويطوي شره وينشر خيره ويغطي على عيوبه
ويحسن افعاله ويتغافل عما يقع منه على سبيل الهفوة ويرضى بما حمله ولا يكثر
عليه بما يفر منه وألا يكون طلعة ثوباً ولا ملة طروقاً وعلى المحبوب (١) ان
ساواه في المحبة مثل ذلك وان كان دونه فيها فليس للمحب ان يكلفه الصعود
الى مرتبة ولاله الاستنابة عليه بان يسومه الاستواء معه في درجته وبحسبه
منه حينئذ كتمان خبره والا يقابله بما يكره ولا يخفيه به وان كانت الثالثة وهي
السلامة مما يلقي بالجملة فليقتنع بما وجد وليأخذ من الامر ما استدف (٢) ولا يطلب
شرطاً ولا يقترح حقداً وانما له ماسنح بحده او ما حارب بكده واعلم انه
لايستبين قبح الفعل لاهله ولذلك يتضاعف قبحه عند من ليس من ذويه .
ولا اقول قولي هذا ممتدحاً ولكن اخذاً بادب الله عز وجل ﴿ واما بنعمة
ربك فحدث ﴾ لقد منحني الله عز وجل من الوفاء لكل من يمت الي بلقية
واحدة ووهبني من المحافظة لمن يتقدم مني ولو بمحادثته ساعة حظاً (٣) ؟ انا له
شاكر وحامد ومنه مستمد ومستزيد وما شئ اثقل علي من القدر ولعمري
ما سمحت نفسي قط في النكرة في اضرار من بيني وبينه اقل ذمام وان
عظمت جريرته وكثرت الي ذنوبه ولقد دهمني من هذا غير قليل فما جزيت
على السوء الا بالحسن والحمد لله على ذلك كثيراً وبالوفاء افتخر في كلمة
طويلة ذكرت فيها مامضنا من النكبات ودهمنا من الحل والترحال والتحول
في الآفاق اولها :

(١) في الاصل : المحب (٢) وخذ ما استدف لك اي ما امكن وتسهل .

(٣) في الاصل خطأ

ولى فولى جميل الصبر يتبعه وصرح الدمع ماتخفيه أضلعه
جسم ملول وقلب آلف فاذا حل الفراق عليه فهو موجه
لم تستقر به دار ولا وطن ولا تدفأ منه قط مضجعه
كأنما صيغ من رهو السحاب فما تزال ريح الى الآفاق تدفعه
كأنما هو توحيد تضيق به نفس الكفور فتأبى حين تودعه
او كوكب قاطع في الافق منتقل فالسير يغربه حيناً ويطلعه
أظنه لو جزته او تساعده ألقت عليه انهمال الدمع يتبعه

وبالوفاء أيضاً افتخر في قصيدة لي طويلة اوردها وان كان اكثرها ليس
من جنس الكتاب فكان سبب قولها ان قوماً من مخالفي شرقوا بي
فأساءوا العتب في وجهي وقذفوني بأني اعضد الباطل بحجتي عجزاً منهم عن
مقاومة ما اورده من نصر الحق واهله وحسداً لي فقلت وخاطبت بقصيدتي
بعض اخواني وكان ذا فهم منها :

وخذني عصا موسى وهات جميعهم ولو انهم حيات ضال نضاض
ومنها :

يربغون في عيني عجائب حجة وقد يتمنى الليث والليث رابض
ومنها :

ويرجون ما لا يبلغون كمثل ما يرجي محالا في الامام الروافض
ومنها :

ولو جلدي في كل قلب ومهجة لما أثرت فيها العيون المرائض
أبت عن دنيء الوصف ضربة لازم كما ابت الفعل الحروف الخوافض
ومنها :

ورأيت له في كل ما غاب مسلك كما تسلك الجسم العروق النواض
يبين مدب التمل في غير مشكل ويستر عنهم للقيول المرائض

﴿ باب الغدر ﴾

وكما ان الوفاء من سري النعوت ونبل الصفات فكذلك الغدر من ذميمها ومكروها وانما يسمى غدرًا من البادي به واما المقارض بالغدر على مثله وان استوى معه في حقيقة الفعل فليس بغدر ولا هو معيًّا بذلك والله عز وجل يقول ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ وقد علمنا ان الثانية ليست بسيئة ولكن لما جانست الاولى في الشبه اوقع عليها مثل اسمها وسيأتي هذا مفسراً في باب السلو ان شاء الله ولكثرة وجود الغدر في المحبوب استغرب الوفاء منه فصار قليله الواقع منهم يقاوم الكثير الموجود في سواهم وفي ذلك اقول :

قليل وفاء من يهوى يحل وعظم وفاء من يهوى يقل

فنادرة الجبان اجل مما يحجى به الشجاع المستقل

ومن قبيح الغدر ان يكون للمحب سفير الى محبوبه يستريح اليه بأسراره فيسعى حتى يقبله (١) الى نفسه ويستأثر به دونه وفيه اقول :

اقت سفيراً قاصداً في مطالبي وثقت به جهلاً فضرب بيننا

وحل عرى ودي واثبت وده وابعد عني كل ما كان ممكنا

فصرت شهيداً بعدما كنت مشهداً واصبحت ضعيفاً بعدما كان ضعيفنا

(خبر) ولقد حدثني القاضي يونس بن عبد الله قال أذكر في الصبي جارية في بعض السدد يهواها فتى من اهل الادب من ابناء الملوك وتهواه ويتراسلان وكان السفير بينهما والرسول بكتبتهما فتى من اترابه كان يصل اليها فلما عرضت الجارية للبيع اراد الذي كان يحبها ابتاعها فبدر الذي كان رسولا فاشتراها فدخل عليها يوماً فوجدها قد فتحت درجاً لها تطلب فيه بعض حوائجها فأتى

(١) في الاصل : يقبله

اليها وجعل يفتش الدرج فخرج اليه كتاب من ذلك القى الذي كان يهواها
مضمخاً بالغالية مصوناً مكرماً فغضب وقال من اين هذا يافسقة قالت انت
سقتك الي فقال لعله محدث بعد ذاك الحين فقالت ماهو الا من قديم تلك التي
تعرف قال فكأنما القمته حجباً فسقط في يديه وسكت

(باب البين)

وقد علمنا انه لا بد لكل مجتمع من افتراق ولكل دان من تناء وتلك
عادة الله في العباد والبلاد حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين
وماشيء من دواهي الدنيا يعدل الافتراق ، ولو سالت الارواح به فضلاً عن الدموع
كان قليلاً . وبعض الحكماء سمع قائلاً يقول : الفراق اخو الموت ، فقال : بل
الموت اخو الفراق (١) والبين ينقسم اقساماً :

فأولها مدة يوقن بانصرامها وبالعودة عن قريب وانه لشجى في القلب ،
وغصة في الخلق لا تبرأ الا بالرجعة ، وانا اعلم من كان يغيب من يحب عن
بصره يوماً واحداً فيعتريه من الهلع والجزع وشغل البال وترادف الكرب
ما يكاد يأتي عليه

ثم بين منع من اللقاء وتحضير على المحبوب من ان يراه محبه فهذا ولو كان
من تحبه معك في دار واحدة فهو بين لأنه بائن عنك وان هذا ليولد من الحزن
والاسف غير قليل ، ولقد جربناه فكان مرأ وفي ذلك اقول :

أرى دارها في كل حين وساعة ولكن من في الدار عني مغيب

(١) هذا الاسلوب يشبه ما يروى عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها
انها قالت : لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : السفر قطعة من
العذاب ، لقلت : العذاب قطعة من السفر

وهل نافعني قرب الديار واهلها على وصلهم مني رقيب مرّقب
فيا لك جار الجنب اسمع حسه واعلم ان الصين أدنى واقرب (١)
كصاد يرى ماء الطوي بعينه وليس اليه من سبيل يسبب
كذلك من في اللحد عنك مغيب وما دونه الا الصنيح المنصب
واقول من قصيدة مطولة :

متى تشقى نفس اضر بها الوجد وتضقب دار قد طوى اهلها البعد
وعهدي بهند وهي جارة بيتنا واقرب من هند لطالها الهند
بلى ان في قرب الديار لراحة كما يمسك الظمان ان يدنو الورد
ثم بين يتعمده الحب بعداً عن قول الوشاة وخوفاً ان يكون بقاؤه سبباً
الى منع اللقاء وذريعة الى ان يفشو الكلام قيقع الحجاب الغليظ
ثم بين يولده الحب لبعض ما يدعوه الى ذلك من آفات الزمان وعذره
مقبول او مطرح على قدر الحافز له الى الرحيل

(خبر) ولعدي بصديق لي داره المربة ففت له حوائج الى شاطبة فقصدها
وكان نازلاً بها في منزلي مدة اقامته بها وكان له بالمرية علاقة هي اكبر همه وادعى
غمه وكان يؤمل تبتيته (٢) وفراغ اسبابه وان يوشك الرجعة ويسرع الاوبة
فلم يكن الا حين لطيف بعد احتلاله عندي حتى جيش الموفق ابو الحسن مجاهد
صاحب الجزائر الجيوش وقرب العساكر وناوذ خيران صاحب المرية وعزم على
استئصاله فانقطعت الطرق بسبب هذه الحرب وتحوّمت السبل واحترس البحر
بالاساطيل فتضاعف كربيه اذ لم يجد الى الانصراف سبيلاً التبة وكاد يطفأ أسفاً

(١) هذا المعنى يرمي الى قول المعري :

فيا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك احوال
(٢) التبتيت : التزويد والتجهيز مأخوذ من التبات كسحاب وهو الزاد ومتاع البيت

وصار لا يأنس بغير الوحدة ولا يلجأ الا الى الزفير والوجوم ولعمري لقد كان
ممن لم اقدر قط فيه ان قلبه يذعن للود ولا شراسة طبعه تجيب الى الهوى
واذكر اني دخلت قرطبة بعد رحيلي عنها ثم خرجت منصرفاً عنها فضمني الطريق
مع رجل من الكتاب قد رحل لامر مهم وتخلف سكن (١) له فكان يرتض لذلك
واني لاعلم من علق بهوى له وكان في حال شظف وكانت له في الارض
مذاهب واسعة ومنايح رجة ووجوه متصرف كثيرة فهان عليه ذلك وآثر
الاقامة مع من يحب وفي ذلك اقول شعراً منه :

لك في البلاد منادح معلومة والسيف قفل (٢) او يبين قرابه

ثم بين رحيل وتباعد ديار ولا يكون من الاوبة فيه على يقين خبر ولا
يحدث تلاق وهو الخطب الموجه والهم المفظع والحادث الاشنع والداء الدوى
واكثر ما يكرن الهلع فيه اذا كان النائي هو المحبوب وهو الذي قالت فيه
الشعراء كثيراً وفي ذلك اقول قصيدة منها :

وذي علة اعني (٣) الطيب علاجها ستوردني لاشك منهل مصرعي
رضيت بان اضحي قتل وداده كجارع سم في رحيق مشعشع
فلا ليالي ما اقل حياءها واولعها بالنفس من كل مولع
كأن زمانني عبشمي يخالي أعنت على عثمان اهل التشيع

واقول من قصيدة :

أظنك تمال الجنان اباحه لمجتهد النساء من اوليائه

واقول من قصيدة :

لا برد باللقيا علياً من الهوى توقع نيران الغضى هيانه

واقول شعراً منه :

(١) السكن بفتح فسكون اهل الدار (٢) كذا في الاصل (٣) في الاصل : اعني

خفيت عن الابصار والوجد ظاهر فاعجب باعراض تين ولاشخص
غدا الفلك الدوار حلقة خاتم محيط بما فيه وانت له فص
واقول من قصيدة :

غنيت عن التشبيه حسناً وبهجة كما غنيت شمس السماء عن الحلي
عجبت لنفسي بعده كيف لم تمت وهجرانه دفني وفقدانه نعمي
وللجسد الغض المنعم كيف لم تذبه يد خشناء (١)
وان للاوبة من البين الذي تشفق منه النفس لطول مساقته وتكاد تياس من
العودة فيه لروعة تبلغ مالا حد وراءه وربما قتلت (٢) وفي ذلك اقول :
للتلاقي بعد الفراق سرور كسرور المفيق حانت وفاته
فرحة تهج (٣) النفوس وتحيي من دنا منه بالفراق مماته
ربما قد تكون داهية المو ت وتودي باهله هجياته
كم رأينا من عب في الماء عطشا فزار الحمام وهو حياته
واني لاعلم من نأت دار محبوبه زمناً ثم تيسرت له اوبة فلم يكن الا بقدر
التسليم واستيفائه حتى دعت نوى ثانية فكاد ان يهلك وفي ذلك اقول :
أطلت زمان البعد حتى اذا انقضى زمان الذي بالقرب عدت الى البعد
فلم يك الا كرة الطرف قربكم وعاودكم بعدي وعاودني وجدي

(١) نقص في الاصل (٢) من ذلك ما يروى ان جدة ابى الطيب المتنبى
لما اتاها كتاب منه فيه خبر قدومه بعد طول غيبته عنها وكانت تحبه حباً جماً
حمت من شدة سرورها فماتت وفي ذلك يقول ابو الطيب :
اتاها كتابي بعد يأس وترحة فماتت سروراً بي فمت بها غماً
حرام على قلبي السرور فانني اعد الذي ماتت به بعدها سما
(٣) في الاصل تبهم

كذا حاراً في الليل ضاقت وجوهه رأى البرق في داج من الليل مسود
فأخلفه منه رجاء دوامه وبعض الأراجي لاتقيد ولا تجدي
وفي الأوبة بعد الفراق أقول قطعة منها :

لقد قُرت العينان بالقرب منكم كما سحنت أيام يطويكم البعد
فلمه فيما قدمضى الصبر والرضى ولله فيما قد قضى الشكر والحمد
(خبر) ولقد نعي الي بعض من كنت احب من بلدة نازحة ففقت فاراً
بنفسي نحو المقابر وجعلت امشي بينها واقول :

وددت بان ظهر الارض بطن وان البطن منها صار ظهرا
واني مت قبل ورود خطب أتى فأثار في الأكباد جبرا
وان دمي لمن قد بان غسل وان ضلوع صدري كن قبرا
ثم اتصل بعد حين تكذيب ذلك الخبر فقلت :

بشرى انت واليأس مستحکم والقلب في سبع طباق شداد
كست فؤادي خضرة بعدما كان فؤادي لابساً للحداد
جلي سواد الغم عني كما يجلى بلون الشمس لون السواد
هذا وما امل وصلاً سوى صدق وفاء بقديم الوداد
فالمن قد تطلب لا للحيا لكن لظل بارد ذي امتداد

ويقع في هذين الصنفين من الين الوداع اغني رحيل المحب او رحيل
المحبيب وانه لمن المناظر الهائلة والمواقف الصعبة التي تفتضح فيها عزيمة كل
ماضي العزائم وتذهب قوة كل ذي بصيرة وتسكب كل عين جمود ويظهر
مكنون الجوى وهو فصل من فصول الين يجب التكلم فيه كالماتاب في باب
الهجر ولعمري لو ان ظريفاً يموت في ساعة الوداع لكان معذوراً اذا تفكر
فيما يحل به بعد ساعة من انقطاع الآمال وحلول الاوجال وتبدل السرور بالحزن
وانها ساعة ترق القلوب القاسية وتلين الافئدة الغلاظ وان حركة الرأس

وإدمان النظر والزفرة بعد الوداع لها تكة حجاب القلب وموصلة اليه من
الجزع بمقدار ما تنقل حركة الوجه في ضد هذا والإشارة بالعين والتبسم
ومواطن الموافقة والوداع ينقسم قسمين أحدهما لا يتمكن فيه إلا بالنظر والإشارة
والثاني يتمكن فيه بالعناق والملازمة وربما لعله كان لا يمكن قبل ذلك البتة مع
تجاوز المحال وإمكان التلاقي ولهذا تمنى بعض الشعراء البين ومدحوا يوم النوى
وما ذاك بحسن ولا بصواب من الرأي ولا بالأصيل من الرأي فما ينبغي سرور
ساعة يحزن ساعات فكيف إذا كان البين أياماً وشهوراً وربما أعواماً وهذا
سوء من النظر ومعوج من القياس وإنما أثبت على النوى في شعري تمناً
لرجوع يومها فيكون في كل يوم لقاء ووداع (على أن تحتل مضض هذا
الاسم الكربة وذلك عندما يمضي من الأيام التي لا التقاء فيها فحينئذ يرغب
الحب من يوم الفراق لو كان أمكنه في كل) يوم وفي الصنف الأول من الوداع
أقول شعراً منه :

تنوب عن بهجة الأنوار بهجته كما تنوب عن التيران أنفاسي
وفي الصنف الثاني من الوداع أقول شعراً منه :

وجه تخر له الأنوار ساجدة والوجه ثم فلم ينقص ولم يزد
دفء وشمس الضحى بالجدي نازلة وبارد ناعم والشمس في الأسد
ومنه :

يوم الفراق لعمرى لست أكرهه أصلاً وإن شئت شمل الروح عن جسدي
ففيه عاققت من أهوى بالأجزع وكان من قبله أن سيل لم يجد
أليس من عجب (١) وعبرتها يوم الوصال ليوم البين ذو حسد
وهل هجس في الأفكار أو قام في الظنون أشنع وأوجع من هجر عتاب

(١) نقص في الأصل ولعل الكلمة الساقطة : دمعي وعبرتها

وقع بين محبين ثم خفّتهما النوى قبل حلول الصلح والتخلّال عقدة الهجران
فناما الى الوداع وقد نسي العتاب وجاء ماظم على القوى واطار التكرى وفيه
اقول شعراً منه :

وقد سقط القتب المقدم واحى وجاءت جيوش البين تجري وتسرع
وقد ذعر البين الصدود فراحه فولى فما يدري له اليوم موضع
كذب خلا بالصيد حتى اضله هزبر له من جانب الغيل مطلع
لئن سرتني في طرده الهجراتي لابعاده عني الحبيب لموجع
ولا بد عند الموت من بعض راحة وفي غيبها الموت الوحي المصرع
واعرف من اتى ليودع محبوبه يوم الفراق فوجده قد فات فوقف على
آثاره ساعة وتردد في الموضع الذي كان فيه ثم انصرف كئيباً متغير اللون
كاسف البال فما كان بعد ايام قلائل حتى اعتل ومات رحمه الله وان للبين في
اظهار السرائر المطوية عملاً عجيباً ولقد رأيت من كان حبه مكتوماً وبما يجد
مستتراً فيه حتى وقع حادث الفراق فباح المكشون وظهر الحقي وفي ذلك اقول
قطعة منها :

بذات من الود ما كان قبل منعت واعطيتني جزافاً
ومالي به حاجة عند ذاك ولو جدت قبل بلغت الشغافا
وما ينفع الطب عند الحمام وينفع قبل الردى من تلافا
واقول :

الآن اذ حل الفراق جدت لي بخفي حب كنت تبدي بخاه
فزدتني في حسرتي اضعافها ويحي فها كان هذا قبله
ولقد اذكرني هذا اني حظيت في بعض الازمان بمودة رجل من وزراء
السلطان ايام جاهه فاطهر بعض الامتسك فتركته حتى ذهب ايامه وانقضت
دولته فأبدي لي من المودة والاخوة غير قليل فقلت :

بذلت لي الاعراض والدهر مقبل وتبذل لي الاقبال والدهر معرض
وتبسطني اذ ليس ينفع بسطكم فها أبحث البسط اذ كنت تقبض
ثم بين الموت وهو الفوت وهو الذي لا يرجى له إياب وهو المصيبة الحالة
وهو قاصمة الظهر وداهيه الدهر وهو الويل وهو المغطى على ظلمة الليل وهو
قاطع كل رجاء ومأجى كل طمع والمؤيس من اللقاء وهنا حازت اللسن
وانجذم جبل العلاج فلا حيلة الا الصبر طوعاً او كرهاً . وهو اجل ما يبلى
به المحبون فما لمن دهى به الا النوح والبكاء الى ان يتلف او يمل فهي القرحة
التي لا تشفى والوجع الذي لا يفي وهو الغم الذي يتجدد على قدر بلاء من
اعتمدته في الثرى وفيه اقول :

كل بين واقع فرجى لم يفت
لا تعجل قنط لم يفت من لم يمت
والذي قد مات فالا يأس عنه قد ثبت

وقد رأينا من عرض له هذا كثير . وعني اخبرك انى احد من دهى بهذه
الفادحة وتعجلت له هذه المصيبة وذلك انى كنت اشد الناس كلفاً واعظمهم
حباً بحارية لي كانت فيما خلا اسمها نعم (بالضم) وكانت امنية المتعنى وغاية الحسن
خلقاً وخلقاً وموافقة لي وكنت انا عذرهما وكنا قد تكافأنا المودة فنجعتني
بها الاقدار واخترمها الليالي ومر النهار وصارت نائلة التراب والاحجار وسنى
حين وفاتها دون العشرين سنة وكانت هي دوني في السن فلقد اقت بعدها
سبعة اشهر لا تجرد عن ثيابي ولا تنفتر لي دمة على جمود عيني وقلة اسعاديها
وعلى ذلك فوالله ماسلوت حتى الآن ولو قبل فداء لفديتها بكل ما املك من تاد
وطارف وبيعض اعضاء جسمي العزيزة علي مسارعاً طائعاً وما طاب لي عيش
بعدها ولا نسيت ذكرها ولا أنست بسواها ولقد عفى حي لها على كل ما قبلها
وحرم ما كان بعده . ومما قلت فيها :

مهذبة بيضاء كالشمس ان بدت وسائر ربات الحجل نجوم
أطار هواها القلب عن مستقره فبعد وقوع ظل وهو يحوم
ومن مرائي فيها قصيدة منها :
كأنني لم آنس بالفاظك التي على عقد الالباب هن نوافث
ولم اتحكم في الاماني كأنني لافراط ما حكمت فيهن عابث
ومنها :

ويدين اعراضاً وهن أوالف ويقسمن في هجري وهن حواثث
واقول أيضاً في قصيدة اخاطب فيها ابن عمي ابا المغيرة عبد الوهاب احد
ابن عبد الرحمن بن حزم بن غالب واقرضه فاقول :

قفا فاسألا الاطلال اين قطينها أمرت عليها بالبي الملوأث
على دارسات مقفلات عواطل كأن المعاني في الحفاء معاني

واختلف الناس في اي الامرين اشد البين ام الهجر وكلاهما مرتقى صعب
وموت احمر وبلية سوداء وسنة شهباء (١) وكل يستبشع من هذين ما ضاد طبعه
فاما ذو النفس الالوية الاوف الاوف الحنانة الثابتة على العهد فلا شيء يعدل
عنده مصيبة البين لانه أتى قصداً وتعمدته النوائ عمداً فلا يجد شيئاً يسلي
نفسه ولا يصرف فكرته في معنى من المعاني الا وجد باعثاً على صابته ومحركاً
لاشجانه وعليه لاله وحجة لوجده وحاضاً على البكاء على إلفه واما الهجر
فهو داعية السلو ورائد الاقلاع واما ذو النفس التواقفة الكثيرة التزوع . والتطلع
انقلوق العزوف فاهجر داؤه وجالب حنقه والبين له مسلاة ومنساة واما انا فالموت
عندي اسهل من الفراق واما الهجر الا جالب للكمد فقط ويوشك ان دام
ان يحدث . ايغاداً (٢) وفي ذلك اقول :

(١) سنة شهباء : مجدبة (٢) في الاصل : ايضارا

وقالوا ارتحل فلعل السلو يكون وترغب ان ترغبه
فقلت الردى لي قبل السلو ومن يشرب السم عن تجربه

واقول :

سبى مهجتي هواه واودت بها نواه
كان الغرام ضيف وروحي غدا قراه

ولقد رأيت من يستعمل هجر محبوبه ويتعمده خوفاً من مرارة يوم الين
وما يحدث به من لوعة الاسف عند التفرق وهذا وان لم يكن عندي من المذاهب
المرضية فهو حجة قاطعة على ان الين اصعب من الهجر وكيف لا وفي الناس
من يلوذ بالهجر خوفاً من الين ولم اجد أحداً في الدنيا يلوذ بالين خوفاً من
الهجر وانما يأخذ الناس ابداً الأسهل ويتكلفون الالهون وانما قلنا انه ليس
من المذاهب المحموده لان اصحابه قد استعملوا البلاء قبل زوله وتجرعوا غصة
الصبر قبل وقتها ولعل ماتخوفوه الا يكون ليس من يتعجل المكروه وهو على
غير يقين مما لم يتعجل بحكيم وفيه اقول شعراً منه :

لبس الصب للصابية يننا ليس من جانب الاحبة منا
كفي يعيش عيش فقير خوف فقر وفقره قد أبنا

واذكر لابن عمي ابى المغيرة هذا المعنى من ان الين اصعب من الصدايات
من قصيدة خاطبني بها وهو ابن سبعة عشر عاماً او نحوها وهي :

أجزعت ان اذف الرحيل وولت ان نص الذميل
كلا مصابك فادح وأجل فراقهم جليل
كذب الاولى زعموا بان الصدا مرتعه وبين
لم يعرفوا كنه القليل ل وقد تحملت المحول
اما الفراق فانه الموت ان اهوى دليل

ولي في هذا المعنى قصيدة مطولة اولها :

لامثل يرمك ضحوة التنعيم في منظر حسن وفي تنعيم
قد كان ذاك اليوم ندره عاقر وصواب خاطئة وولد عقيم
ايام برق الوصل ليس بخلب عندي ولاروض الهوى بهشيم
من كل غانية يقول نديها سيري امامك والازار أقيمي
كل يجاذبها فحمة خدها خجل من التأخير والتقديم
ما يسي سوى تلك العيون وليس في برءي سواها في الورى بزيم
مثل الافاعي ليس في شيء سوى أجسادها اراء لدغ سليم

والين ابكي الشعراء على المعاهد فأدروا على الرسوم الدموع وسقوا الديار
ماء الشوق وتذكروا ما قد سلف لهم فيها فاعولوا وانتحبوا واحيت الآثار دفين
شوقهم هناحوا وبكوا ولقد اخبرني بعض الموراد من قرطبة وقد استخبرته عنها
انه رأى دورنا ببلاط مفيت في الجانب الغربي منها وقد احدث رسومها وطمست
اعلامها وخفيت معاهدها وغيرها البلى وصارت صحاري مجدبة بعد العمران
وفيافي موحشة بعد الانس وخرائب منقطعة بعد الحسن وشعاباً مفترقة بعد الامن
وماوى للذئاب ومعازف للغيلان وملاعب للجنان ومكامن للوحوش بعد رجال
كالليوث وخرائد كالدمى تفيض لديهم النعم الفاشية . تبدد شملهم فصاروا في
البلاد ايادي سبا فكأن تلك المحاريب المنمقة والمقاصير المزينة التي كانت تشرق
اشراق الشمس ويحلو الهموم حسن منظرها حين شملها الحراب وعمها الهدم
كافواه السباع فاعرة تؤذن بفناء الدنيا وترين عواقب اهلها وتخبرك عما يصير
اليه كل من تراه قائماً فيها وترهد في طلبها بعد ان طان مازهدت في تركها
وتذكرت ايامي بها ولذا تاتي فيها وشهور صباي لديها مع كواعب الى مشاهير صبا
الحليم ومثلت لنفسى كونهن تحت الثرى وفي الآثار النائية والنواحي البعيدة

وقد فرقهن يد الجلاء ومزقهن أكف النوى وخيل الى بصري بقاء تلك
النسبة بعد ماعلمته من حسنها وغضارتها والمراتب المحكمة التي نشأت فيما
لديها وخلاء تلك الأفنية بعد تضايقها بأهلها واوهمت سمعي صوت الصدى والهام (١)
عليها بعد حركة تلك الجماعات التي ربيت بينهم فيها وكان ليلاً تبعاً لنهارها
في انتشار ساكنها والتقاء عمارها فماد نهارها تبعاً لليلها في الهدوء والاستيحاش
فابكى عيني واوجع قلبي وقرع صفاء كبدي وزاد في بلاء لي فقلت
شعراً منه :

لئن كان أظنانا فقد طال ماسقي وان ساءنا فيها فقد طال ماسرا
والبين يولد الحنين والاهتياج والتذكر وفي ذلك اقول :

ليت الغراب يعيد اليوم لي فعسى بين بينهم عني فقد وقفنا
أقول والليل قد أرخى اجلته وقد تألى بأن لا ينقضي فوفنا
والنجم قد حار في افق السماء فما يمضي ولا هو للتخير (٢) منصرفاً
تخاله مخطئاً او خائئاً وخلاً اوراقاً (٣) موعداً او عاشاً نأذناً

- (١) الصدى : اليوم الذكر والهام جمع هامة وهي طائر من طيور الليل
(٢) لعل الصواب : للتجوير بحاء مهمة ، اي من اجل حيرته وعمو المناسب
لقوله : قد حار . والمعنى انه لا يمضي في سيره ولا ينصرف راجعاً على اعتقابه
وهو مقتبس من قول امرئ القيس :
فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار القتل شدت يذب
(٣) في الاصل رائياً



﴿ باب القنوع ﴾

ولا بد للمحب اذا حرم الوصل من القنوع بما يجيد وان في ذلك لتعللاً
لنفس وشغلاً للرجاء وتجديداً للهنى وبعض الراحة وهو مراتب على قدر الاصابة
والتمكن فاولها الزيارة وانها لامل من الآمال ومن سري ما يسبح في الدهر مع ما
تبدى من الخسر والحياء لنا يعلمه كل واحد منهما مما في نفس صاحبه وهي
على وجهين احدهما ان يزور المحب محبوبه وهذا الوجه واسع والوجه الثاني
ان يزور المحبوب محبه ولكن لاسبيل الى غير النظر والحديث الظاهر وفي
ذلك أقول :

فان تبأ عني بالوصال فأتني سأرضى بلحظ العين ان لم يكن وصل
خسبي ان القالك في اليوم مرة وما كنت ارضى ضعف ذا منك لي قبل
كذا همة الوالي تكون رفيعة ويرضى خلاص النفس ان وقع العزل
واما رجع السلام والمخاطبة فامل من الآمال وان كنت انا اقول في قصيدة لي
فها انا اذا أخني واقنع راضياً يرجع سلام ان تيسر في الحين
فانما هذا لمن يتقل من مرتبة الى ما هو ادنى منها وانما يتفاضل المخلوقات
في جميع الاوصاف على قدر اضافتها الى ما هو فوقها او دونها واني لاعلم من
كان يقول لمحوبة عدني واكذب قنوعاً بان يسلي نفسه في وعده وان كان
غير صادق فقلت في ذلك :

ان كان وصلك ليس فيه مطمع والقرب ممنوع فعدي واكذب
فعسى التعال بالتفانك ممسك لحياة قلب بالصدود معذب
فلقد يسلي المجددين اذا رأوا في الافق يلعب ضوء برق خلب
ومما يدخل في هذا الباب شيء رأيته ورآه غيري معي ان رجلاً من

اخواني جرحه من كان يحبه بمدية فلقد رأته وهو يقبل مكان الجرح ويندبه
مرة بعد مرة فقلت في ذلك :

يقولون شجك من همت فيه فقلت لعمرى ما شجني
ولكن اخس دمي قربه فطار اليه ولم ينثن
فيا قاتلي ظالماً محسناً فديتك من ظالم محسن

ومن القنوع ان يسر الانسان ويرضى ببعض آلات محبوه وارث له من
النفس لموقعاً حسناً وان لم يكن فيه الامانص الله تعالى علينا من ارتداد يعقوب
بصيراً حين شم قميص يوسف عليهما السلام وفي ذلك اقول :

لما منعت القرب من سيدي ورج في هجري ولم ينصف
صرت بالبصري اثنوا به او بعض ما قد مسه اكتفى
كذلك يعقوب نبي الهدى إذ شفه الحزن على يوسف
شم قميصاً جاء من عنده وكان مكفوفاً فنه بشفي

وما رأيت قط متعاشقين الا وهما يتهاديان خصل الشعر مبهجرة بالخير مرشوشة
بناء الورد وقد جمعت في اصلها بالمصطكى وبالشمع الابيض المصفى ولفت في
تلطريف الوشى والحز وما اشبه ذلك لتكون تذكرة عند البين واما تهادي
المساويك بعد مضغها والمصطكى اثر استعمالها فكثير بين كل متحابين قد حظ
عليهما اللقاء وفي ذلك اقول قطعة منها :

أرى ريقها ماء الحياة تيقناً على انها لم تبقي لي في الهوى حشا

(خبر) واخبرني بعض اخواني عن سليمان بن احمد الشاعر انه رأى بن سهل
الحاجب بحزيرة صقلية وذكر انه كان غاية في الجمال فشاهده يوماً في بعض
المنتزهات ماشياً وامراً خلفه تنظر اليه فلما ابعد اتت الى المكان الذي قد
أثر فيه مشيه فجعلت تقبله وتلمم الارض التي فيها اثر رجله وفي ذلك اقول
قطعة اولها :

يلوموني في موطني خنه جفناً
 فيا اهل ارض لا تجرد سحابها
 خذوا بوصاتي تستقلوا وتحمدوا
 وأضمن ان المحل عنكم بعيد
 فذاك صعيد طيب ليس يججد
 لعينيه من جبريل اثر ممجد
 كذلك فمل السامري وقد بدا
 فصيرجوف العجل من ذلك الثرى

واقول :

لقد بورك انت قاطن وبورك من فيها وحل بها السعد
 فاحجارها در وسعداتها ورد وامواها شهد وترتها ند

ومن القنوع الرضى بمزار الطيف وتسليم الخيال وهذا انما يحدث عن ذكر
 لا يفارق وعهد لا يحول وفكر لا ينقضي فاذا نامت العيون وهبأت الحركات
 سرى الطيف وفي ذلك اقول :

زار الخيال فتى طالت صباهه على احتفاظ من الحراس والحفظة
 فبت في ليلتي جدلان مبهجاً ولذة الطيف تنسى لذة اليقظة

واقول :

أتى طيف نعم (١) مضجعي مهددة وليل سلطان وظل ممدد
 وعهدي بها تحت التراب مقيمة وجاءت كما قد كنت قبله اعهد (٢)
 فعدنا كما كنا وعاد زماننا كما قد عهدنا قبل والعود احمد

ولشعراء في علة مزار الطيف اقاويل بديعة بعيدة المرمى مخترعة كل سبق
 الى معنى من المعاني فابو اسحق ابن سيار النظام رأس المعتزلة جعل علة مزار

(١) انظر ماتقدم من خبرها في الصفحة ٨٨ (٢) يجب اختلاس مد الهاء
 في «قباه» ليستقيم الوزن ولو قيل «من قبل» لاستقام بلا تكلف

الطيب خوف الارواح من الرقيب المرقب على بهاء الابدان وابو تمام حبيب
ابن اوس الطائي جعل علته ان نكاح الطيف لا يفسد الحب ونكاح الحقيقة
يفسده والبحري جعل علة اقباله استضاءته بنار وجده وعلة زواله خوف الغرق
في دموعه وانا اقول من غير ان امثل شعري باشعارهم فلهم فضل التقدم
والسابقة وانما نحن لاقطون وهم الحاصدون ولكن اقتداء بهم وجرياً في ميدانهم
وتبعاً لطريقتهم التي همجوا ووضحوا: اياتاً: بينت فيها مزار الطيف مقطعة :

أغار عليك من ادراك طرفي وأشفق ان يذيك لمس كفي
فأمتنع اللقاء بخدار هذا وأعتمد التلاقي حين اغني
فروحني ان اتم بك ذواتفراد من الاعضاء مستتر ومخفي
ووصل الروح الطيف فيك وقفاً من الجسم المواصل الفضعف

وحال المزور في المنام ينقسم اقساماً اربعة احدهما محب مهجور قد تطاول
غمه ثم رأى في هجته ان حبيبه وصله فسر بذلك وابتهج ثم استيقظ فأسف
وتلف حيث علم ان ما كان فيه امانى النفس وحديثها وفي ذلك اقول :
انت في مشرق النهار بخيل واذا الليل جن كنت كريماً
تجعل الشمس منك لي عوضاً هي هات ماذا الفعالي منك قوياً
زارني طيفك البعيد فيأتي واصلا لي وعائداً ونديماً
غير اني منعني من تمام العيش لكن ابحت لي التشميا
فكأنني من اهل الاعراف لا الفر دوس داري ولا اخاف الجحيا

والثاني محب مواصل مشفق من تغير يقع قد رأى في وسنه ان حبيبه
يهجره فاهتم لذلك همّاً شديداً ثم هب من نومه فعلم ان ذلك باطل وبعض
وساوس الاشفاق . والثالث محب داني الديار يرى ان التناهي قد فدحه ،
فيكثرث ويوجدل ، ثم يتبه فيذهب ما به ويعود فرحاً . وفي ذلك اقول
قطعة منها :

رأيتك في نومي كأنك راحل وقنا الى التوديع والدمع هامل
وزال السكرى عني وانت معانقي وغمي اذ عاينت ذلك زائل
فجددت تعنيقاً وضمماً كأنني عليك من البين المفرق واجل (١)

والرابع محب نأى المزار يرى ان المزار قد دنا والمنازل قد تصابقت فيرتاح
ويأنس الى فقد الاسى ثم يقوم من سنته فيرى ان ذلك غير صحيح فيعود الى
اشد ما كان فيه من الغم وقد جملت في بعض قولي علة النوم الطمع في طيف
الخيال فقلت :

طاف الخيال على مستهتر كلف لولا ارتقاب مزار الطيف لم ينم
لا تعجبوا اذ سرى والليل معتكف فنوره مرهب في الارض للظلم

ومن القنوع ان يقنع المحب بالنظر الى الجدران ورؤية الحيطان التي تحتوي
على من يحب وقد رأينا من هذه صفته ولقد حدثني ابو الوليد احمد بن محمد
ابن اسحق الحارثي رحمه الله عن رجل جليل انه حدث عن نفسه بمثل هذا
ومن القنوع ان يرتاح المحب الى ان يرى من رأى محبوبه ويأنس به ومن اتى
من بلاده وهذا كثير وفي ذلك اقول :

توحش من مكانه فكأنهم مساكن عاد اعقبته ثمود

ومما يدخل في هذا الباب ابيات لي موجهة اتي تنزهت انا وجماعة من
اخواني من اهل الادب والشرف الى بستان لرجل من اصحابنا فجلنا ساعة ثم
افضى بنا القعود الى مكان دونه يتمنى فتمددنا في رياض اريضة (٢) وارض عريضة
للبصر فيها منفسح وللنفس لديها مسرح بين جداول تطرد كأباريق اللجين
واطياف تغرد بالحن تزدى بما ابدعه معبد وابن الغريض وثمار مهدلة قد ذلت
للأيدي وذلت للمتناول وظلال مظلة تلاحظنا الشمس من بينها فتصور بين

(١) في الاصل قابل ولا معنى له (٢) الارض الاريضة : المعجبة للعين

ايدنا كرقاع الشطرنج والثياب المدبجة وماء عذب يوجودك حتمقة طعم الحياة
وانهار متدفقة تساب كبطون الحيات لها خيرير يقوم ويهدأ (١) ونواوير مؤننة
مختلفة الالوان تصفحها الريح الطيبة النسيم وهواء سبج (٢) واخلاق جلاس تفوق
كل هذا في يوم ربيعي ذي شمس ذليلة تارة يغطيها الغيم الرقيق والمزف
اللطيف وتارة تنجلي فهي كالعذراء الحفيرة والحريفة الحجلة تتراهى لعاشقها من
بين الاستار ثم تغيب فيها حذر عين مراقبة وكان بهضنا مطرقاً كأنه يحدث (٣)
اخرى وذلك لسر كان له فمرض لي بذلك وتداعبنا حيناً فكلفت ان
اقول على لسانه شيئاً في ذلك فقلت بديهة وما كتبوها الا من تذكرها بعد
النصرافنا وهي :

ولما تروحن بأكناف روضة	مهلة الافنان في ترها الندي
وقد ضحك انوارها وتضوعت	أساورها في ظل فيء ممد
وأبدت لنا الاطيار حسن صريفها	فن بين شك شجوه ومضرد
وللماء فيما بيننا متصرف	ولامين مرتاد هناك وللبند
وما شئت من اخلاق اروع ماجد	كريم السجايا للفخار مشيد
تنغص عندي كل ما قد وصفته	ولم يهنني اذ غاب عني سيدي
فياليتني في السجن وهو معانقي	واتم ممأ في قصر دار المجدد
فن رام منا ان يبدل حاله	بحال اخيه او بملك مخلص
فلا عاش الا في شقاء ونكبة	ولا زال في بؤسى وخزي مردد

فقال هو ومن حضر آمين آمين وهذه الوجوه التي عدت واوردت في
حقائق القناعه الموجودة في اهل المودة بلا ترديد ولا اعياء .

(١) في الاصل : يهدى (٢) الهواء السبج : المعتدل بين الحر والبرد

(٣) لعل اصواب : باله

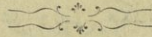
وللشمراء فن من القنوع ارادوا فيه اظهار غرضهم وابانة اقتدارهم على المعاني الغامضة والمرامي البعيدة وكل قال على قدر قوة طبعه الا انه تحكم باللسان وتشدق في الكلام واستطالة بالبيان وهو غير صحيح في الاصل فمنهم من قنع بان السماء تظله هو ومحبوبه والارض تقلهما ومنهم من قنع باستواءهما في احاطة الليل والنهار بهما ومن اشباه هذا وكل مبادر الى احتواء الغاية في الاستقصاء واحراز قصب السبق في التدقيق ولي في هذا المعنى قول لا يمكن المتعقب الى (١) ان يجد بعده متاويلا ولا وراه مكاناً مع تبيني علة قرب المسافة البعيدة وهو :

وقالوا بعيد قلت حسبي بانه معي في زمان لا يطيق محيداً
تمر علي الشمس مثل مرورها به كل يوم يستنير جديداً
فن ليس بيني في المسير وبينه سوى قطع يوم هل يكون بعيداً
وعلم اليه الخلق يجمعنا معاً كفى ذا التداني ما اريد مزيداً

فبينت كما ترى اني قانع بالاجتماع مع من احب في علم الله الذي السموات والافلاك والعوالم كلها وجميع الموجودات لا تتسب منه ولا تنجز فيه ولا يشذ عنه شيء ثم اقتصرت من علم الله تعالى على انه في زمان وهذا اعم مما قاله غيري في احاطة الليل والنهار وان كان الظاهر واحداً في البادي الى السامع لان كل الخلوقات واقعة تحت الزمان وانما الزمان اسم موضع لمرور الساعات وقطع الفلك وحركاته واجرامه والليل والنهار متولدان عن طلوع الشمس وغروبها وهما متناهيان في بعض العالم الاعلى وليس هكذا الزمان فانهما بعض الزمان وان كان لبعض الفلاسفة قول ان الظل متاد فهذا يخطئه العيان وعلل الرد عليه بيته ليس هذا موضعها ثم بينت انه وان كان في اقصى المعمور من المشرق وانا في اقصى

المعمور من المغرب وهذا طول السككى فليس بيني وبينه الامساقه يوم اذ الشمس
تبدو في اول النهار في اول المشارق وتغرب في آخر النهار في آخر المغارب ومن
القنوع فصل أوردته واستعيد بالله منه ومن اهله واحمد على ما عرف نفوسنا من منافرتة
وهو ان يضل العقل جملة وتفسد القريحة وتيلف التميز ويهون الصعب وتذهب
الغيرة وتعلم الانفة فيرضى الانسان بالمشاركة في من يحب وقد عرض هذا لقرم
اعاذنا الله من البلاء وهذا لا يصح الامع كلبية في الطبع وسقوط من العقل
الذي هو عيار (١) على ماتحته وضمف حسن ويؤيد هذا كله حب شديد مع
فاذا اجتمعت هذه الاشياء وتلاقحت بمزاج الطبائع ودخول بعضها في بعض تتج
بينهما هذا الطبع الحميم وتولدت هذه الصفة الرذلة وقام منها هذا الفعل
المقدور والقيح واما رجل معه اقل همة وايسر مرؤة فهذا منه ابعد من الثريا
ولو مات وجداً وتقطع حباً وفي ذلك اقول زاريا على بعض المساحين في
هذا الفصل :

رأيتك رجب الصدر ترضى بما أتى	وأفضل شيء ان تلين وتسمحا
فحظك من بعض السواني (١) مفضل	على ان يحوز الملك من اصلها الرحا
وعضو يعير فيه في الوزن ضعف ما	تقدرة في الجدي فاعص الذي لحا
ولعب الذي تهوى بسيفين معجب	فكن ناحياً في نحوه كيف مانحا



(١) لعل الصواب : معيار

(١) السانية كالناعورة تسقى بها الارض

﴿ باب الضنى ﴾

ولا بد لكل محب صادق المودة ممنوع الوصل اما بين واما بهجر واما
بكتمان واقع لمعنى من ان يؤول الى حد السقام والضنى والنحول وربما اضجعه
ذلك وهذا الامر كثير جداً موجود ابداً والاعراض الواقعة من المحبة غير
العلل الواقعة من هجات العلل ويميزها الطيب الحاذق والمتفكر الناقد وفي
ذلك اقول :

يقول لي الطيب بغير علم	تداو فانت يا هذا عليل
ودائي ليس يدره سوائي	ورب قادر ملك جليل
أأ كتمه ويكشفه شهيق	يلازمني واطراق طويل
ووجه شاهدات الحزن فيه	وجسم كالخيال ضن نحيل
واثبت ما يكون الامر يوماً	بلا شك اذا صح الدليل
فقلت له ابن عني قليلاً	فلا والله تعرف ما تقول
فقال ارى نحولاً زاد جداً	وعلتك التي تشكو ذبول
فقلت له الذبول تعل منه الج	وارح وهي حمى تستحيل
وما اشكو لعمر الله حمى	وان الحر في جسمي قليل
فقال ارى التفاتاً وارتقياً	وافكاراً وصمتاً لا يزول
واحسب انها السوداء فانظر	لنفسك انها عرض ثقيل
فقلت له كلامك ذا محال	فما للدمع من عيني يسيل
فاطرق باهتاً بما رآه	ألا في مثل ذا بهت النبيل
فقلت له دوائي منه دائي	الا في مثل ذا ضلت عقول
وشاهد ما اقول يرى عياناً	فروع النبات ان عكست اصول
وترياق الافاعي ليس شيء	سواه ببرء ما لدغت كفيل

وحدثني ابو بكر محمد بن بقی الحجري وكان حكيم الطبع عاقلاً فهِمّاً عن رجل من شيوخنا لا يمكن ذكره انه كان ببغداد في خان من خاناتها فرأى ابنة لوكيلة الخان فاحبها وتزوجها فلما خلا بها نظرت اليه وكانت بكراً وهو قد تكشف لبعض حاجته فراعها **كبر**..... ففرت الى امها وتنفادت منه فرام بها كل من حوالها ان ترد اليه فأبت وكادت ان تموت فقارقتها ثم ندم ورام ان يراجعها فلم يمكنه واستعان بالابهرى وغيره فلم يقدر احد منهم على حيلة في امره فاختلط عقله واقام في المارستان يعاني مدة طويلة حتى نقه وسلا وما كاد ولقد كان اذا ذكرها يتنفس الصعداء وقد تقدم في اشعاري المذكورة في هذه الرسالة من صفة النحول مفرقاً ما استغنيت به عن ان اذكر هنا من سواها شيئاً خوف الاطالة والله المعين والمستعان وربما ترقى الى ان يغلب المرء على عقله ويحال بينه وبين ذهنه فيوسوس

(خبر) واني لاعرف جارية من ذوات المناصب والجمال والشرف من بنات القواد وقد بلغ بها حب في من اخواني جداً من ابناء الكتاب مبلغ هيجان المرار الاسود وكادت تختلط واشتهر الامر وشاع جداً حتى علمناه وعلمه الاباعد الى ان تدوركت بالعلاج وهذا انما يتولد عن ادمان الفكر فاذا غلبت الفكرة وتمكن الخلط السوداوي خرج الامر عن حد الحب الى حد الوله والجنون واذا اغفل التداوي في الاول الى المعاناة قوى جداً ولم يوجد له دواء سوى الوصال ومن بعض ما كتبت اليه قطعة منها :

قد سلبت الفؤاد منها (١) اختلاصاً اي خلق يعيش دون فؤاد
فاغتها بالوصل تحي شريفاً وتفتر بالثواب يوم المصاد
واراها تقاض ان دام هذا من خلا خيلها حلى الاقياد

انت حتماً متم الشمس حتى عشقها بين ذا الوري الكبادي

(خبر) وحدثني جعفر مولى احمد بن محمد بن جدير المعروف بالبليني ان سبب اختلاط مروان بن يحيى بن احمد بن جدير وزهاب عقله اعتقاله بحارية لاختيه فتمنعها منه واباعها (١) فخره وما كان في اخوته مثله ولا اتم ادباً منه واخبرني ابو العافية مولى محمد بن عباس بن ابي عبدة ان سبب جنون يحيى بن احمد ابن عباس بن ابي عبدة بيع جارياً له كان يجد بها وجداً شديداً كانت امه ابعتها وزهبت الى انكاحه من بعض الامريات فهاذان رجلان جليلان مشهوران فقدما عقولهما واختلطا وصارا في القيود والاعلال فاما مروان فاصابته ضربة مخطئة يوم دخول البربر قرطبة وانتهأهم اليها فتوفي رحمه الله واما يحيى ابن محمد فهو حي على حالته المذكورة في حين كتابتي لرسالتي هذه وقد رأيته انا مراراً وجالسته في القصر قبل ان يتمحن بهذه المحنة وكان استاذي واستاذي الفقيه ابو الحيار اللغوي وكان يحيى لعمري حلواً من التيان نبلاً . واما من دون هذه الطبقة فقد رأينا منهم كثيراً ولكن لم نسمهم لحقائهم وهذه درجة اذا بلغ المشغوف اليها فقد انبت الرجاء وانصرم الطمع فلا دواء له بالوصل ولا بغيره اذ قد استحكم الفساد في الدماغ وتلفت المعرفة وتغلبت الآفة اعادنا الله من البلاء بطوله وكفانا النقم بمنه .

(١) اراد من الاباعة هنا البيع نفسه ، والذي في القاموس : اباعه عرضه للبيع

﴿ باب السلو ﴾

وقد علمنا ان كل ماله اول فلا بدله من آخر حاشى نعيم الله عز وجل
 الجنة لاوليائه وعذابه بالنار لاعدائه واما اعراض الدنيا فنافذة فانية وزائلة
 مضمحلة وعاقبة كل حب الى احد امرين اما اخزام منية واما سلو حادث
 وقد نجد النفس تغلب عليها بعض القوى المصرفة معها في الجسد فكما نجد
 نفساً ترفض الراحة والملاذ للعقل في طاعة الله تعالى وللدنيا في الدنيا حتى
 تشهر بالزهد فكذلك نجد نفساً تتصرف عن الرغبة في لقاء شكلها للأنفة
 المستحكمة المنافرة للغدر او استمرار سرور المكافأة في الضمير وهذا اصح السلو
 وما كان من غير هذين الشئين فليس الامدموماً والسلو المتولد عن الهجر وطوله
 انما هو كاليأس يدخل على النفس من بلوغها الى املها فيفتر زاعها ولا يقوي
 رغبتها ولي في ذم السلو قصيدة منها :

اذا مارنت فالحي ميت بلحظها وان نطقت قلت السلام رطاب
 كأن الهوى ضيف ألم بهجتي فالحمي طعام والتجيع شراب
 ومنها :

صبور على الازم الذي العز خلغه ولو امطرته بالخرق سحاب
 جزوعاً من الراحة ان اتجته له خمولا وفي بعض النعيم عذاب

والسلو في التجربة الجميلة ينقسم قسمين سلو طبيعي وهو المسمى بالنسيان
 يخلو به القلب ويفرغ به البال ويكون الانسان كأنه لم يحب قط وهذا القسم
 ربما لحق صاحبه الذم لانه حادث عن اخلاق مذمومة وعن اسباب غير موجبة
 استحقاق النسيان وستأتي مبينة ان شاء الله تعالى وربما لم تاحته الائمة اعذر
 صحيح والثاني سلو تطبعي قهر النفس وهو المسمى بالتصير فترى المرء يظهر التجرد

وفي قلبه اشد لدغاً من وخز الاشقي (١) ولكنه يرى بعض الشر أهون من بعض او يحاسب نفسه بحجة لاتصرف ولا تكسر وهذا قسم لا يدم آتية ولا يلام فاعله لانه لا يحدث الا عن عزيمة ولا يقع الا عن فادحة، اما لسبب لا يصبر على مثله الاحرار واما لخطب الامر له فيجري به الاقدار وكفاك من الموصوف به انه ليس بناس ولكنه ذاك وزو حين واقف على العهد ومتجرع مرارات الصبر والفرق العامي بين المتصبر والناسي انك ترى المتصبر وان ابدى غاية الجلد وانظر سب محبوه والتحمل عليه لا يحتمل ذلك من غيره وفي ذلك اقول قطعة منها :

دعوني وسبي للحيب فاتني وان كنت ابدى الهجر لست معادياً
ولكن سبي للحيب كتموهم أجاد فلقاء الاله الدواهي
والناسي ضد هذا وكل هذا فعلى قدر طبيعة الانسان واجابتها وامتناعها وقوة
تمكن الحب من القاب او ضعفه وفي ذلك اقول وسميت السالي فيه انتصبر
قطعة منها :

نامى الاحبة غير من يسلوهم حكم المقصر غير حكم المقصر
ما قاصر للنفس غير مجيها ما الصابر المطبوع كالتصبر
والاسباب الموجبة للسو المنقسم هذين القسمين كثيرة وعلى حسبها ويتميز
الواقع منها يعذر السالي ويذم
فمنها الملل وقد قدمنا الكلام عليه وان من كان سلوه عن ملل فليس
حجة حنيفة والمنوسم به صاحب دعوى زائفة وانما هو طالب لذة ومبادر شهوة
والسالي من هذا الوجه ناس مذموم (٢)

(١) الاشقي : المثقب والسراد يخز به ويؤث « قاموس »

(٢) انظر مقدمه في الصفحة ٦٩ — ٧٠ عن ابى عامر محمد بن عامر

ومنها الاستبدال وهو وان كان يشبه الملل فيه معنى زائد وهو بذلك المعنى
أقبح من الاول وصاحبه احق بلذم

ومنها حياء مركب يكون في الحب يحول بينه وبين التعريض بما يجد فيتناول
الامر وتترأخى المدة ويبلى جديد المودة ويحدث السلو وهذا وجه ان كان
السالي عنه ناسياً فليس بمنصف اذ منه جاء سبب الحرمان وان كان متصبراً
فليس بملوم اذ أثر الحياء على لذة نفسه وقد ورد عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال : (الحياء من الايمان والبداء من النفاق) وحدثنا احمد
ابن محمد عن احمد بن مطرف عن عبد الله بن يحيى عن ابيه عن ملك عن
سلمة بن صفوان ان رزقي عن زيد بن طلحة بن ركانة يرفعه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال : (لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء)
فهذه الاسباب الثلاثة اصلها من الحب وابتدؤها من قبله والذم لاصق به في
نسيانه لمن يحب

ثم منها اسباب اربعة هن من قبل المحبوب واصلها عنده : فنها الهجر وقد
مر تفسير وجوهه ولا بد لنا ان نورد منه شيئاً في هذا الباب يوافقه والهجر
اذا تطاول وكثر العتاب واتصلت المفارقة يكون باباً الى السلو وليس من وصلك
ثم قطعك لغيرك من باب الهجر في شيء لانه الغدر الصحيح * ولا من مال
الى غيرك دون ان يتقدم لك معه صلة من الهجر ايضاً في شيء انما ذلك
هو النفاق وسيقع الكلام في هذين الفصلين بعد هذا ان شاء الله تعالى لكن
الهجر ممن وصلك ثم قطعك لتثقل واش او لذنب واقع او لشيء قام في النفس
ولم يمل الى سواك ولا اقام احداً غيرك متماك . والناسي في هذا الفصل من
الحسين ملوم دون سائر الاسباب الواقعة من المحبوب لانه لا يقع حالة تقيم الغدر
في نسيانه وانما هو راغب عن وصلك وهو شيء لا يلزمه وقد تقدم من اذمة
الوصال وحق ايمه ما يلزم الذكر ويوجب عهد اللفة ولكن السالي على

جهة التصبر والتجمل هاهنا معذور اذا رأى الهجر متادياً ولم ير للوصال علامة
ولا للمراجعة دلالة ، وقد استجاز كثير من الناس ان يسموا هذا المعنى غدرآ
اذ ظاهرهما واحد ولكن عليهما مختلفتان فلذلك فرقنا بينهما في الحقيقة واقول
في ذلك شعراً منه :

فكونوا كمن لم أدر قط فاني كآخر لم تدروا ولم تصلوه
انا كالصدا ما قال كل أحبيه فما شئتموه اليوم فاعتمدوه
واقول ايضاً قطعة ثلاثة ايات قلتها وانا نائم واستيقظت فاضفت اليها
البيت الرابع :

الا لله دهر كنت فيه أعز على من روحي وأهلي
فما برحت يد الهجران حتى طواك بناتها طي السجل
سقاني الصبر هجر كم كما قد سقاني الحب وصلكم بسجل
وجدت الوصل اصل الوجد حقاً وطول الهجر اصلاً للتسلي
واقول ايضاً منها :

لو قيل لي من قبل ذا ان سوف تسلو من تود
تخلفت الف قسامة لا كان ذا ابد الابد
واذا طويل الهجر ما معه من السلوان بد
لله هجر إنه ساع لبرء مجتهد
فالآن اعجب للسد وكننت اعجب للجلد
وأزى هواك كجمرة تحت الرماد لها مدد

واقول :

كانت جهنم في الحشى من جبكم فلقد أراها نار ابراهيم
ثم الاسباب الثلاث الباقية التي هي من قبل المحبوب فالمتصبر من الناس
فيها غير مذموم لما سنورده ان شاء الله في كل فصل منها

فمنها نفار يكون في المحبوب واتزواء قاطع للاطلاع

(خبر) واني لاخبرك عني اني الفت في ايام صباي الفة المحبة جارية نشأت في دارنا وكانت في ذلك الوقت بنت ستة عشر عاماً وكانت غاية في حسن وجهها وعتلها وعفافها وطهارتها وخنرها ودماتها عديمة الهزل منيعة البذل بديعة البشر مسيلة السر فقيدة الدام قليلة الكلام مغضوضة البصر شديدة الحذر ذكية من العيوب دائمة القطوب حلوة الاعراض مطبوعة الانقباض مليحة الصدود رزينة القعود كثيرة الوقار مستلذة النفار لا توجه الاراجي نحوها ولا تقف المطامع عليها ولا معرس للامل لديها فوجهها جالب كل القلوب وحالها طارد من أمها، تزدان في المنع والبخل ما لا يزدان غيرها بالسباحة والبذل موقوفة على الجد في أمرها غير راغبة في اللهو على انها كانت تحسن العود احساناً جيداً خنحت اليها واحببتها حباً مفرطاً شديداً فسميت عامين او نحوهما ان تجبني بكلمة واسمع من فيها لفظة — غير ما يقع في الحديث الظاهر الى كل سامع — بأبلغ السعي فما وصلت من ذلك الى شيء البتة ، فلهدي بمصطنع كان في دارنا لبعض ما يصطنع له في دور الرؤساء تجمعت فيه دخلتنا ودخله اخي رحمه الله من النساء ونساء فتياننا ومن لاث بنا من خدمنا ممن يخف موضعه ويلطف محله فلبث صدرنا من النهار ثم تنقلن الى قصة كانت في دارنا مشرفة على بستان الدار ويطلع منها على جميع قرطبة وفحوصها (١) مفتحة الابواب فصرن ينظرن من خلال الشراحيب وانا بينهما فاني لاذكر اني كنت اقصد نحو الباب الذي هي فيه النساء بقربها متعرضاً للذنو منها فما هو الا ان تراني في جوارها فتترك ذلك الباب وتقصد غيره في لطف الحركة فاتعمد انا النصد الى الباب الذي صارت اليه فتعود الى مثل ذلك الفعل من الزوال الى غيره ، وكانت قد

(١) المنحوص جمع حفص وهو كل موضع يسكن

علمت كلني بها ولم يشعر سائر النسوان بما نحن فيه لانهن كن عدداً كثيراً واذ كلهن يتنقلن من باب الى باب لسبب الاطلاع من بعض الابواب على جهات لا يطلع من غيرها عليها ، واعلم ان قيافة النساء في من يميل اليهن انفذ من قيافة مدج في الآثار ثم نزلن الى البستان فرغب عجاؤنا وكرامتنا الى سيدتها في سماع غنائها فامرتها فاخذت العود وسوته بخمر وخجل لاعهد لي بمثله وان الشيء يتضاعف حسنه في عين مستحسنة ثم اندفعت تغني بايات العباس ابن الاحنف حيث يقول :

اني طربت الى شمس اذا غربت	كانت مغارها جوف المقاصير
شمس ممثلة في خلق جارية	كأن اعطافها طي الطوامير
ليست من الانس الا في مناسبة	ولا من الجن الا في التصاوير
فالوجه جوهرة والجسم عهرة	واربع عنبرة والكل من نور
كأنها حين تخطو في مجاسدها (١)	تخطو على البيض اوحده القوارير

فلمعري لكأن المضراب انما يقع على قلبي وما نسيت ذلك اليوم ولا النساء الى يوم مفارقتي الدنيا وهذا اكثر ما وصلت اليه من التمكن من رؤيتها وسماع كلامها وفي ذلك اقول :

لأنها على التفار ومنع الوص	ل كم ماذا لها بنكير
هل يكون الهلال غير بعيد	او يكون الغزال غير نفور

واقول :

منعت جمال وجهك مقلتي	ولفظك قد ضننت به عليا
أراك نذرت للرحمن صوماً	فلمست تكلمين اليوم حيا
وقد غنيت للعباس شعراً	هنيئاً ذا لعباس هنيأ

(١) المجسد : كعبرد ثوب يلي الجسد « قاموس »

فلو يلقاك عباس لاضحى لفوز قالياً وبكم شجيا

ثم انتقل ابي رحمه الله من دورنا المحدث (١) بالجانب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة الى دورنا القديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مغيث في اليوم الثالث من قيام امير المؤمنين محمد المهدي بالخلافة وانتقلت انا بانتقاله وذلك في جمادي الاخرة سنة تسع وتسعين وثلثمائة ولم تستقل هي بانتقالنا لأمور اوجبت ذلك ثم شغلنا بعد قيام امير المؤمنين هشام المؤيد بالنكبات وباعتداء ارباب دولته وامتحنا بالاعتقال والترقيب والاعرام الفادح والاستتار وارزمت الفتنة وألقت باعها وعمت الناس وخصتنا الى ان توفي ابي الوزير رحمه الله ونحن في هذه الاحوال بعد العصر يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة عام اثنتين واربعمائة واتصلت بنا تلك الحال بعده الى ان كانت عندنا جنازه لبعض اهلنا فرأيتها — وقد ارتفعت الواعية (٢) — قائمة في المأتم وسط النساء في جملة البواكي والنوادر فلقد اثارت وجداً دفيناً وحركت ساكناً وذكرتي عهداً قديماً وجباً تليداً ودهراً ماضياً وزمناً عافياً وشهوراً خوالي واخباراً بوالي ودهوراً فواني وايماناً قد ذهبت وآثاراً قد دثرت ، وجددت احزاني وهيجت بلايلي على اني كنت في ذلك النهار مرزءاً مصاباً من وجوه وما كنت نسيبت ولكن زاد الشجي وتوقدت اللوعة وتأكد الحزن وتضاعف الاسف واستجلب الوجد ما كان منه كامناً فلباه مجيباً فقلت قطعة منها :

بيكي لميت مات وهو مكرم وللحي أولى بالدموع الذوارف
فيا عجيباً من آسف لامرء نوى وما هو للمقتول ظمأً بأسف

ثم ضرب الدهر ضربانه واجلينا عن منازلنا وتغلب علينا جند البربر فخرجت عن قرطبة اول المحرم سنة اربع واربعمائة وغابت عن بصرى بعد تلك الرؤية

(١) لعل الصواب : المحدث (١) الواعية : الصراخ والصوت « قاموس »

الواحدة ستة اعرام واكثر ثم دخلت قرطبة في شوال سنة تسع واربعماية
هزلات على بعض نساءنا فرأيتها هنالك وما كدت ان اميزها حتى قيل لي هذه
فلانة وقد تغير اكثر محاسنها وذهبت نضارتها وفيت تلك البهجة وغاض
ذلك الماء الذي كان يرى كالسيف الصمائل والمرآة الهذبية وذبل ذلك النوار (١)
الذي كان البصر يقصد نحوه متبوراً (٢) ورتاد فيه متخيراً وينصرف عنه متحيراً فلم
يبق الا البعض النبي عن الكل والخبر المخبر عن الجميع وذلك لقله اهتبالها
بنفسها وعدمها الصيانة التي كانت غذبت بها ايام دولتنا وامتداد ظلنا ولتبدلها
في الخروج فيما لا بد لها منه مما كانت تصان وترفع عنه قبل ذلك وانما النساء
رياحين متى لم تتعاهد نقصت وبنة متى لم يهتبل بها استهدمت ولذلك قال من
قال ان حسن الرجال اصدق صدقاً واثبت اصلاً واعتق جودة لصره على ما
لو اتى بهضه وجوه النساء لتغيرت اشد التغير مثل الهجير والسموم والرياح
واختلاف الهواء وعدم الكن واني لو نلت منها اقل وصل وأنست لي بعض
الانس لحطأت طرباً اولت فرحاً ولكن هذا النفار الذي صبرني وأسلاني
وهذا الرجح من اسباب السلو صاحبه في كلا الوجهين معذور وغير ملوم اذ
لم يقع تثبت يوجب الوفاء ولا عهد يقتضي المحافظة ولا سلف ذمام ولا فرط
تصادق يلام على تضييعه ونسيانه

ومنها جناء يكون من المحبوب فاذا أفرط فيه وأسرف وصادف من المحب
نفساً لها بعض الانفة والعزة تسلى واذا كان الجفاء يسيراً منقطعاً او دائماً او
كبيراً منقطعاً احتمل وأغضى عليه حتى اذا كثر ودام فلا بقاء عليه ولا يلام
الناسي لمن يجب في مثل هذا

ومنها الغدر وهو الذي لا يحتمله احد ولا يفضي عليه كريم وهو المسلاة

(١) الوار كرم ان الزهر (٢) كذا في الاصل ولعل الصواب مبتاراً اي مختبراً

حقاً ولا يلام السالي عنه على اي وجه كان ناسياً او متصبراً بل اللأمة لاحتمة
لمن صبر عليه ولولا ان القلوب بيد مقلبيها لا اله الا هو ولا يكلف المرء صرف
قلبه ولا احالة استحسانه ولولا ذلك لقلت ان المتصبر في سلوه مع الغدر يكاد
ان يستحق الملامة والتعنيف ولا ادعى الى السلو عند الحر النفس وذوي الحفيظة
والسري السجاي من الغدر فما يصبر عليه الا ذني المرأة خسيس النفس نذل
الهمة ساقط الافقة وفي ذلك اقول قطعة منها :

هواك فلست اقربه غرور وانت لكل من يأتي سرير
وما ان تصبرين على حبيب فحولك منهم عدد كثير
فلو كنت الامير لما تعاطى لقاءك خوف جمعهم الامير
رأيتك كالاماني ماعلى من بلم بها ولو كثروا غرور
ولاعنها لمن يأتي دفاع ولو حشد الانام لهم نفير

ثم سبب ثامن وهو لا من الحب ولا من المحبوب ولكن من الله تعالى
وهو اليأس وفروعه ثلاثة إما موت وإما بين لا يرجى معه أوبة وإما عرض يدخل
على المتحايين بعة الحب التي من أجلها وثق المحبوب فيغيرها وكل هذه الوجوه
من أسباب السلو والتصبر وعلى الحب الناسي في هذا الوجه المقسم الى هذه
الاقسام الثلاثة من الغضاضة والذم واستحقاق اسم اللوم والغدر غير قليل وان
ليأس لعملاً في النفوس عجيباً وثليجاً لحر الاكباد كبيراً وكل هذه الوجوه
المذكورة اولاً وآخرها فالتأني فيها واجب والتربص على اهلها حسن فيما يمكن
فيه التأني ويصح لديه التربص فاذا انقطعت الاطماع وانحسنت الآمال فحينئذ
يقوم العذر وللشعراء فن من الشعر يذمون فيه الباكي على الدمن ويشنون على
المثابر على الذات وهذا يدخل في باب السلو ولقد اكثر الحسن بن هانيء
في هذا الباب وافتخر به وهو كثيراً ما يصف نفسه بالغدر الصريح في اشعاره
تحكماً بلسانه واقتداراً على القول وفي مثل هذا اقول شعراً منه :

خل هذا وبادر الدهر وارحل في رياض الربى مطي القفار (١)
واحدھا بالبدیع من نغات الـ عود ككيا تحت بالزمار
ان خيراً من الوقوف على الدار وقوف البنان بالاوتار
وبدا النرجس البديع كصب حائر الطرف مائلاً كالمدار
لونه لون عاشق مستهام وهو لاشك هائم بالهار
ومعاذ الله ان يكون نسيان مدارس لنا طبعاً ومعصية الله بشرب الراح لنا
خلقاً وكساد الهمّة لنا صفة ولكن حسبنا قول الله تعالى ومن اصدق من الله
قيلاً في الشعراء (ألم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون)
فهذه شهادة الله العزيز الجبار لهم ولكن شذوذ القائل للشعر عن مرتبة الشعر
خطأ وكان سبب هذه الايات ان ضنا العامرية احدى كرائم المظفر عبد الملك
ابن ابى عامر كلقتي صنعتها فاجبتها وكنت اجلها ولها فيها صنعة في طريقة
التشيد والبسيط رائقة جداً ولقد انشدتها بعض اخواني من اهل الادب فقال
سروراً بها «يجب ان توضع هذه في جملة عجائب الدنيا»
فجميع فصول هذا الباب كما ترى ثمانية : منها ثلاثة هي من الحب «اثنان
منها» يذم السالي فيهما على كل وجه وهما الملل والاستبدال «واحد منها» يذم
السالي فيه ولا يذم المتصبر وهو الحياء كما قدمنا . واربعة من المحبوب منها واحد
يذم الناسي فيه ولا يذم المتصبر وهو الهجر الدائم . وثلاثة لا يذم السالي فيها
على اي وجه كان ناسياً او متصبراً وهي النفار والجفاء والغدر ووجه ثامن وهو
من قبل الله عز وجل وهو اليأس اما يموت او بين او آفة ترمز والمتصبر في
هذه معذور

(١) لعل الصواب «العقار» بمعنى الحُر كما يدل عليه اعتذاره بعد بقوله :
«ومعصية الله بشرب الراح» الخ...

وعني اخبرك اني جبلت على طبيعتين لايهني معهما عيش ابداً واني لا برم
بحياتي باجتماعهما واود التثب من نفسي احياناً لاقد ما أنا بسبيه من النكد
من اجلهما وهما : وفاء لايشوبه تلون قد استوت فيه الحضرة والمغيب والباطن
والظاهر تولده الالفة التي لم تعزف بها نفسي عما دريته ولا تتطلع الى عدم من
صحبته . وعزة نفس لا تنقر على الضيم مهتمة لاقل مايرد عليها من تغير المعارف
مؤثرة للمرت عليه فكل واحدة من هاتين السجيتين تدعو الى نفسها واني
لاجفي فاحتمل واستعمل الاناة الطويلة والتلوم الذي لا يكاد يطيقه احد فاذا
افرط الامر وحيت نفسي تصبرت وفي القلب ما فيه وفي ذلك اقول قطعة منها :

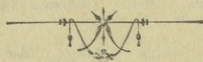
لي خلتان اذاقاني الاسى جرماً ونفصا عيشتي واستهلكا جلدي

كلماتهما تطيبنني نحو جبلتها كالصيد ينشب بين الذئب والاسد

وفاء صدق فما فارقت ذا مقمة فزال حزني عليه آخر الابد

وعزة لا يحل الضيم ساحتها صرامة فيه بالاموال والولد

ومما يشبه مانحن فيه وان كان ليس منه ان رجلاً من اخواني كنت حالته
من نفسي محلها واسقطت المؤونة بيني وبينه واعدته ذخراً وكثراً وكان كثير
السمع من كل قائل فدب ذو النيمة بيني وبينه فحاكوا فيه وانجح سعيهم عنده
فانقبض عما كنت اعده فتربصت عليه مدة في مثلها أوب الغائب ورضى العاتب
فلم يزد الا انقباضاً فتركته وحاله



﴿ باب الموت ﴾

وربما تزايد الامر ورق الطبع وعظم الاشفاق فكان سبباً للموت ومفارقة الدنيا وقد جاء في الآثار (من عشق فعف فمات فهو شهيد) وفي ذلك اقول قطعة منها :

فان أهلك هوى أهلك شهيداً وان تمنى بقيت قرير عين
روى لنا هذا قوم ثقات ثووا بالصدق عن جرح ومين

ولقد حدثني ابو السرى عمار بن زياد صاحبنا عن يثقب به ان الكاتب ابن قزمان امتحن بمحنة أسلم بن عبد العزيز اخي الحاجب هاشم بن عبد العزيز وكان أسلم غاية في الجمال حتى اضجعه لما به ووقعه في اسباب المنية وكان أسلم كثير الامام به والزيارة له ولاعلم له بانه اصل دائه الى ان توفي اسفاً ودنفاً قال المخبر فاخبرت أسلم بعد وفاته بسبب علته وموته فتأسف وقال هلا اعلمتني فقلت ولم قال كنت والله ازيد في صلاته وما اكاد افارقه فما علي في ذلك ضرر وكان أسلم هذا من اهل الادب البارع والتميز مع حظ من الفقه وافر وذا بصارة في الشعر وله شعر جيد وله معرفة بالاغاني وتصرفها وهو صاحب تأليف في طرائق غناء زرياب واخباره وهو ديوان عجيب جداً وكان احسن الناس خلقاً وخلقاً وهو والد ابي الجعد الذي كان ساكناً بالجانب الغربي من قرطبة

وانا اعلم جارية كانت لبعض الرؤساء فعزف عنها شيء باغى في جهتها لم يكن يوجب السخط فباعها فجزعت لذلك جزعاً شديداً وما فارقتها التحول والاسف ولابان عن عينها الدمع الى ان سلت وكان ذلك سبب موتها ولم تعش بعد خروجها عنه الا اشهرأ ليست بالكثيرة . ولقد اخبرتي عنها امرأة اثق بها أنها لقيتها وهي قد صارت كالخيال نحولا ورقة فقالت لها احسب هذا الذي

بك من محبتك لفلان فتفتست الصعداء وقالت والله لانسيته ابداً وان كان جفاني
بلا سبب وما عاشت بعد هذا القول الايسيراً

وانا اخبرك عن ابي بكر اخي رحمه الله وكان متزوجاً بعاتكة بنت قند صاحب
الثغر الاعلى ايلم المنصور ابي عامر محمد بن عامر وكانت التي لا مرمى وراءها
في جاهها وكريم خلاها ولاتأتي الدنيا بمثلها في فضائلها وكانا في حـد الصبي
وتمكن سلطانه . يفضب كل واحد منهما الكلمة التي لا قدر لها فكانا لم يزا
في تفاضب وتعاتب مدة ثمانية اعوام وكانت قد شفها حبه واضناها الوجد فيه
وانحلها شدة كلفها به حتى صارت كالخيال المتوسم دنفاً لايها من الدنيا شيء
ولانس من اموالها على عرضها وتكاثرها بقليل ولا كثير اذ فاتها اتفاقه معها
وسلامته لها الى ان توفي اخي رحمه الله في الطاعون الواقع بقرطبة في شهر
ذي القعدة سنة احدى واربعائة وهو ابن اثنين وعشرين سنة فما انفكت منذ
بان عنها من السقم الدخيل والمرض والذبول الى ان ماتت بعده بعام في اليوم
الذي اكمل هو فيه تحت الارض عاماً . ولقد اخبرتني عنها امها وجميع جواريتها
انها كانت تقول بعده ما يقوي صبري ويمسك رمقي في الدنيا ساعة واحدة بعد
وفاته الا سروري وتيقني انه لا يضمنه وامراً مضجع ابداً فقد امنت هذا الذي
ما كنت اتخوف غيره واعظم آمالي اليوم الاحاق به . ولم يكن له قبلها ولا
معها امرأة غيرها وهي كذلك لم يكن لها غيره فكان كما قدرت غفر الله لها
ورضي عنها

واما خبر صاحبنا ابي عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن الحسين التميمي
المعروف بابن الطنبى فانه كان رحمه الله كأنه قد خلق الحسن على مثاله او خلق
من نفس كل من رآه (١) لم اشهد له مثلاً حسناً وجمالاً وخلقاً وعفة وتصاوفاً

(١) فيه اشارة الى قول الشاعر :

كأنك من كل النفوس مكون فانت الى كل النفوس حبيب

وإدباً وفهماً وحلماً ووفاءً وسؤدداً وطهارةً وكرماً ودمانةً وحلاوةً ولباقةً وأعضاء
وعقلاً ومرؤةً ودينياً ودرايةً وحفظاً للقرآن والحديث والنحو واللغة وشاعراً مقلقاً
وحسن الخط وبلغاً مفنناً مع حظ صالح من الكلام والجدل وكان من غلمان
أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي استاذي في هذا الشأن وكان بينه
وبين أبيه اثنا عشر عاماً في السن وكنت أنا وهو متقاربين في الاسنان وكنا
ألفين لانفترق، وخذنين لايجري الماء بيننا صفاء الى ان لقت الفتنة جراتها
وارخت عز اليها ووقع اتها ب جند البربر منازلنا في الجانب الغربي بقرطبة وتزولهم
فيها وكان مسكن أبي عبد الله في الجانب الشرقي ببلاط مغيت وتقلب في الامور
الى الخروج عن قرطبة وسكني مدينة المرية فكنا تهادي النظم والنثر كثيراً
وأخر ما خاطبني به رسالة في درجتها هذه الايات :

ليت شعري عن جبل ودك هل يـ سي جديداً لدي غير ريث
وأراني أرى حياك يوماً وأناجيك في بلاط مغيت
فلو ان الديار ينهضها الشو ق أذاك البلاط كالمستغيث
ولو ان القلوب تستطيع سيراً سار قلبي اليك سير الخيت
كن كما شئت لي فاني محب ليس لي غير ذكركم من حديث
لك عندي وان تناسيت عهداً في صميم الفؤاد غير نكيت

فكنا على ذلك الى ان انقطعت دولة بني مروان وقتل سليمان الظافر امير
المؤمنين وظهرت دولة الطالبية وبويع علي بن حمود الحسني المسمى بالناصر
بالخلافة وتغلب على قرطبة وتملكها واستمر في قتاله اياها بجيوش المتغلبين والثوار
في اقطار الاندلس وفي اثر ذلك نكبتني خيران صاحب المرية اذ نقل اليه من لم
يتق الله عز وجل من البايعين — وقد انتقم الله منهم عني وعن محمد ابن اسحق
صاحبي — انا نسعى في القيام بدعوة الدولة الاموية فاعتقلنا عند نفسه اشهرأ ثم
اخرجنا على جهة التغريب فصرنا الى حصن القصر ولقينا صاحبه ابو القاسم

عبد الله بن هذيل التجيبي المعروف بابن المقل فاقنا عنده شهوراً في خير دار
اقامة وبين خير اهل وجيران وعند اجل الناس همة واكملهم معروفاً واتمهم
سيادة ثم ركبنا البحر قاصدين بلبسية عند ظهور امير المؤمنين المرتضى عبد
الرحمن بن محمد وسكناه بها فوجدت بلبسية ابا شاكر عبد الرحمن بن محمد ابن
موهب العبدي صديقنا فعنى الي ابا عبد الله بن الطنبى واخبرني بموته رحمه الله
ثم اخبرني بعد ذلك بمديدة القاضي ابو الوليد يونس بن محمد المرادي وابو عمرو
احمد بن محرز ان ابا بكر المصعب بن عبد الله الازدي المعروف بابن الفرزي
حدثهما وكان والد المصعب هذا قاضي بلبسية ايام امير المؤمنين المهدي وكان
المصعب لنا صديقاً وأخاً واليفاً ايام طلبنا الحديث على والده وسأر شيوخ المحدثين
بقرطبة ، قالوا : قال لنا المصعب سألت ابا عبد الله بن الطنبى عن سبب علته
وهو قد نحل وخفيت محاسن وجهه بالضى فلم يبق الا عين جوهرها الخبير عن
صفاتها السالفة وصار يكاد ان يطيره النفس وقرب من الانحاء والشجا باد على
وجهه ونحن منفردان فقال لي نعم اخبرك اني كنت على باب داري بقديد الشمس
في حين دخول علي بن حمود قرطبة والجيوش واردة عليها من الجهات تتسارب
فرايت في جملتهم فتى لم أقدر ان للحسن صورة قائمة حتى رأيته فغلب على عقلي
وهام به لي فسألت عنه ف قيل لي هذا فلان ابن فلان من سكان جهة كذا
ناحية قاضية عن قرطبة بعيدة المأخذ فيئت عن (١) رؤيته بعد ذلك ولعمري
يا أبا بكر لا فارقتي حبه او يوردني رمسي فكان كذلك وانا اعرف ذلك الفتى
وادريه وقد رأيته لكني اضربت عن اسمه لانه قد مات والتقى كلاهما عند الله
عز وجل عفا الله عن الجميع هذا على ان ابا عبد الله اكرم الله نزله ممن لم
يكن له وله قط ولا فارق الطريقة المثلى ولا وطيء حراماً قط ولا قارف مسكراً
ولا اتى منهاً عنه يخل بدنيه ومرؤته ولا قارض من جفا عليه وما كان في طبقنا

مثله ثم دخلت انا قرطبة في خلافة القاسم بن حمود المأمون فلم اقدم شيئاً على
 قصد ابي عمرو القاسم بن يحيى التميمي اخي عبد الله رحمه الله فسألته عن حاله
 وعزيمته عن اخيه وما كان اولى بالتعزية عنه مني ثم سألته عن اشعاره ورسائله
 اذ كان الذي عندي منه قد ذهب بالنهب في السبب الذي ذكرته في صدر هذه
 الحكاية فاخبرني عنه انه لما قربت وفاته وايقن بحضور المنية ولم يشك في الموت
 دعا بجميع شعره وبكتي التي كنت خاطبته انا بها فقطعتها كلها ثم امر بدفنها
 قال ابو عمرو فقلت له يا اخي دعها تبقى فقال اني اقطعها وانا ادري اني اقطع
 فيها ادباً كثيراً ولكن لو كان ابو محمد يعني حاضراً لدفعها اليه تكون
 عنده تذكرة لمودتي ولكني لا اعلم اي البلاد اضمرته ولا أخي هو ام ميت
 وكانت نكبتني اتصلت به ولم يعلم مستقري ولا الى ما آل امري فن مراني له
 قصيدة منها :

لئن سترتك بطون اللجود فوجدي بعدك لا يستتر
 قصدت ديارك قصد المشوق وللدهر فينا كروور وممر
 فألفيتها منك قفراً خلاء فاسكبت عيني عليك العبر

وحدثني ابو القاسم الهمداني رحمه الله قال كان معنا ببغداد (١) اخ لعبد الله ابن
 يحيى بن احمد بن دحون الفقيه الذي عليه مدار الفتياء بقرطبة وكان اعلم من
 اخيه واجل مقداراً ما كان في اصحابنا ببغداد مثله وانه اجتاز يوماً بدراب قطنه
 في زقاق لا ينفذ فدخل فيه فرأى في اقاصه جارية واقفة مكشوفة الوجه فقالت
 له يا هذا ان الدرب لا ينفذ قال فنظر اليها فهمام بها قال وانصرف الينا فترأى عليه
 امرها وخشي الفتنة فخرج الى البصرة فمات بها عشقاً رحمه الله وكان فيما
 ذكر من الصالحين

(١) في المختار: (بغداد) (وبغداد) (وبغدان)

(حكاية) لم ازل اسمعها عن بعض ملوك البرابر ان رجلاً اندلسياً باع جارية كان يجد بها وجداً شديداً لفاقة اصابته من رجل من اهل ذلك البلد ولم يظن بائعها ان نفسه تتبعها ذلك التبع فلما حصلت عند المشتري كادت نفس الاندلسي تخرج فأتى الى الذي ابتاعها منه وحكمه في ماله اجمع وفي نفسه فأبى عليه فتحمل عليه باهل البلد فلم يسعف منهم احد فكاد عقله ان يذهب ورأى ان يتصدى الى الملك فتعرض له وصاح فسمعه فامر بادخاله والملك قاعد في عليّة له مشرفة عالية فوصل اليه فلما مثل بين يديه اخبره بقصته واسترحه وتضرع اليه فرق له الملك فأمر باحضار الرجل المتباع فحضر فقال له هذا رجل غريب وهو كما تراه وانا شفيعه اليك فأبى المتباع وقال انا اشد حياءً لها منه واخشى ان صرفتها اليه ان استغيت بك غداً وانا في اسوأ من حالته فرام به الملك ومن حواله في اموالهم فأبى ورجع واعتذر بمحبته لها فلما طال المجلس ولم يروا منه البتة جنوحاً الى الاسعاف قال للاندلسي يا هذا مالك بيدي اكثر مما ترى وقد جهدت لك بأبلغ سعي وهو تراه يعتذر بانه فيها احب منك وانه يخشى على نفسه شراً مما انت فيه فاصبر لما قضى الله عليك فقال له الاندلسي فإلى بيدك حيلة قال له وهل هاهنا غير الرغبة والبذل ما استطيع لك اكثر فلما يؤس الاندلسي منها جمع يديه ورجليه وانصب من اعلى العلية الى الارض فارتاع الملك وصرخ فابتدر الغلمان من اسفل فقضى انه لم يتأذى في ذلك الوقوع كبير أذى فصعد به الى الملك فقال له ماذا اردت بهذا فقال ايها الملك لاسبيل لي الى الحياة بعدها ثم هم ان يرمي نفسه ثانية فتمنع فقال الملك الله اكبر قد ظهر وجه الحكم في هذه المسألة ثم التفت الى المشتري فقال يا هذا انك ذكرت انك اود لها منه وتخاف ان تصير في مثل حاله فقال نعم قال فان صاحبك هذا ابدى عنوان محبته وقذف بنفسه يريد الموت لولا ان الله عز وجل وقاه فانت قم فصحيح حبك ورام من اعلى هذه القصة كما

فعل صاحبك فان مت فبأجلك وان عشت كنت اولى بالجارية اذ هي في يدك
ويتضي صاحبك عنك وان ابنت نزلت الجارية منك رغماً ودفعها اليه فتمنع ثم
قال أترامي فلما قرب من الباب ونظر الى الهوى تحته رجع التهمقري فقال له
الملك هو والله ماقلت فهم ثم نكل فلما لم يقدم قال له الملك لا تلاعب بنا
ياغلما نخذوا بيديه وارموا به الى الارض فلما رأى العزيمة قال ايها الملك قد
طابت نفسي بالجارية فقال له جزاك الله خيراً فاشتراها منه ودفعها الى بائعها
والنصرفا

﴿ باب قبض المعصية ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى وكثير من الناس يطيعون انفسهم ويعصون
عقولهم ويتبعون اهواءهم ويرفضون اديانهم ويتجنبون ما حض الله تعالى عليه
ورثه في الالباب السليمة من العنة وترك المعاصي ومقارعة الهوى ومخالفة الله
ربه ويوافقون ابليس فيما يحبه من الشهوة المعطية فيواقعون المعصية في حبه
وقد علمنا ان الله عز وجل ركب في الانسان طبيعتين متضادتين احدهما لاتشير
الا بخير ولا تحض الا على حسن ولا يتصور فيها الا كل امر مرضي وهي العقل
وقائده العدل والثانية ضد لها لاتشير الا الى الشهوات ولا تقود الا الى الردى
وهي النفس وقائدها الشهوة والله تعالى يقول ﴿ ان النفس لاأمارة بالسوء ﴾ وكى
بالقلب عن العقل فقال ﴿ ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو
شاهد ﴾ وقال تعالى ﴿ وحب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ﴾ وخاطب اولى
الالباب فهاتان الطبيعتان قطبان في الانسان وهما قوتان من قوى الجسد الفعال
يهما ومطرحان من مطارح شعاات هذين الجوهرين العجيين الرفيعين العلويين
خفي كل جسد منهما حظه على قدر مقابلته لهما في تقدير الواحد الصمد تقدست
اسماؤه حين خلقه وهياً . فهما يتقابلان ابدأ ويتنازعان دأباً فاذا غلب العقل

النفس ارتدع الانسان وقع عوارضه المدخولة واستضاء بنور الله واتبع العدل
واذا غلبت النفس العقيد عميت البصيرة ولم يصح الفرق بين الحسن والقبيح
وعظم الالتباس وتردى في هوة الردى ومهواة الهلكة وبهذا حسن الامر والنهي
ووجب الاكتمال وصح الثواب والعقاب واستحق الجزاء . والروح واصل بين هاتين
الطبيعتين وموصل ما بينهما وحامل الالتقاء بهما . وان الوقوف عند حد الطاعة
لمعدوم الامع طول الرياضة وصحة المعرفة ونفاذ التمييز ومع ذلك اجتناب التعرض
للفتن ومداخلة الناس جملة والجلوس في البيوت ، وبالجزا ان تقع السلامة المضمونة
او يكون الرجل حصوراً لا ارب له في النساء ولا جارحة له تعينه عليهن قديماً
وورد ﴿ من وقى شر لقلقه وقببه وذنبه فقد وقى شر الدنيا بحذايها ﴾ .
واللقلق السان والقبب البطن والذنب الفرج ولقد اخبرني ابو حفص الكاتب
هو من ولد روح بن زبناع الجذامي انه سمع بعض المتسمين باسم الفقه من اهل
الرواية المشاهير وقد سئل عن هذا الحديث فقال القببة البطيخ . وحدثننا احمد
ابن محمد بن احمد ، ثنا وهب بن مسرة ومحمد بن ابي دايم عن محمد بن واضح
عن يحيى بن يحيى عن مالك بن انس عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث طويل ﴿ من وقاه الله شر اثنتين
دخل الجنة ﴾ فسئل عن ذلك فقال ﴿ ما بين لحيه وما بين رجليه ﴾ واني لاسمع
كثيراً ممن يقول : الوفاء في قعر الشهوات في الرجال دون النساء فاطيل العجب
من ذلك وان لي قولاً لا احول عنه : الرجال والنساء في الجنوح الى هذين
الشيئين سواء ومارجل عرضت له امرأة جميلة بالحلب وطال ذلك ولم يكن ثم من
مانع الا وقع في شرك الشيطان واستهوته المعاصي واستغزه الحرص وتغوله الطمع
وما امرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة الا وأمكنته حتماً مقضياً وحكماً نافذاً
لا يحيد عنه البتة

ولقد اخبرني ثقة صدق من اخواني من اهل التمام في الفقه والكلام والمعرفة

وذو صلابة في دينه انه احب جارية نبيلة ادية ذات جمال بارع قال فعرضت لها فنفرت ثم عرضت فأبّت فلم يزل الامر يطول وحبها يزيد وهي مما لا تطيع البتة الى ان حملني فرط حي لها مع عمي الصبي على ان نذرت اني متى نلت منها مرادي ان اتوب الى الله توبة صادقة قال فما مرت الايام والليالي حتى اذعنت بعد شماس ونفار فقلت له ابا فلان وفيت بعهذك فقال اي والله فضحكت وذكرته بهذه الفعلة ما لم يزل يتداول اسماعنا من ان في بلاد البربر التي تتجاوز اندلسنا يتوب (١) الفاسق على انه اذا قضى وطره ممن اراد ان يتوب الى الله، فلا يمنع من ذلك وينكرون على من تعرض له بكلمة ويقولون له أتحرم رجلاً مسلماً التوبة. قال ولهدي بها تبكي وتقول والله لقد بلغتني مبلغاً ما خطر قط لي ببال ولا قدرت ان اجيب اليه احداً. ولست ابعد ان يكون الصلاح في الرجال والنساء موجوداً واعوذ بالله ان اظن غير هذا واني رأيت الناس يغفلون في معنى هذه الكلمة اعني الصلاح غلطاً بعيداً والصحيح في حقيقة تفسيرها ان الصالحة من النساء هي التي اذا ضبطت انضبطت واذا قطعت عنها الذرائع امسكت والفاصلة هي التي اذا ضبطت لم تنضبط واذا حيل بينها وبين الاسباب التي تسهل الفواحش تحيلت في ان تتوصل اليها بضروب من الحيل. والصالح من الرجال من لا يداخل اهل الفسوق ولا يتعرض من المناظرة الجالبة للاهواء ولا يرفع طرفه الى الصور البديعة التركيب والفاسق من يعاشر اهل النقص وينشر بصره الى الوجوه البديعة الصنعة ويتصدى للمشاهد المؤذية ويحب الخلوات المهلكات. والصالحان من الرجال والنساء كالنار الكامنة في الرماد لا تحرق من جاورها الا بان تحرك والفاسقان كالنار المشتعلة تحرق كل شيء. واما امرأة مهملة ورجل متعرض فقد هلكا وتلفا. ولهذا حرم على المسلم الالتذاذ بسماع

(١) لعلها (يتعهد) او مافي معناها

نعمة امرأة اجنبية وقد جمعت النظرة الاولى لك والاخرى عليك . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تأمل امرأة وهو صائم حتى يرى حجب عظامها فقد افطر) وان في ماورد من النهي عن الهوى بنص التنزيل لشيئا مقنعاً وفي ايقاع هذه الكلمة اعني الهوى اسماً على معان واشتقاقها عند العرب وذلك دليل على ميل النفوس وهويها الى هذه المقامات . وان التمسك عنها مقارع لنفسه محارب لها

وشيء اصفه لك تراه عياناً وهو اني مارأيت قط امرأة في مكان تحس ان رجلاً يراها او يسمع حسها الا وحدثت حركة فاضلة كانت عنها بمنزل واثت بكلام زائد كانت عنه في غيبة ، مخالفين لسلامها وحركتها قبل ذلك . ورأيت اتهم لمخارج لفظها وهشة قلبها لالتحاً فيها ظاهراً عليها لاختفاء به . والرجال كذلك اذا احسوا بالنساء . واما اظهار الزينة وترتيب المشي وايقاع المزح عند خطور المرأة بالرجل واجتياز الرجل بالمرأة فهذا اشهر من الشمس في كل مكان والله عز وجل يقول (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم) وقال تقدست اسماءه (ولا يضرين بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) فلو لا علم الله عز وجل برقة اغماضهن في السعي لا يصل جهن الى القلوب ولطف كيدهن في التحيل لاستجلاب الهوى لما كشف الله عن هذا المعنى البعيد الغامض الذي ليس وراءه مرمى وهذا حد التعرض فكيف بما دونه

ولقد اطلعت من سر معتقد الرجال والنساء في هذا على امر عظيم واصل ذلك اني لم احسن قط باحد ظناً في هذا الشأن مع غيرة شديدة ركبت في . وحدثنا ابو عمرو احمد بن محمد بن احمد ، ثنا احمد ، ثنا محمد بن علي ابن رفاعه ، حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا ابو عبيد القاسم بن سلام عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الغيرة من الايمان) فلم ازل باحثاً عن اخبارهن كاشفاً عن اسرارهن وكن قد أنسن مني بكتبان فكان يطلعتني

لله الرجل يقبل في شئ وهو صائم في صوم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان له غيرة من امر الله فليتها مقتداً

على غوامض امورهن ولولا ان اكون منبهاً على عورات يستعاذ بالله منها لاوردت
 من تنبهن في الشر ومكرهن فيه عجائب تذهل الالباء
 واني لاعرف هذا واتفقه ومع هذا يعلم الله وكفى به عليهما اني بريء الساحة
 سليم الاديم صحيح البشرة بقي الحجرة واني اقسم بالله اجل الاقسام اني ما حلت
 مئزري على فرج حرام قط ولا يحاسبني ربي بكيرة الزنا مذ عقلت الى يومي هذا
 والله الحمد على ذلك والمشكور فيما مضى والمستصم فيما بقي
 حدثنا القاضي ابو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حجاج
 المعافري — وانه لافضل قاض رأيته — عن محمد بن ابراهيم الطليطلي عن
 القاضي بمصر بكر بن العلاء في قول الله عز وجل (وأما بنعمة ربك فحدث)
 ان لبعض المتقدمين فيه قولاً وهو ان المسلم يكون مخبراً عن نفسه بما انتم الله
 تعالى به عليه من طاعة ربه التي هي من اعظم النعم ولا سيما في المقترض على
 المسلمين اجتنبه واتباعه وكان السبب فيما ذكرته اني كنت وقت تأجيج نار
 الصبي وشرة الحدائة ونمكس غرارة التتوة مقصوراً محظراً على بين رقباء
 ورقائب، فلما ملكت نفسي وعقلت صحبت ابا علي الحسين بن علي الفاسي في
 مجلس ابا القاسم عبد الرحمن بن ابي يزيد الازدي شيخنا واستاذي رضي الله
 عنه وكان ابو علي المذكور عاقلاً عاملاً عالماً ممن تقدم في الصلاح والنسك
 الصحيح في الزهد في الدنيا والاجتهاد للآخرة واحسبه كان حضوراً لانه لم
 تكن له امرأة قط ومارأت مثله جملة علماء وعملاً ودينياً وورعاً فنفخني الله به كثيراً
 وعلمت موقع الاساءة وقبح المعاصي . ومات ابو علي رحمه الله في طريق الحج
 ولقد ضمني المبيت ليلة في بعض الازمان عند امرأة من بعض معارفي مشهورة
 بالصلاح والخير والحزم ومعها جارية من بعض قراباتنا من اللاتي قد ضمها معي
 النشأة في الصبي ثم غبت عنها اعواماً كثيرة . وكنت تركتها حين اعصرت (١)

(١) في الاصل « اعمرت » والصواب ما صححناه

ووجدتها قد جرى على وجهها ماء الشباب ففاض وانساب وتفجرت عليها ينابيع
الملاحة فترددت وتحيرت ، وطلعت في سماء وجهها نجوم الحسن فاشرقت وتوقدت
وانبعثت في خديها ازاهير الجمال فتمت واعتمت فانت كما اقول :

خريدة صاغها الرحمن من نور جلت ملاحظتها عن كل تقدير
لوجاءني عملي في حسن صورتها يوم الحساب ويوم النفخ في الصور
لكننت أحظى عباد الله كلهم بالجتين وقرب الحرد الحور

وكانت من اهل بيت صباحة وقد ظهرت منها صورة تعجز الوصاف ، وقد
طبق وصف شبابها قرطبة فبت عندها ثلاث ليال متوالية ولم تحجب عني على
جاري العادة في التربية فلعمري لقد كاد قلبي ان يصبو ويشوب اليه مرفوض
الهُوى ويعاوده منسي الغزل ولقد امتنعت بعد ذلك من دخول تلك الدار خوفاً
على لبي ان يزدهيه الاستحسان . ولقد كانت هي وجميع اهلها ممن لاتعدى
الاطاع اليهن ولكن الشيطان غير مأمون الغوائل وفي ذلك اقول :

لاتتبع النفس الهوى ودع التعرض للمحن
ابليس حي لم يمت والعين باب للفتن

واقول :

وقائل لي هذا ظن يريدك غيا
فقلت دع عنك لومي أليس ابليس حيا

وما اورد الله تعالى علينا من قصة يوسف بن يعقوب وداود بن ايشي رسل
الله عليهم السلام الا ليعلمنا نقصاننا وفاقتنا الى عصمته وان بنيتنا مدخولة ضعيفة
فاذا كانا صلى الله عليهما وهما نبيان رسولان ابناء انبياء رسل ومن اهل بيت
نبوة ورسالة متكررين في الحفظ مغموسين في الولاية محفوفين بالكلاءة مؤيدين
بالعصمة لايجعل للشيطان عليهما سبيل ولافتح لوسواسه نحوهما طريق وبلغا
حيث نص الله عز وجل علينا في قرآنه المنزل بالجلبة الموكلة والطبيع البشري

والخالقة الاصلية لا تعتمد الخطيئة ولا القصد اليها اذ النبيون مبرؤون من كل ما خالف طاعة الله عز وجل لكنه استحسان طبعي في النفس للصور فمن ذا الذي يصف نفسه بملكها ويتعاطى ضبطها الا بحول الله وقوته. واول دم سفك في الارض قدم احد ابني آدم على سبب المنافسة في النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿ باعدوا بين انفس الرجال والنساء ﴾ وهذه امرأة من العرب تقول وقد حبلت من ذي قرابة لها حين سئلت : ما يبطنك ياهند فقالت قرب الوساد وطول السواد . وفي ذلك اقول شعراً منه :

لا تلم من عرض النفس لما ليس يرضى غيره عند الحن
لا تقرب عرجاً من هب ومتى قربته قامت دخن
لا تصرف ثقة في احد فسد الناس جميعاً والزمن
خلق النسوان للفحل كما خلق الفحل بلا شك لهن
كل شكل يشبه شكله لا تكن عن احد تنفي الظن
صفة الصالح من ان صنته عن قبيح اظهر الطوع الحسن
وسواه من اذا تفقته اعمل الحيلة في خلع الرسن

واني لاعلم فتى من اهل الصيانة قد اولع بهوى له فاجتاز بعض اخوانه فوجده قاعداً مع من كان يحب فاستجلبه الى منزله فاجابه الى منزله بامتنال المسير بعده فمضى داعيه الى منزله وانتظره حتى طال عليه التربص فلم يأتها فلما كان بعد ذلك اجتمع به داعيه فعدد عليه واطال لومه على اخلافه موعدة فاعتذر ووري فقلت انا للذي دعاه انا اكشف عذره صحيحاً من كتاب الله عز وجل اذ يقول ﴿ ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكننا حملنا اوزاراً من زينة القوم ﴾ . فضحك من حضر وكلفت ان اقول في ذلك شيئاً فقلت :

وجرحك لي جرح جبار فلا تلم ولكن جرح الحب غير جبار
وقد صارت الحيلان وسط بياضه كنيلوفر حفته روض بهار

وكم قال لي من مت وجداً بحبه مقالة محلول المقالة زاري
وقد كثرت مني اليه مطالب ألح عليه تارة وأداري
أما في التوائى ما يبرد غلة ويذهب شوقاً في ضلوعك ساري
فقلت له لو كان ذلك لم تكن عداوة جار في الانام لجار
وقد تراءى العسكران لدى الوغى وبينهما للموت سبل بوار
ولي كتمان قلتها معرضاً بل مصرحاً من اصحابنا كنا نعرفه كئنا من
اهل الطب والنهاية والورع وقيام الليل واقتفاء آثار النساك وسلوك مذهب
المتصوفين القدماء باحثاً مجتهداً ولقد كنا تتجنب المزاح بحضرته فلم يمض الزمن
حتى مكن الشيطان من نفسه وفتك بعد لباس النساك وملك ابليس من خطامه
فسول له الغرور وزين له الويل والثبور وأجره رسنه بعد اباء واعطاء ناصيته
بعد شماس فخب في طاعته واوضع واشهر بعد ما ذكرته في بعض المعاصي القبيحة
الوضرة ولقد اطلت ملامه وتشددت في عدله اذ اعلن باللعصية بعد استتار الى
ان افسد ذلك ضميره علي وخبت نيته لي وتربص في الدوائر السوء وكان بعض
اصحابنا يساعده بالكلام استجراراً اليه فيأنس به ويظهر له عداوتي الى ان
اظهر الله سريره فعملها البادي والحاضر وسقط من عيون الناس كلهم بعد ان
كان مقصداً للعلماء ومتاباً للفضلاء ورذل عند اخوانه جملة اعاذنا الله من البلاء
وسترنا في كفايته ولا سلبننا ما بنا من نعمته فيأسؤناه لمن بدأ بالاستقامة ولم يعلم
ان الخذلان يحل به وان العصمة ستفارقه لا اله الا الله ما اشنع هذا واقطعه
لقد دهمته احدي بنات الحرس والقت عصاها به ام طبق من كان لله اولاً ثم
صار للشيطان آخراً ومن احدى الكلمتين :

اما الغلام فقد حانت فضيخته وانه كان مستوراً فقد هتكا
ما زال يضحك من اهل الهوى عجباً فالآن كل جهول منه قد ضحكا
اليك لا تلح صباً هائماً كلفاً يرى التهلك في دين الهوى نسكا

ذو مخبر وكتاب لا يفارقه نحو المحدث يسعي حيث ماساسكا
 فاعتاض من سمر أقلام بنان فتي كأنه من لجين صيغ او سبكا
 يا لأمي سقها في ذاك قل فلم تشهد جبينين يوم الملتقى اشتبكا
 دعني ووردي في الآبار اطلبه اليك عني كذا لا ابتغي البركا
 اذا تغففت عف الحب عنك وان توأكت يوماً فان الحب قد تركا
 ولا تحل من الهجران منعقداً الا اذا ما حلت الازر والتسككا
 ولا تصحح للسلطان مملكة او تدخل البرد عن انفاذه السككا
 ولا بغير كثير المسح يذهب ما يعلو الحديد من الاصداء ان سبكا

وكان هذا المذكور من اصحابنا قد احكم القراءات احكاماً جيداً واختصر
 كتاب الانباري في الوقف والابتداء اختصاراً حسناً اعجب به من رآه من
 المقرئين وكان دأباً على طلب الحديث وتقييده (واكثر ذهنه) هو المتولى لقراءة
 ما يسمعه على الشيوخ المحدثين مثابراً على النسخ مجتهداً به فلما امتحن بهذه
 البلية مع بعض الغلمان رفض ما كان معتقياً به وباع اكثر كتبه واستحال
 استحالة كلية نعوذ بالله من الخذلان وقلت فيه كلمة وهي التالية للكلمة التي
 ذكرت منها في اول خبره ثم تركتها وقد ذكر ابو الحسين احمد بن يحيى ابن
 اسحق الرويدي في كتاب اللفظ والاصلاح ان ابراهيم بن سيار النظام رأس
 المعتزلة مع علو طبقة في الكلام وتمكنه وتحكمه في المعرفة تسبب الى ما حرم
 الله عليه من فتي نصراني عشقه بان وضع له كتاباً في تفضيل التثليث على
 التوحيد فياغوته عياذك يارب من تولى الشيطان ووقع الخذلان وقد يعظم البلاء
 وتكلب الشهوة ويهون القبيح ويرق الدين حتى يرضى الانسان في جنب وصوله
 الى مراده بالقبائح والفضائح كمثله مادهم عبيد الله بن يحيى الازدي المعروف
 بابن الجزيري فانه رضي باهمال داره واباحة حريمه والتعريض بأهله طمعاً في الحصول
 على بغيته من فتي كان علقه نعوذ بالله من الضلال ونسأله الحيطة وتحسين آثارنا

واطابة اخبارنا حتى لقد صار المسكين حديثاً تعمر به المحافل وتصاغ فيه الاشعار وهو الذي تسميه العرب الديوث (وهو مشتق من التدِيث وهو التسهيل وما بعد تسهيل من تسمح نفسه بهذا الشأن تسهيل ومنه بعير مديث اي مذل) ولعمري ان الغيرة لتوجد في الحيوان بالحلقة فكيف وقد أكدتها عندنا الشريعة وما بعد هذا مصاب . ولقد كنت اعرف هذا المذكور مستوراً الى ان استهواه الشيطان ونعوذ بالله من الخذلان ، وفيه يقول عيسى بن محمد ابن حمحل الحولاني :

ياجاعلاً اخراج حر نسائه شركاً لصيد جآذر الغزلان
اني أرى شركاً يمزق ثم لا تحظى بغير مذلة الحرمان
واقول انا ايضاً :

أباح ابو مروان حر نسائه لسياغ مايهوى من الرشاء الفرد
فعاتبته الديوث في قبج فعله فأنشدني انشاد مستبصر جلد
لقد كنت ادركت المني غير أنني يعيرني قومي بادراكها وحدي
واقول ايضاً :

رأيت الجزيري فيما يعاني قليل الرشاد كثير السفاه
يبيع ويتاع عرضاً بعرض أمور وجدك ذات اشتباه
ويأخذ ميماً باعطاء هاء الا هكذا فليكن ذواتواهي
وبيدل ارضاً تغذي النبات بأرض تحف بشوك العضاء
لقدخاب في تجره ذو ابتناع مهب الرياح بمجرى المياه

ولقد سمعته في المسجد الجامع يستعيز بالله من العصمة كما يستعاذ به من الخذلان ومما يشبه هذا اني اذكر اني كنت في مجلس فيه اخوان لنا عند بعض مياسير اهل بلدنا فرأيت بين بعض من حضر وبين من كان بالحضرة ايضاً من اهل صاحب المجلس امرأ انكرته وغمزاً استبشعته وخلوات الحين بعد الحين

وصاحب المجلس كالغائب او النائم فنبهته بالتعريض فلم ينتبه وحر كته بالتصريح فلم يتحرك فجعلت اكرر عليه بيتين قديمين لعله يفطن وهما هذان :

ان اخوانه المقيمين بالأمم س اتوا للزناء لالغناء

قطعوا امرهم وانت حمار موقر من بلادة وعياء

واكثر من انشادهن حتى قال لي صاحب المجلس قد امللتنا من سماعها فتفضل بتركها او انشاد غيرها فامسكت وانا لا ادري أغافل هو ام متعافل وما اذكر اني عدت الى ذلك المجلس بعدها وقلت فيه قطعة منها :

انت لاشك احسن الناس ظناً ويقىناً ونية وضميراً

فانتبه ان بعض من كان بلام س جليساً لنا يعاني كبيراً

ليس كل الركوع فاعلم صلاة لا ولاكل ذي لحناظ بصيراً

وحدثني ثعلب بن موسى الكلاذاني قال حدثني سليمان بن احمد الشاعر قال حدثني امرأة اسمها هند كنت رأيتها في المشرق وكانت قد حجت خمس حجرات وهي من المتعبدات المجتهدات قال سليمان فقالت لي يا ابن اخي لاتحسن الظن بامرأة قط فاني اخبرك عن نفسي بما يعلمه الله عز وجل . ركبنا البحر منصرفاً من الحج وقد رفضت الدنيا وانا خامسة خمس نسوة كلهن قد حججن وصرنا في مركب في بحر القلزم (١) وان للشعراء من لطف التعريض عن الكناية لعجباً ومن بعض ذلك قولي حيث اقول :

أتاني وماء المزن في الجويسفك كمحض لجين اذ يمد ويسبك

هلال الدياجي انحط من جو افقه فقل في محب نال ما ليس يدرك

وكان الذي ان كنت لي عنه ساءلاً فمالي جواب غير اني أضحك

لفرط سروري خلتي عنه نائماً فيا عجيباً من موقن يتشكك

(١) ثم ذكرت قصة تحمل على اساءة الظن بالمرأة

واقول ايضاً قطعة منها :

أتيتي وهلال الجو مطلع قبيل قرع النصارى للنواقيس
كحاجب الشيخ عم الشيبا كثره وأخص الرجل في لطف وتقويس
ولاح في الافق قوس الله مكتسياً من كل لون كأذناب الطواويس

وان فيما يبدو اليانمان تعادي المتواصلين في غير ذات الله تعالى بعد الالفه وتدار بهم
بعد الوصال وتقاطعهم بعد المودة وتباغضهم بعد الحبة واستحكام الضغائن وتأكد
السحائم في صدورهم لكشفاً ناهياً لو صادف عقولا سليمة وآراء نافذة وعزائم
صحيحة فكيف بما اعد الله لمن عصاه من النكال الشديد يوم الحساب وفي دار الجزاء
ومن الكشف على رؤوس الخلائق ﴿ يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل
ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾
جعلنا الله ممن يفوز برضاه ويستحق رحمته ولقد رأيت امرأة كانت مودتها في
غير ذات الله عز وجل فمهدتها اصفى من الماء وألطف من الهواء واثبت من
الجمال وا أقوى من الحديد واشد امتزاجاً من اللون في الملون وانفذ استحكاماً
من الاعراض في الاجسام واضواً من الشمس واصح من العيان واثقب من
النجم واصدق من كدر القطا واعجب من الدهر واحسن من البر واجمل من
وجه ابى عامر والذ من العافية واحلى من المنى وادنى من النفس واقرب من
النسب وارسخ من النقش في الحجر ثم لم البت ان رأيت تلك المودة قد
استحالت عداوة افطع من الموت وانفذ من السهم وامر من السقم واوحش من
زوال النعم واقبح من حلول القمم وامضى من عقم الرياح واضر من اللحم
وادهى من غلبة العدو واشد من الاسر واقسى من الصخر وابغض من كشف
الاستار وانأى من الجوزاء واصعب من معاناة الساء واكبر من رؤية المصاب
واشنع من خرق العادات واقطع من فجأة البلاء وابشع من السم الزعاف وما
لا يتولد مثله عن الدخول والتراث وقتل الآباء وسبي الامهات وتلك عادة الله

في اهل الفسق القاصدين سواء الآمين غيره وذلك قوله عز وجل ﴿ يا ليتني لم اتخذ
فلاناً خليلاً لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ﴾ فيجب على اللبيب الاستجارة
بالله مما يورط فيه الهوى فهذا خلف مولى يوسف بن ققام القائد المشهور كان
احد القائمين مع هشام بن سليمان بن الناصر فلما اسر هشام وقتل وهرب الذين
وازره فر خلف في جملتهم ونجا فلما اتى التسطلات لم يطق الصبر عن جارية
كانت له بقرطبة ففكر راجعاً فظفر به امير المؤمنين المهدي فامر بصلبه فلعهدي
به مصلوباً في المرج على النهر الاعظم وكأنه القنفذ من النبل ولقد اخبرني ابو
بكر محمد بن الوزير عبد الرحمن بن الليث رحمه الله ان سبب هروبه الى محلة
البرابر ايام تحولهم مع سليمان الظافر انما كان لجارية يكلف بها تصيرت عند
بعض من كان في تلك الناحية ولقد كاد ان يتلف في تلك السفرة وهذان
الفصلان وان لم يكونا من جنس الباب فانهما شاهدان على مايقود اليه الهوى
من الهلاك الحاضر الظاهر الذي يستوي في فهمه العالم والجاهل فكيف من
العصمة التي لا يفهمها من ضعفت بصيرته ولا يقول امره خلوت فهو وان انفرد
فبمرأى ومسمع من علام الغيوب ﴿ الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ﴾
﴿ ويعلم السر وأخفى ﴾ ﴿ وما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو
سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم ايما كانوا وهو عليم بذات
الصدور ﴾ وهو عالم الغيب والشهادة ﴿ ويستخفون من الناس ولا يستخفون من الله
وهو معهم ﴾ وقال ﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد ﴾ وليعلم المستخف بالعاصي التشكل على التسويف المعرض
عن طاعة ربه ان ابليس كان في الجنة مع الملائكة المقربين فلمصية واحدة
وقعت منه استحق لعنة الابد وعذاب الجلد وصير شيطاناً رجياً وابعد عن رفيع
المكان وهذا آدم صلى الله عليه وسلم بذنب واحد اخرج من الجنة الى شقاء

الدنيا ونكدها ولولا انه تلقى من ربه كلمات وتاب عليه لكان من الهالكين
افتى هذا المغتر بالله ربه وبأملائه ليزداد إثمًا يظن انه اكرم على خالقه من ابيه
آدم الذي خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد لهم ملائكته الذين هم افضل
خلقه عنده او عقابه اعز عليه من عقوبته اياه ، كلا ولكن استعذاب التمني
واستيطاء مركب العجز وسخف الرأي قائدة اصحابها الى الوبال والحزي ولو
لم يكن عند ركوب المعصية زاجر من نهى الله تعالى ولا حام من غلظ عقابه
لكان في قبسح الاحدوثه عن صاحبه وعظيم الظلم الواقع في نفس فاعله اعظم
مانع واشد رادع لمن نظر بعين الحقيقة واتبع سبيل الرشd فكيف والله عز
وجل يقول ﴿ ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل
ذلك يلق اثمًا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانًا ﴾ حدثنا الهمداني
في مسجد القمري بالجانب الغربي من قرطبة سنة احدى واربعائة حدثنا ابن سبويه
وابو اسحق البلخي بخراسان سنة خمس وسبعين وثلاثمائة قالنا ثنا محمد بن
يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن الاعمش عن ابي
وائل عن عمرو بن شرحبيل قال قال عبد الله وهو ابن مسعود قال رجل
يارسول الله اي الذنب اكبر عند الله قال ﴿ ان تدعو لله نداً وهو خلقك قال
ثم اي قال ان تقتل ولدك ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزاني حليلة
جارك ﴾ فانزل الله تصديقها ﴿ والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ﴾ الآية . وقال عز وجل ﴿ الزانية والزاني
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم
تؤمنون بالله ﴾ الآية . حدثنا الهمداني عن ابي اسحق البلخي وابن سبويه عن
محمد بن يوسف عن محمد بن اسماعيل عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب
الزهري عن ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وسعيد بن المسيب
الحزوميين وابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) وبالسند المذكور الى محمد ابن اسماعيل عن يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن ابي سلمة وسعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال اتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فقال : ((يا رسول الله اني زنيت فاعرض عنه ثم رد عليه اربع مرات فلما شهد على نفسه اربع شهادات دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبلك جنون قال لا قال فهل احصنت قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذهبوا به فارجموه)) قال ابن شهاب فاخبرني من سمع جابر بن عبد الله قال كنت فيمن رجمه فرجمناه بالصلى فلما اذلقته الحجارة هرب فادركناه بالحرة فرجمناه حدثنا ابو سعيد مولى الحاجب جعفر في المسجد الجامع بقرطبة عن ابي بكر المقرئ عن ابي جعفر النحاس عن سعيد بن بشر عن عمار بن رافع عن منصور عن الحسن بن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ((خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد وتغريب سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرحم)) فبما اشعته ذنب انزل الله وحيه مبيناً بالتشهير بصاحبه والغف بفاعله والتشديد لمقترفه وتشد في ان لا يرحم الا بمحضرة اوليائه عقوبة رجمه وقد اجمع المسلمون اجماعاً لا ينقضه الا ما وجد أن الزاني المحصن عليه الرجم حتى يموت فيها قتلة ما اهو لها وعقوبة ما افظعها واشد عذابها وابعدها من الراحة وسرعة الموت وطوائف من اهل العلم منهم الحسن بن ابى الحسن وابن راهويه وداود واصحابه يرون عليه مع الرجم جلد مائة ويحتجون عليه بنص القرآن وثبات السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبفعل علي رضي الله عنه بانه رجم امرأة محصنة في الزنا بعد ان جلدتها مائة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله والقول بذلك لازم لاصحاب الشافعي لان زيادة العدل في الحديث مقبولة وقد صح في اجماع الامة المنقول بالكافة الذي يصحبه العمل عند كل فرقة وفي اهل

كل نحلة من نحل اهل القبلة حاشى طائفة يسيرة من الحوارج لا يعتد بهم انه لا ينحل دم امرئ مسلم الا بكفر بعد ايمان او نفس بنفس او بمحاربة لله ورسوله يشهر فيها سيفه ويسعى في الارض فساداً مقبلاً غير مدبر وبالزنا بعد الاحسان فان حد ما جعل الله مع الكفر بالله عز وجل ومحاربه وقطع حجته في الارض ومناذته دينه لجرم كبير ومعصية شعاء والله تعالى يقول ﴿ ان تجتنبوا كبار ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ . (والذين يجتنبون كبار الاثم والفواحش الا اللهم ان ربك واسع المغفرة) وان كان اهل العلم اختلفوا في تسميتها فكلهم يجمع مهماً اختلفوا فيه منها ان الزنا يقدم فيها لا اختلاف بينهم في ذلك ولم يوعده الله عز وجل في كتابه بالنار بعد الشرك الا في سبع ذنوب وهي الكبار الزنا احدها وقذف المحصنات ايضاً منها منصوصاً ذلك كله في كتاب الله عز وجل وقد ذكرنا انه لا يجب القتل على احد من ولد آدم الا في الذنوب الاربعة التي قد تقدم ذكرها فاما الكفر منها فاز عاد صاحبه الى الاسلام او بالذمة ان لم يكن مرتداً قبل منه ودري عنه الموت واما القتل فان قبل الولي الدية في قول بعض الفقهاء او عفا في قول جميعهم سقط عن القاتل القتل بالقصاص واما الفساد في الارض فان تاب صاحبه قبل ان يقدر عليه هدر عنه القتل ولا سبيل في قول احد مؤلف او مخالف في ترك رجم المحصن ولا وجه لرفع الموت عنه البتة ومما يدل على شناعة الزنا ما حدثنا القاضي ابو عبد الرحمن ثنا القاضي ابو عيسى عن عبد الله بن يحيى عن ابيه يحيى بن يحيى عن الليث عن الزهري عن القاسم بن محمد بن ابى بكر عن عبيد بن عمير ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اصاب في زمانه ناساً من هذيل فخرجت جارية منهم فاتبعها رجل يريد بها عن نفسها فرمته بحجر فقتضت كبده فقال عمرو : هذا قيل الله والله لا يؤدى ابداً .

وما جعل الله عز وجل فيه اربعة شهود وفي كل حكم شاهدين الا حياطة

منه الاتساع الفاحشة في عباده لعظمها وشنعها وقبحها وكيف لا تكون شنيعة
ومن قذف بها اخاه المسلم او اخته المسلمة دون صحة علم او يقين معرفة فقد
اتى كبيرة من الكبائر استحق عليها النار غداً ووجب عليه بنص التنزيل ان
تضرب بشرته ثمانين صوتاً ومالك رضي الله عنه يرى ان لا يؤخذ في شيء
من الاشياء حد بالتمريض دون التصريح الا في قذف وبالسند المذكور عن
الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عبد الرحمن عن امه عمرة
بنت عبد الرحمن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه امر ان يجلد الرجل
قال لآخر ما ابى بزنا ولا امي بزانية في حديث طويل وجماع من الامة كلها
دون خلاف من احد نعلمه انه اذا قال رجل لآخر يا كافر او يا قاتل النفس التي
حرم الله لما وجب عليه حد احتياطاً من الله عز وجل الا ثبت هذه العظيمة
في مسلم ولا مسلمة ومن قول مالك رحمه الله ايضاً انه لاحد في الاسلام الا
والقتل يغني عنه وينسخه الا حد القذف فانه ان وجب على من قد وجب عليه
القتل حد ثم قتل قال الله تعالى ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة
شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً واولئك هم الفاسقون
الا الذين تابوا ﴾ الآية . وقال تعالى ﴿ ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات
لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال : الغضب واللغة المذكوران في اللعان انهما موجبتان
حدثنا الهمداني عن ابي اسحق عن محمد بن محمد بن يوسف عن محمد بن اسماعيل
عن عبد العزيز بن عبد الله قال ثنا سليمان بن ثور بن يزيد عن ابي الغيث عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ﴿ اجتنبوا السبع الموبقات
قالوا وما هن يا رسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله
الابالحق واكل الربى واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات
الغافلات المؤمنات ﴾

وان في الزنا من اباحة الحريم وفساد النسل والتفريق بين الازواج الذي عظم الله امره مالا يهون على ذي عقل او من له اقل خلاق ولولا مكان هذا العنصر من الانسان وانه غير مأمون الغلبة لما خفف الله عن البكرين وشده على المحصنين . وهذا عندنا وفي جميع الشرائع القديمة النازلة من عند الله عز وجل حكماً باقياً لم ينسخ ولا ازيل فيترك الناظر لعباده الذي لم يشغله عظيم ما في خلقه ولا يحيف قدرته كبير ما في عوالمه عن النظر لحقير ما فيها فهو كما قال عز وجل ﴿ الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ وقال ﴿ يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ﴾ ﴿ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ﴾

وان اعظم ما يأتي به العبد هتك ستر الله عز وجل في عباده وقد جاء في حكم ابي بكر الصديق رضي الله عنه في ضربه الرجل الذي ضم صيماً حتى افضى ضرباً كان سبباً للمنية ومن اعجاب مالك رحمه الله باجتهاد الامير الذي ضرب صيماً مكن رجلاً من تقييله حتى امني الرجل ضربه الى ان مات ما ينسي شدة دواعي هذا الشأن واسبابه . والتزيد في الاجتهاد وان كنا لانراه فهو قول كثير من العلماء يتبعه على ذلك عالم من الناس واما الذي نذهب اليه فالذي حدثناه الهمداني عن البلخي عن البخاري عن الفريري عن البخاري قال ثنا يحيى بن سليمان ثنا ابن وهب قال اخبرني عمرو ان بكيراً حدثه عن سالم بن يسار عن عبد الرحمن بن جابر عن ابيه عن ابي بردة الانصاري قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿ لا يجلد فوق عشرة اسواط الا في حد من حدود الله عز وجل ﴾ وبه يقول ابو جعفر محمد بن علي النسائي الشافعي رحمه الله .

واما فعل قوم لوط فشنيع بشيع قال الله تعالى : ﴿ أنأنون الفاحشة ماسية بكم بها من احد من العالمين ﴾ وقد قذف الله فاعليه بحجارة من طين مسومة .

ومالك رحمه الله يرى على الفاعل والمفعول به الرجم احصنا اولم يحصنا واحتج بعض المالكين في ذلك بان الله عز وجل يقول في رجمه فاعليه بالحجارة : ﴿ وما هي من الظالمين ببعيد ﴾ فوجب بهذا انه من ظلم الآن بمثل فعلهم قربت منه . والخلاف في هذه المسألة ليس هذا موضعه وقد ذكر ابو اسحق ابراهيم بن السري ان ابا بكر رضي الله عنه احرق فيه بالنار وذكر ابو عبيدة معمر ابن المثنى اسم المحرق فقال هو شجاع بن ورقاء الاسدي احرقه بالنار ابو بكر الصديق لانه يؤتى في دبره كما تؤتى المرأة (١)

وان عن المعاصي لمذاهب للعقل واسعة فما حرم الله شيئاً الا وقد عوض عباده من الحلال ما هو احسن من المحرم وافضل لاله الا هو . واقول في النهي عن اتباع الهوى على سبيل الوعظ :

اقول لنفسي مامين كمالك وما الناس الا هالك وابن هالك (٢)
صن النفس عما عابها وارفض الهوى فان الهوى مفتاح باب المهالك
رأيت الهوى سهل المبادي لذيتها وعقباه مر الطعم ضنك المسالك

(١) قال ابن قيم الجوزية في كتابه (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) صفحة ٣٩٧ طبع المكتبة العربية بدمشق مانصه :

وحرق اللوطية بالنار اربعة من الخلفاء ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن الزبير وهشام بن عبد الملك

(٢) قال ابن خلكان :

رأيت في بعض الكتب ان المأمون كان يقول لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول ابي نواس :

الاكل حي هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا ليب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

فما لذة الانسان والموت بعدها
فلا تتبع دابة قليلاً لبائتها
وما تركها الا اذا هي امكنت
فما تارك الآمال عجباً جؤاذراً
وما قابل الامر الذي كان راعباً
لاجدي عباد الله بالفوز عنده
ومن عرف الامر الذي هو طالب
ومن عرف الرحمن لم يعض أمره
سبيل القى والنسك خير المسالك
فما فقد التغيص من عاج دونها
وطوبى لأقوام يؤمّون نحوها
لقد فقدوا غل النفوس وفضلوا
فعاشوا كما شاؤوا واماوا كما اشتهوا
عصوا طاعة الاجساد في كل لذة
فلولا اعتداء (١) الجسم ايقنت انهم
فيارب قدمهم وزد في صلاحهم
ويا نفس جدي لاتملي وشمري
وانت متى دمرت سعيك في الهوى
فقد بين الله الشريعة للورى
فيا نفس جدي في خلاصك وانفذي
فلو اعمل الناس التفكير في الذي

ولو عاش ضعفي عمر نوح بن لامك
فقد اندرتنا بالفناء المواصلك
وكم تارك اضمأزه غير تارك
كتاركها ذات الضروع الحواصلك
بشهوة مشتاق وعقل مبارك
لدى جنة الفردوس فوق الارائك
رأى سبباً ما في يدي كل مالك
ولو انه يعطى جميع الممالك
وسالكها مستبصر خير سالك
ولا طاب عيش لامرئ غير ماسك
بخفة ارواح ولين عرائك
بمن سلاطين وامن صعاك
وقازوا بدار الخلد رجب المبارك
بنور محل ظلمة الغى هاتك
يعيشون عيشاً مثل عيش الملائك
وصل عليهم حيث حلوا وبارك
لنيل سرور الدهر فيما هنالك
علمت بان الحق ليس كذلك
باين من زهر النجزم الشوايك
نفاذ السيوف المرهقات البواتك
له خلقوا ما كان حي بضاحك

(١) كذا في الاصل ولعل الصواب اعتداء

﴿ باب فضل التعفف ﴾

ومن افضل ما يأتية الانسان في حبه التعفف وترك ركوب المعصية والفاحشة وان لا يرغب عن مجازاة خالقه له بالنعيم في دار المقامة وان لا يعصي مولاه المتفضل عليه الذي جعله مكاناً وأهلاً لامره ونهيه وارسل اليه رسله وجعل كلامه ثابتاً لديه عناية منه بنا واحساناً اليها وان من هام قلبه وشغل باله واشتد شوقه وعظم وجده ثم ظفر فرام هواه ان يغلب عقله وشهوته وان يقهر دينه ثم اقام العدل لنفسه حصناً وعلم انها النفس الامارة بالسوء وذكرها بمقاب الله تعالى وفكر في اجرائه على خالقه وهو يراه وحذرهما من يوم المعاد والوقوف بين يدي الملك العزيز الشديد العقاب الرحمن الرحيم الذي لا يحتاج الى بينة ، ونظر بعين ضميره الى انفراده عن كل مدافع بحضرة علام الغيوب ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ﴾ ﴿ يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ﴾ ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً ﴾ ﴿ يوم عنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً ﴾ ﴿ يوم وجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك احداً ﴾ يوم الطامة الكبرى ، ﴿ يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فلما من طفى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ﴾ واليوم الذي قال الله تعالى فيه ﴿ وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ عندها يقول العاصي ﴿ يا لويلي ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ﴾ فكيف بمن طوى قلبه على اجر من جمر الغضا وطوى كشحه على احد من السيف وتجرع غصصاً امر من الحنظل وصرف نفسه كرهاً عما

طمعت فيه وتيقنت ببلوغه وتهايت له ولم يحل دونها حائل لحري ان يسر
غداً يوم البعث ويكون من المقربين في دار الجزاء وعالم الخلود وان
يأمن روعات القيامة وهول المطلع وان يعوضه الله عن هذه القرحة الاًمن
يوم الحشر

حدثني ابو موسى هارون بن موسى الطيب قال رأيت شاباً حسن الوجه
من اهل قرطبة قد تعبد ورفض الدنيا وكان له اخ في الله قد سقطت بينهما
مؤونة التحفظ فزاره ذات ليلة وعزم على المبيت عنده فعرضت لصاحب المنزل
حاجة الى بعض معارفه بالبعد عن منزله فنهض لها على ان ينصرف مسرعاً
ونزل الشاب في داره مع امرأته وكانت غاية في الحسن وترباً للضيف في
الصبي فاطال رب المنزل المقام الى ان مشى العسس ولم يمكنه الانصراف الى
منزله فلما علمت المرأة بغوات الوقت وان زوجها لايمكنه المجيء تلك الليلة
تاقت نفسها الى ذلك القتي فبرزت اليه ودعته الى نفسها ولائالك لها الا الله عز
وجل فهم بها ثم تاب اليه عقله وفكر في الله عز وجل فوضع اصبعه على
السراج فنفق ثم قال يانفس ذوقي هذا واين هذا من نار جهنم فهال المرأة ما
رأت ثم عاودته فعاودته الشهوة المركبة في الانسان فعاد الى الفعلة الاولى
فانبليج الصباح وسبابته قد اصطلمتها النار . أفقتظن بلغ هذا من نفسه هذا المبلغ
الا لفرط شهوة قد كلبت عليه او ترى ان الله تعالى يضع له المقام كلا انه
لا اكرم من ذلك واعلم

ولقد حدثني امرأة اتق بها انها علقها فتي مثلها في الحسن وعلقته وشاع
القول عليهما فاجتمعا يوماً خاليتين فقال هلمي نحقق مايقال فينا فقالت لا والله
لا كان هذا ابدأ وانا اقرأ قول الله ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا
المتقين﴾ قالت فما مضى قليل حتى اجتمعا في حلال
ولقد حدثني ثقة من اخواني انه خلا يوماً بجارية كانت له معارك في الصبي

فتعرضت لبعض تلك المعاني فقال لها كلا ان من شكر نعمة الله فيما منحني من
وصالك الذي كان اقصى آمالي ان اجتنب هواي لامره . ولعمري ان هذا
لغريب فيما خلا من الازمان فكيف في مثل هذا الزمان الذي قد ذهب خيره
وأتى شره وما اقدر في هذه الاخبار — وهي صحيحة — الا احد وجهين لاشك
فيهما : إما طبع قد مال الى غير هذا الشأن واستحكمت معرفته بفضل سواء
عليه فهو لايجب دواعي الغزل في كلمة ولا كلمتين ولا في يوم ولا يومين ولوطال
على هؤلاء المتحنيين ما امتحنوا به لجادت طباعهم واجابوا هاتف الفتنة ولكن
الله عصمهم بانقطاع السبب المحرك نظراً لهم وعلماً بما في ضمائرهم من الاستعاذة
به من انقباض واستدعاء الرشد لا اله الا هو ، واما بصيرة حضرت في ذلك
الوقت وخاطر تجرد انقمعت به طوالع الشهوة في ذلك الحين لخير اراد الله عز
وجل لصاحبه جعلنا الله ممن يخافه ويرجوه آمين

وحدثني ابو عبد الله محمد بن عمرو بن مضاء عن رجال من بني مروان
ثقات يسندون الحديث الى ابي العباس الوليد بن غانم انه ذكر ان الامام عبد
الرحمن بن الحكم غاب في بعض غزواته شهوراً وثقف القصر بابه محمد الذي
ولى الخلافة بعده ورتبه في السطح وجعل مبيته ليلاً وقعوده نهائراً فيه ولم يأذن
له في الخروج البتة ورتب معه في كل ليلة وزيراً من الوزراء وفتى من اكابر
الفتيان يبيتان معه في السطح . قال ابو العباس فاقام على ذلك مدة طويلة
وبعد عهده باهله وهو في سن العشرين او نحوها الى ان وافق مبيتي في ليلي
توبة فتى من اكابر الفتيان وكان صغيراً في سنه وغاية في حسن وجهه قال
ابو العباس فقلت في نفسي اني اخشى الليلة على محمد بن عبد الرحمن الهلاك
يمواقه المعصية وتزين ابليس واتباعه له قال ثم اخذت مضجعي في السطح
الخارج ومحمد في السطح الداخل المطل على حرم امير المؤمنين والفتى في الطرف
الثاني القريب من المطاع فظلمت ارقبه ولا اغفل وهو يظن اني قد نمت ولا يشعر

باطلاعي عليه قال فلما مضى هزيع من الليل رأيته قد قام واستوى قاعداً ساعة لطيفة ثم تعوذ من الشيطان ورجع الى منامه ثم قام بعد حين ولبس قميصه واستوفز ثم نزع عن نفسه وعاد الى منامه ثم قام الثالثة ولبس قميصه ودلى رجله من السرير وبقي كذلك ساعة ثم نادى القى باسمه فاجابه فقال له انزل عن السطح وابق في الفصيل الذي تحته فقام القى مؤتمراً له فلما نزل قام محمد واغلق الباب من داخله وعاد الى سريره قال ابو العباس فعلت من ذلك الوقت ان لله فيه مراد خير

حدثنا احمد بن محمد بن الجصور عن احمد بن مطرف عن عبيد الله ابن يحيى عن ابيه عن ملك عن حبيب بن عبد الرحمن الانصاري عن حفص ابن عاصم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ((سبعة يظاهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل . وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه . ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه . ورجل دعت امرأة ذات حسب وجمال فقال اني اخاف الله . ورجل تصدق صدقة فاخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)) واني اذكر اني دعيت الى مجلس فيه بعض من تستحسن الابصار صورته وتألف القلوب اخلاقه للحديث والمجالسة دون منكر ولا مكروه فسارعت اليه وكان هذا سحراً فبعد ان صليت الصبح واخذت زبي طرقي ففكر فسنحت لي ابيات ومعني رجل من اخواني فقال لي ما هذا الاطراق فلم اجبه حتى اكلمتها ثم كتبتها ودفعها اليه وامسكت عن المسير حيث كنت نويت ومن الايات :

أراذك حسن غيبه لك تأريق وتبريد وصل سره فيك تحريق
وقرب مزار يقتضي لك فرقة وشيكا ولولا القرب لم يك تقريق
ولذة طعم معقب لك علقماً وصاباً وفسح في تضاعيفه ضيق

ولو لم يكن جزاء ولا عقاب ولا ثواب لوجب علينا افناء الاعمار واتعاب
الابدان واجهاد الطاقة واستنفاد الوسع واستفراغ القوة في شكر الخالق الذي
ابتدأنا بالنعم قبل استئهاها وامتن علينا بالعقل الذي به عرفناه ووهبنا الحواس
والعلم والمعرفة ودقائق الصناعات وصرف لنا السموات جارية بمنافعها ودبرنا التدبير
الذي لو ملكنا خلقنا لم نهتد اليه ولا نظرنا لانفسنا نظره لنا وفضلنا على اكثر
المخلوقات وجعلنا مستودع كلامه ومستقر دينه وخلق لنا الجنة دون ان نستحقها
ثم لم يرض لعباده ان يدخلوها الا باعمالهم لتكون واجبة لهم قال الله تعالى :
(جزاء بما كانوا يعملون) ورشدنا الى سبيلها وبصرنا وجه ظلها وجعل غاية
احسانه اليها وامتنانه علينا حقاً من حقوقنا قبله وديناً لازماً له وشكرنا على ما
اعطانا من الطاعة التي رزقنا قواها واثابنا بفضله على تفضله هذا كرم لا تهدي
اليه العقول ولا يمكن ان تكيفه الالساب ومن عرف ربه ومقدار رضاه وسخطه
هانت عنده اللذات الذاهبة والحطام الفاني فكيف وقد اتى من وعيده ما تقشعر
لسماعه الاجساد وتذوب له النفوس واورد علينا من عذابه ما لم ينته اليه امل
فاين المذهب عن طاعة هذا الملك الكريم وما الرغبة في لذة ذاهبة لا تذهب
الندامة عنها ولا تنفى التباعة منها ولا يزول الحزني عن راكبها والى كم هذا التماهي
وقد اسمعنا المنادي وكان قد حدا بنا الحادي الى دار القرار فاما الى جنة واما
الى نار الا ان التلبط في هذا المكان هو الضلال المبين وفي ذلك اقول :

اقصر عن لهوه وعن طربه	وعف في حبه وفي عربه
فليس شرب المدام همته	ولا اقتناص الظبي من اربه
قد آن للقلب ان يفيق وان	يزيل ما قد علاه من حبه
الهاه عما عهدت يعجبه	خيفة يوم تبلى السرائر به
يانفس جدي وشمري ودعي	عنك اتباع الهوى على لغبه
وسارعي في النجاة واجتهدي	ساعية في الخلاص من كربه

علي احظي بالفوز فيه وأن
يا ايها اللاعب المجد به ال
كفأك من كل ماوعظت به
دع عنك داراً تقني غضارتها
لم يضطرب في محلها احد
من عرف الله حق معرفة
مامنقضي الملك مثل خالده
ولا تقي الوري كفاسقهم
فلو أمنا من العقاب ولم
ولم نخف ناره التي خلقت
لكان فرضاً لزوم طاعته
وصحة الزهد في البقاء وان
فقد رأينا فعل الزمان باه
كم متعب في الآله مهجته
وطالب باجتهاده زهر ال
ومدرك ما ابتغاه ذي جدل
وباحث جاهد لبغيته
بينما ترى المرء سامياً ملكاً
كالزرع للرجل فوقه عمل
كم قاطع نفسه اسي وشجاً
أليس في ذاك زاجر عجب
فكيف والنار للمسيء اذا
ويوم عرض الحساب يفضحه الله وييدي الخفي من ربه
أنجو من ضيقه ومن هبه
دهر اما تتقي شبا نكبه
ما قد أراك الزمان من عجه
ومكسباً لا عباً بمكسبه
الا نبا حدها بمضطربه
لوى وحل الفؤاد في رهبه
ولا صحيح التقي كمؤتسبه
وليس صدق الكلام من كذبه
نخش من الله متقى غضبه
لكل جاني الكلام محقبه
ورد وفد الهوى على عقبه
يلحق تنفيذنا بمرقبه
ليه كفعل الشواظ في خطبه
راحتة في الكريه من تعب
دنيا عداه المنون عن طلبه
حل به ما يخاف من سبه
فانما بحثه على عطبه
صار الى السفلى من ذرى ربه
ان يتم حسن النمو في قصبه
في اثر جد يجد في هربه
يزيد ذا اللب في حلى اديه
عاج عن المستقيم من عقبه
ويومي الخفي من ربه

من قد جباه الاله رحمة
فصار من جهله يصرفها
أليس هذا أحرى العباد غداً
شكراً لرب لطيف قدرته
رازق اهل الزمان اجمعهم
والحمد لله في تفضله
أخدمنا الارض والسماء ومن
فاسمع ودع من عصاه ناحية

واقول ايضاً :

اعارتك دنيا مسترد معارها
وهل يتمنى المحكم الرأي عيشة
وكيف تلد العين هجمة ساعة
وكيف تقرر النفس في دار نقلة
وأنى لها في الارض خاطر فكرة
أليس لها في السعي للفوز شاغل
فخابت نفوس قادها هو ساعة
لها سائق حاد حيث مبادر
تراد الامر وهي تطلب غيره
أمسرعة فيما يسو قيامها
تعطل مفروضاً وتعنى بفضلة
الى ما لها منه البلاء سكونها

غضارة عيش سوف يدوي اخضرارها
وقد حان من دهم المنايا مزارها
وقد طال فيما عاينته اعتبارها
قد استيقنت ان ليس فيها قرارها
ولم تدر بعد الموت اين محارها
اما في توقيها العذاب ازدجارها
الى حر نار ليس يطفى أوارها
الى غير ما أضحى اليه مدارها
وتقصد وجهاً في سواه سفارها
وقد أيقنت ان العذاب قصارها
لقد شفيها طغيانها واغترارها
وعما لها منه النجاح نفارها

(١) في الاصل : من نعمه ، والصواب ما صححناه

وتعرض عن رب دعاها لرشدها
 فيا ايها المغرور بادر برجعة
 ولا تسخير فانياً دون خالد
 أتعلم ان الحق فيما تركته
 وتترك بيضاء المناهج ضلة
 تسر بلهو معقب بندامة
 وتفتي الليالي والمسرات كلها
 فهل انت يامغبون مستيقظ فقد
 فعجل الى رضوان ربك واجتنب
 يجد مرور الدهر عنك بلاعب
 فكما قد غرها الدهر قلنا
 تذكر على ماقد مضى واعتبر به
 تحامي ذراها كل باغ وطالب
 توافت بطن الارض وانشت شملها
 وكم راقد في غفلة عن منية
 ومظلمة قد نالها تسلط
 أراك اذا حاولت دنياك ساعياً
 وفي طاعة الرحمن يقعدك الونا
 تحاذر اخواناً ستفنى وتنقضي
 كأنني ارى منك اتبرم ظاهراً
 هناك يقول المرء من لي باعصر
 تنبه ليوم قد اظلك وردء
 تبرأ فيه منك كل مخالط
 وتتبع دنيا جد عنها فرارها
 فله دار ليس تحمد نازها
 دليل على محض العقول اختارها
 وتسلك سبلاً ليس يخفى عوارها
 لهما يؤذي الرجل فيها عثارها
 اذا ما انقضى لا ينقضي مستأرها
 وتبقى تباعات الذنوب وتارها
 تبين من سر الخطوب استأرها
 نواهيها اذ قد تجلى منارها
 وتغرى بدنيا ساء فيك سرارها
 وهاتيك منها مقفرات ديارها
 فان المذكي للعقول اعتبارها
 وكان ضماناً في الاعادي اتصارها
 وعاد الى ذي ملكة استعارها
 مشمرة في القصد وهو سعارها
 مدل بايد عند ذي العرش ثارها
 على انها باد اليك ازورارها
 وتبدي أناة لا يصح اعتذارها
 وتنسى التي فرض عليك حذارها
 مبيتاً اذا الاقدار حل اضطرارها
 مضت كان ملسكاً في يدي خيارها
 عصب يوافي النفس فيها احتضارها
 وان من الآمال فيه انهيارها

فأودعت في ظلماء ضحك مقرها يلوح عليها للعيون اغبرارها
تنادى فلا تدري المنادي مفرداً وقد حط عن وجه الحياة خمارها
تنادي الى يوم شديد مفرع وساعة حشر ليس يخفى اشعارها
اذا حشرت فيه الوحوش وجمعت صحائفنا واتصال فينا انتشارها
وزينت الجنات فيه وازلفت واذكي من نار الجحيم استعارها
وكورت الشمس المنيرة بالضجى واسرع من زهر النجوم انكدارها
لقد جل امر كان منه انتظامها وقد حل امر كان منه انتشارها
وسيرت الاجبال والارض بدلت وقد عطلت من مالكيها عشارها
فاما لدار ليس يفنى نعيمها واما لدار لا يفك اسارها
بحضرة جبار رفيق معاقب فتحصى المعاصي كبرها وصغارها
ويندم يوم البعث جاني صغارها وتهلك اهلها هناك كبارها
ستغبط اجساد وتحي نفوسها اذا ما استوى اسرارها وجهارها
اذا فحهم عفو الاله وفضله واسكنهم داراً حلال عقارها
سيلحقهم اهل الفسوق اذا استوى بحلبة سبق طرفها وحمارها
يفر بنو الدنيا بدنياهم التي يظن على اهل الخطوط اقتصارها
هي الام خير البر فيها عقوقها وليس بغير البذل يحمي ذمارها
فما نال منها الحظ الا مهنها وما اهلك الا قربها واعتارها
تهافت فيها طامع بعد طامع وقد بان للذكي اختبارها
نظامن لغمر الحادثات ولا تكن لها ذا اعتبار يحتببك غمارها
واياك ان تغتر منها بما ترى فقد صح في العقل الحي عيارها (١)
رايت ملوك الارض يبعون عدة ولذة نفس يستطاب اجترارها

(١) في الاصل غيارها والصواب ما صححناه

وخلقوا طريق القصد في مبتغاهم
 وان التي ينفون نهج بقية
 هل العز الالهمة صح صونها
 وهل راجع الامرؤ متوكل
 ويلقى ولاة الملك خوفاً وفكرة
 عياناً نرى هذا ولكن سكرة
 تدبر من الباني على الارض سققها
 ومن يمسك الاجرام والارض امره
 ومن قدر التدبير فيها بحكمة
 ومن قفق الامواء في صفح وجهها
 ومن صير الالوان في نور نبتها
 فمنه مخضر يروق بصيصه
 ومن حفر الانهار دون تكلف
 ومن رتب الشمس المنير ايضاضها
 ومن خلق الافلاك فامتد جريها
 ومن ان ألت بالعقول رزية
 تجمد كل هذا راجع نحو خالق
 أبان لنا الآيات في انبيائه
 فانطق افواهاً بالفاظ حكمة
 وبرز من صم الحجارة ناقة
 ليوقن اقوام وتكفر عصة
 وشق لموسى البحر دون تكلف
 وسلم من نار الانوق خليله
 لمتبعه الصفار جم صغارها
 مكين لطلاب الخلاص اختصارها
 اذا صان همات الرجال انكسارها
 قنوع غني النفس باد وقارها
 تضيق بها ذرعاً وفيض اصطارها
 أحاطت بنا ما ان يفق خمارها
 وفي علمه معمورها وققارها
 بلا عمد يني عليه ققارها
 فصح لديها ليلها ونهارها
 فمنها يغذى جها وثمارها
 فأشرق فيها ورددها وبهارها
 ومنه ما يغشى اللحاظ احمرارها
 فتار من الصم الصلاب انفجارها
 غدوا ويبدو بالعشي اصقارها
 واحكمها حتى استقام مدارها
 فليس الى حي سواء افتقارها
 له ملكها منقادة وأيتارها
 فأمكن بعد العجز فيها اقتدارها
 وما حلها انتقارها واتقارها
 واسمهم في الحين منها حوارها
 أتاها باسباب الهلاك قدارها
 وبان من الامواج فيه انحسارها
 فلم يؤذه احراقها واعتقارها

وحجى من الطوفان نوحاً وقدهدت به أمة ابدا فسوق شرارها
وممكن داوداً بإيد ، وابنه فتعسيرها ماسقى له وبدارها
وذلل جبار البلاد لامره وعلم من طير السماء حوارها (١)
وفضل بالقرآن أمة احمد ومكن في اقصى البلاد مغارها
وشق له بدر السماء وخصه بآيات حق لا يخل معارها
وأبقنا من كفر اربابنا به وكان على قطب الهلاك منارها
فما بالنار لانتزك الجهل ويحنا لنسلم من نار ترمى شرارها

هنا اعزك الله انتهى ماتذكرته ايجاباً لك وتقمناً لمسرتك ووقوفاً عند امرك
ولم امتنع ان اورد لك في هذه الرسالة اشياء يذكرها الشعراء ويكثرون
القول فيها موفيات على وجوها ومفردات في ابوابها ومنعمات التفسير مثل
الافراط في صفة النحول وتشبيه الدموع بالامطار وانها تروي السفار وعدم النوم
البته وانقطاع الغذاء حجة الا انها اشياء لاحقيقة لها وكذب لاوجه له ولكل
شيء حد وقد جعل الله لكل شيء قدراً . والنحول قد يعظم ولو صار حيث
يصفونه لكان في قوام الذرة او دونها ولخرج عن حد المعقول . والسهر قد
يصل ليالي ولكن لو عدم الغذاء اسبوعين هلك وانما قلنا ان الصبر عن النوم
اقل من الصبر عن الطعام لان النوم غذاء الروح والطعام غذاء الجسد وان كانا
يشتركان في كليهما ولكننا حكينا على الاغلب ، واما الماء فقد رأيت ان ميسوراً
البناء جارنا بقرطبة يصبر عن الماء اسبوعين في حمارة القيظ ويكتفي بما في غذائه
من رطوبة . وحدثني القاضي ابو عبد الرحمن بن جحاف انه كان يعرف من
كان لايشرب الماء شهراً وانما اقتصر في رسالتي على الحقائق المعلومة التي
لا يمكن وجود سواها اصلاً وعلى اني قد اوردت من هذه الوجوه المذكورة

اشياء كثيرة يكتفى بها لئلا اخرج عن طريقة اهل الشعر ومذهبهم وسيرى
كثير من اخواننا اخباراً لهم في هذه الرسالة مكنياً فيها من اسمائهم على ما
شرطنا في ابتدائها. وانا استغفر الله تعالى مما يكتب الملكان ويحصيه الرقيان من
هذا وشبهه استغفار من يعلم ان كلامه من عمله ولكنه ان لم يكن من اللغو
الذي لا يؤاخذ به المرء فهو ان شاء الله من اللهم المعفو والافليس من السيئات
والفواحش التي يتوقع عليها العذاب وعلى كل حال فليس من الكبار التي
ورد النص فيها

وانا اعلم انه سينكر على بعض المتعصين على تأليني مثل هذا ويقول
خالف طريقته وتجافى عن وجهته وما احل لاحد ان يظن في غير ما قصده قال
الله عز وجل ﴿يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم﴾
وحدثني احمد بن محمد بن الجسوري ثنا بن ابي دليم ثنا بن وضاح عن يحيى
ابن ملك بن انس عن ابي الزبير المكي عن ابي شرحبيل الكعبي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ﴿اياكم والظن فانه اكذب الكذب﴾ وبه الى ملك
عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن الاعرج عن ابي هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ﴿من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت﴾
وحدثني صاحبي ابو بكر محمد بن اسحق ثنا عبد الله بن يوسف الازدي
يحيى بن عائد ثنا ابو عدي عبد العزيز بن علي بن محمد بن اسحق بن الفر
الامام بمصر ثنا ابو علي الحسن بن قاسم بن دحيم المصري ثنا محمد بن زك
العلاني ثنا ابو العباس ثنا ابو بكر عن قتادة عن سعيد بن المسيب انه قال
وضع عمرو بن الخطاب رضي الله عنه للناس ثمانى عشر كلمة من الحجة
﴿ضع امر اخيك على احسنه حتى يأتيك ما يغلبك عليه﴾ ولانظن بكلمة حر
من في امرئ مسلم شراً وانت تجد لها في الخير محملاً. فهذا اعزك الله ادب
الله وادب رسوله صلى الله عليه وسلم وادب امير المؤمنين وباجلته فاني لا اقول

شراية ولا انسك نسكاً اعجيباً ومن ادى الفرائض المأمور بها واجتنب المحارم
 سبي عنها ولم ينس الفضل فيما بينه وبين الناس فقد وقع عليه اسم الاحسان ودعني
 سوي ذلك وحسبي الله. والسكلام في مثل هذا انما هو مع خلاء الذرع
 فراغ القلب وان حفظ شيء وبقاء رسم وتذكر فائت لمثل خاطري لعجب على
 مضى ودهمني فانت تعلم ان ذهني متقلب وبالي مهضم بما نحن فيه من نبو الديار
 الخلاء عن الاوطان وتغير الزمان ونكبات السلطان وتغير الاخوان وفساد
 وتبدل الايام وذهاب الوفير والخروج عن الطارف والتالد واقتطاع مكاسب
 الاجداد والغربة في البلاد وذهاب المال والجاه والفكر في صيانة الاهل
 والياس عن الرجوع الى موضع الاهل ومدافعة المهر وانتظار الاقدار
 اجعلنا الله من الشاكنين الا اليه واعادنا الى افضل ما عودنا وان الذي ابقى لاكثر
 اخذ والذي ترك اعظم من الذي تحيف ومواهبه الحيطه بنا ونعمه التي غمرتنا
 بحد ولا يؤدى شكرها والكل منحه وعطاياه ولا حكم لنا في انفسنا ونحن منه واليه
 منقلبنا وكل عارية فراجعة الى معيرها وله الحمد اولا وآخراً وعوداً وبدأ وانا اقول

جعلت اليأس لي حصناً ودرعاً فلم البس ثياب المستضام

واكثر من جميع الناس عندي يسير صانتي دون الانام

لنت اذا ماصح لي ديني وعرضي فلست لما تولى ذا اهتمام

تولى الامس والغد لست ادري أدركه ففيا ذا اغتنام

اجعلنا الله واياك من الصابرين الشاكرين الحامدين الذاكرين آمين آمين والحمد
 لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً. كملت الرسالة
 المرافقة بقطر الحماة لابي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم رضي الله عنه
 في اكثر اشعارها وابقاء العيون منها تحسيناً لها واطهاراً لحاسنها وتصغيراً لحجمها
 تسهيلاً لوجدان المعاني الغريبة من لفظها بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه وفرغ
 من نسخها مستهل رجب الفرد سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

صحفة

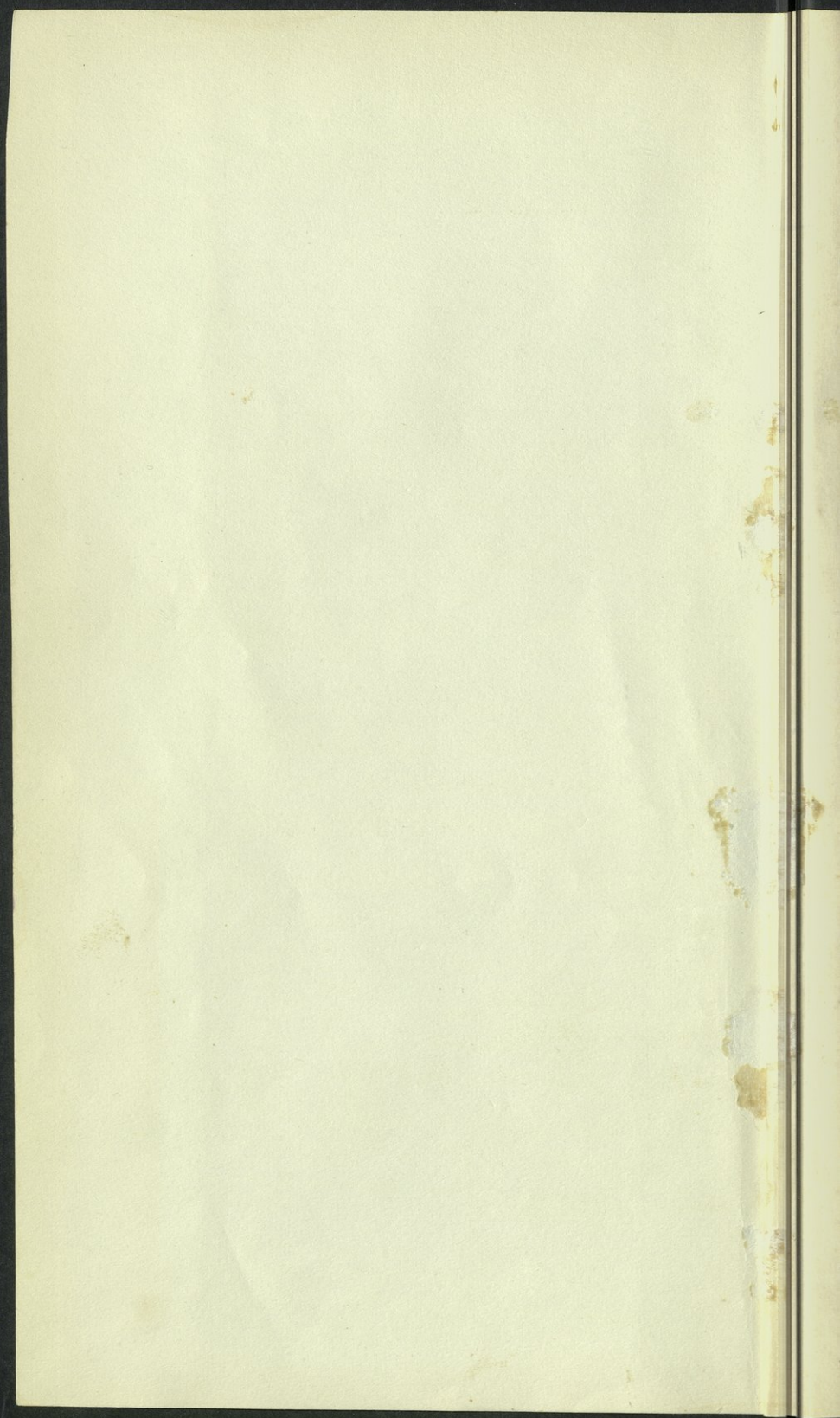
١	مقدمة المؤلف
٤	باب الكلام في ماهية الحب
١٠	علامات الحب :
١٧	من احب في النوم :
١٨	من احب بالوصف :
٢٠	من احب من نظرة واحدة :
٢٢	من لا يحب الا مع المطاولة :
٢٥	من احب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها :
٢٧	التعريض بالقول :
٢٩	الاشارة بالعين :
٣٠	المراسلة :
٣١	السفير :
٣٣	طي السر :
٣٦	الاذاعة :
٣٨	ومن اسباب الكشف وجه ثالث :

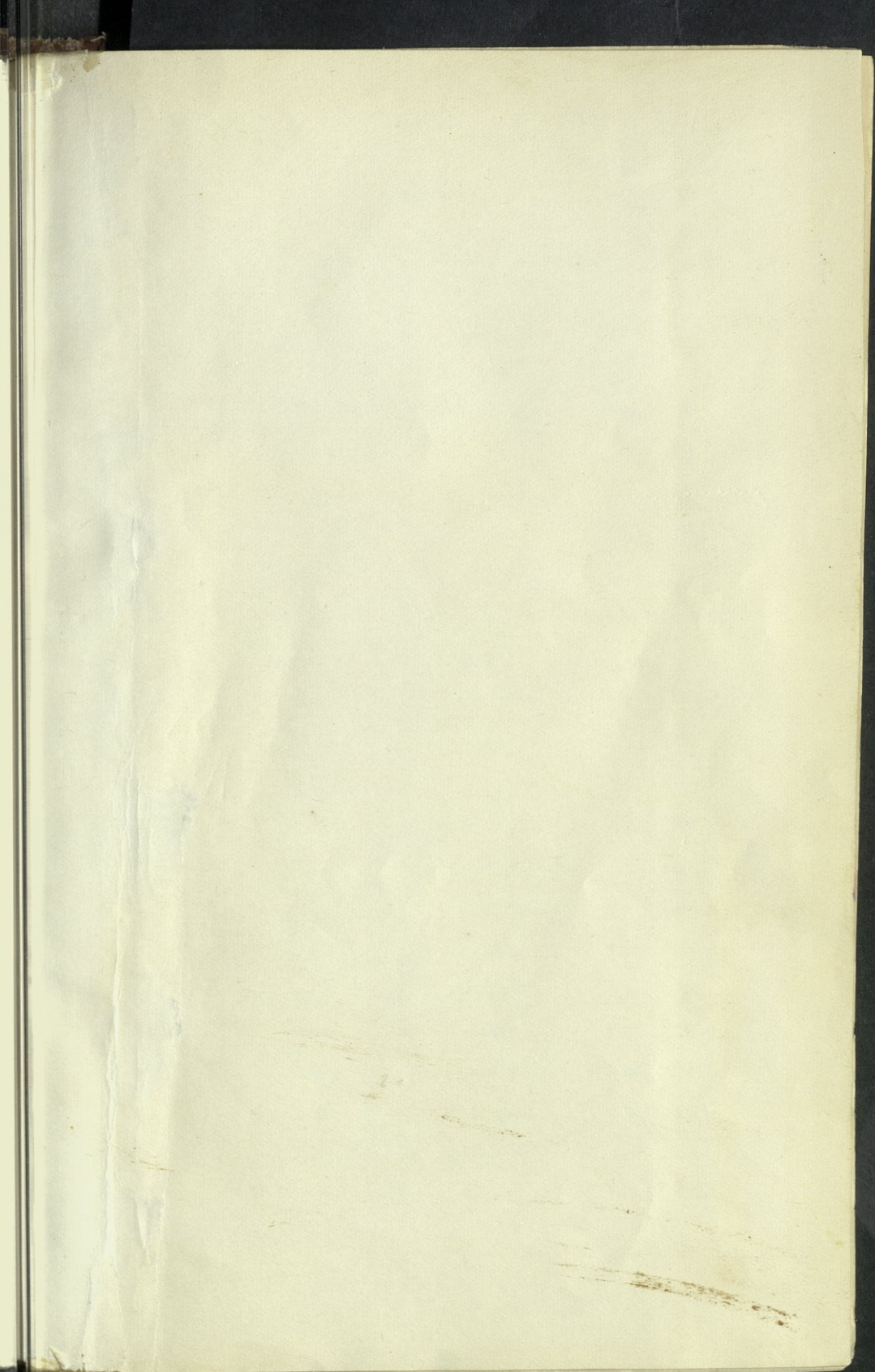


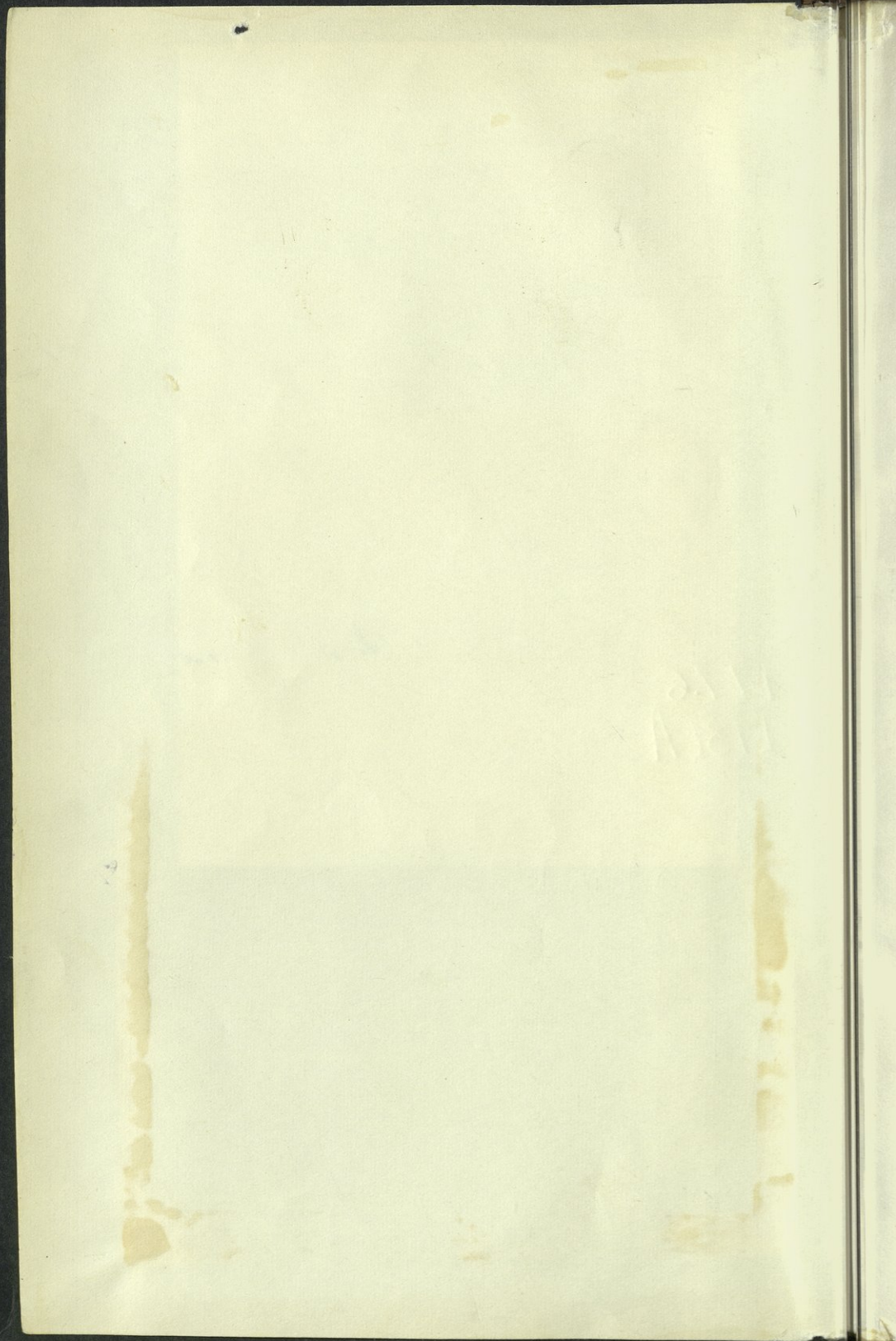
باب الطاعة	٣٩
المخالفة — باب العاذل	٤٣
المساعد من الاخوان	٤٤
الرقيب	٤٧
الواشي	٥٠
الوصل	٥٦
الهجر	٦٣
الوفاء	٧٤
البين	٨١
القنوع	٩٣
الضنى	١٠١
السلو	١٠٤
الموت	١١٥
فتح المعصية	١٢١
فصل التعفف	١٤١

❧ اصلاح الخطأ وبيان الصواب ❧

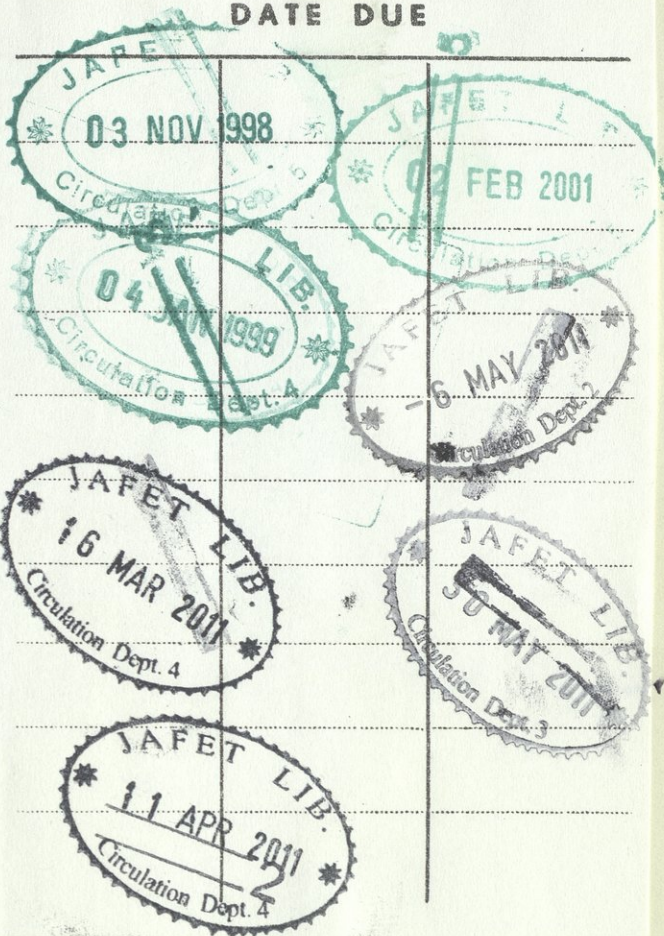
<u>ص</u>	<u>س</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
١	٢٠	خيره	حيره
٥	١١	تزوجها	تزوجها
١٦	٨	ابن	بن
٠٠	٢٣	حقر	حقرا
١٨	٨	الى	لي
٢٤	٢٢	سقاط	اسقاط
٢٨	٨	بغض	بعض
٣٠	١	احدهما	احداهما
٣١	١٩	يصبغ	بصبغ
٣٧	١٤	ينصرم	يتصرم
٠٠	٢٠	صفاه	صفاته
٣٩	٤	الا ف	الانف
٤٠	٦	وجفاهه	وجفاءه
٠٠	٢٠	ابن	ابي
٤١	١٤	عنقها	عتقها
٠٠	٢٠	الري الرد	الري
٤٣	١٤	الغضبا	الغضا
٤٥	١٥	ويحد	ويمجد
٤٦	٦	ظفرت	ظفرت
٤٨	٢٠	الحوارث	الحوادث







DATE DUE



A.U.B. LIBRARY

177.6:13tA:c.1

ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد
طوق الحمامة في الالفه والالاف

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01053507

177.6
I13tA

A.U.B. LIBRARY

